المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين

وقصص الأنبياء والأولياء فيها

إعداد وتأليف

الدكتور أحمد محمد قيس

المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين

وقصص الأنبياء والأولياء فيها

تأليف

الدكتور أحمد محمد قيس
عضو إتحاد الكتاب اللبنانيين و الأدباء العرب

WWW.DRAHMADKAISS.COM
INFO @DRAHMADKAISS.COM
YOUTUBE الدكتور أحمد قيس

الطبعة الأولى

2023

ISBN 978-614-503-037-9

دار البيان العربي
للدراسات والنشر

TEL 00961 3 385257
E-mail dar-albayan2021@hotmail.com

دار الوثائق القومية
الإدارة العامة للمعلومات الخمسة
إدارة الإيداع القانوني

إقرار بتسليم رقم الايداع بدار الكتب المصرية

طبقا لقانون الايداع الرقمي

٣٨ لسنة ١٩٩٢ . ٨٢ لسنة ٢٠٠٢

اسم المصنف	المقامات والاضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الانبياء والاولياء بها
اسم المؤلف	احمد محمد قيس
العنوان	بيروت – لبنان
اسم الناشر	ــــــــــــ
اسم الطابع	احمد حسين احمد
عنوانه	الهرم – الجيزة
طابعة	ــــــــــــ
عدد الصفحات	٤٤٥
مقاس النسخ	ــــــــــــ
رقم الايداع	٢٠٢٣/١٩٩٨١
الترقيم الدولي	٩٧٧-٢-٩٧٢٦ – ٩٨٨- ٩٩٨
المندوب	المطبعة
الرقم القومي	٢٨٧٠٣٠٧١٦٠١٦٦٤

تحريرا في : ٢٨/ ٣/ ٢٠٢٣م

توقيع المستلم : أ. محمد حسين أحمد

ملحوظة	يتم ايداع النسخ المقررة للقانونين المشار إليهما في خلال ثلاث اشهر من تاريخ الحصول على رقم الايداع ، على أن لا يقل عدد صفحات النسخة عن ٥٠ صفحة

١٩٩٨١
٩٧٧-٩٨٨

تدقيق لغوي الشيخ توفيق علوية

إخراج عبد القادر نجيب كرزي

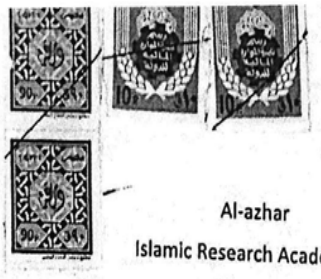

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية

Al-azhar
Islamic Research Academy

****

تصريح طبع ونشر وتداول

رقم (١٢٢٤) الصادر في ٢٤/ ٥ / ٢٠٢٢م

عنوان الكتاب : (المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الأنبياء والأولياء بها)

التصنيف : تاريخ **عدد صفحات** : ٤٤٥ صفحة

اسم المؤلف : السيد الأستاذ الدكتور / أحمد محمد قيس - (لبنان)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..... وبعد ،،،

يسر الأمانة العامة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف (الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة) أن تحيطكم علمًا بأنها قد وافقت بعد الفحص والمراجعة على طبع وتداول كتابكم : (المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الأنبياء والأولياء فيها) ورقيًا وإلكترونيًا ، وذلك داخل جمهورية مصر العربية وخارجها .

وقد رأت الإدارة أنه ليس في الكتاب المقدم لها ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية أو التاريخ الموثق .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بتصوير الآيات القرآنية من المصحف الشريف ، وأيضًا العناية التامة بالأحاديث النبوية المطهرة ، وعزوها إلى مصادرها المعتمدة ..

علمًا بانه قد تم تنفيذ كل ما أشرنا إليه من ملاحظات بعد مناقشة مؤلف الكتاب حضوريًا ..

وعليه فلا مانع لدينا من الموافقة على طبع ونشر الكتاب ورقيًا وإلكترونيًا ، لما فيه من إلتزام بالمنهج العلمي ، وفائدة نأمل بأن تعود بالنفع والفائدة على شبابنا وعلى جمهور القراء في البلاد العربية والأسلامية وسائر بلاد العالم..

برجاء العلم والإحاطة ..

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

مديرا عام ٤ / ١١ / ٢٠٢٢م
٢٠٢٢/٥/٢٤م

مدير عام
الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

يعتمد

الامين العام
لمجمع البحوث الاسلامية

الإهداء

إلى أولادي: وائل وآية وحسين وروان وعماد

وأحفادي: أحمد وآدم وقمر وإبراهيم

وإلى أبناء الأمّتين العربية والإسلامية

أهدي هذا العمل راجياً من المولى ﷻ أن يتقبله وينفع به، إنه على كل شيء قدير.

قبل البداية

حتى لا تكون الغلبة للأقوى بحسب المفاهيم المادية، أو الانتخاب الطبيعي كما يزعمون

وفي سبيل نصرة الحق وإشاعة العدل والإنصاف بين أفراد الإنسانية

ومساهمة في نشر المعرفة والوعي بين أبناء أمّتَينا العربية والإسلامية

ونصرة لفلسطين والمسجد الأقصى

وكل الأماكن المباركة فيها

جاء هذا العمل بفضل من الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله الطيبين و أصحابه أجمعين

أما بعد...

الحقيقة أننا أمام عمل تاريخى ضخم كان من المنتظر أن تضطلع به إحدى المؤسسات الكبرى في عالمنا العربي والإسلامي، وما أكثرها، باعتباره يرصد ويؤرخ لشواهد وآثار سحيقة فى تاريخها الضارب فى أعماق الزمن، وانطلاقا من قول المؤلف ذاته: أن من ليس له تاريخ فلا حاضر له ولا مستقبل، تنبع أهمية هذا الكتاب الموسوعى الضخم الذي بين أيدينا، ويسعدني المشاركة فيه بهذه التقدمة، بعد الاطلاع على محتواه، بل الإعجاب بمادته ومنهجه وأسلوبه الشيق والممتع والمفيد فى ذات الوقت، والاكثر من هذا تدعيم كل تأريخ ورصد لأحد الأضرحة أو المقامات والمشاهد بالصور الموضحة والمبينة للموقع على وجه الدقة، ما يعنى بذل الجهد والوقت والمال، المصحوب بالمحبة والإخلاص الصادق لأنبياء الله ورسله واوليائه والصالحين وآل البيت.

وإذا كنا نصف القضية الفلسطينية بأنها "أم القضايا"، فإن فلسطين كمساحة وكيان جغرافى، وخصوصاً بيت المقدس والمسجد الأقصى، تمثل مركز التلاقى الحضارى والثقافى لمختلف الشعوب والأجناس على مر العصور والأزمنة، لذا نجدها ذات شأن ومكانة مقدسة فى كل الأديان السماوية بل حتى المعتقدات والمذاهب الفلسفية الإنسانية، القديم منها والحديث، وما العجب فى ذلك والمولى عز وجل قد اختصها وميزها فجعلها قبلة أنبيائه ورسله، ومأوى قلوب وأفئدة عباده الصالحين، فكانت ممرا أو مقرا أو منطلقاً أو هدفاً لرسالة أغلبهم فى مسيرة دعوته، ما زادها قدسية ومحبة ومهابة ومنزلة فى قلوب الجميع بلا استثناء، دينيين وملاحدة، عاميين وفلاسفة، حكاما ومحكومين؟!

وهذا هو "بيت القصيد"، و "لب" الصراع الدائم والمستمر حولها، قديما وحديثا، من أجلها ضحى الجميع بالغالى والنفيس، وحرصوا على أن تكون فلسطين هى مستقر برزخه إلى يوم النداء الأعظم للمحشر. فيأتى هذا الكتاب ليسلط الضوء لنا، وللأجيال الجديدة خاصة، على صفحات الخلود والنضال التى سطرها أسلافنا العظام، فى سبيل الحفاظ على هذه البقعة المباركة، ساحة للإيمان بالله الواحد الأحد، لكل عباده المؤمنين به.

وقد أحسن المؤلف صنعا بسرد قصص الأنبياء والرسل والأولياء والصالحين، واستخلاص العبر والدروس من حياتهم، خاصة المتعلقة بهذه البقعة المباركة، فلسطين، وأهمية تقديم سيرتهم لتعريفنا بدورهم في الحفاظ على قدسية فلسطين وبيت المقدس، ووجوب احترامنا وحفاظنا على آثارهم ومقاماتهم، لما فى ذلك من بعث للهمم، وإشعال للحماس ول"حمية" الهوية الدينية الإسلامية، بما يحفظ هذه المقدسات الدينية، فى مواقعها الجغرافية والتاريخية أولاً، ثم فى نفوس وعقول البشر ثانياً، أما ثالثاً وهو الأهم: فى قلوب أبناء الأمة العربية والإسلامية بل الإنسانية كلها.

ونظراً لإرث أمتنا العربية والإسلامية، العتيق والمتنوع، فهو يمثل كنزاً غنيا مليئا بالثروات الفكرية والثقافية، والقيم الأخلاقية والإنسانية، التى نحن في أمس الحاجة لاستعادتها واستحضارها وتجسيدها فى حياتنا المعاصرة، لتستقيم أمورها وتكون كما أرادها الله لنا فى قوله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس".

هذا العمل الموسوعى ليس مجرد مؤلف فكرى أو ثقافى أعتمد فيه أسلوب ومنهج التوثيق الشامل والدقيق لكل معلومة أو سيرة حياة الأنبياء والرسل والأولياء والصالحين، بل ليكون بذلك وعاء موثقا لحفظ تراثنا واثارنا المقدسة والتى تعرضت ومانزال للاندثار أو التدمير والمحو، للتعتيم على الهوية الإسلامية أو حتى الحضارية والتاريخية والإنسانية الأصيلة وادعاء هويات مزيفة ودخيلة!

وإنما هو "خريطة طريق" ينبغى على الإنسانية جميعا اتباعها للخروج من حالة الصراع والتحارب والتقاتل، إلى إقرار السلام والتعاون والعمل لما فيه خير الجميع، من خلال إعادة قراءة تاريخنا الإنسانى، وخاصة تاريخ فلسطين الحبيبة إلى قلب كل إنسان، ذلك الإنسان الذى جعله الله تعالى خليفة له في الأرض، ليعمرها لا ليخربها ويدمرها.

ولا يبقى لى سوى التهنئة لأخي الفاضل الأستاذ الدكتور أحمد محمد قيس، على إنجاز هذا العمل الموسوعى الضخم، متمنياً له دوام التوفيق والسداد في كل أعماله القادمة، وأن يجعل ما يقدمه للأمة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء، فى ميزان حسناته فى الدنيا والآخرة، ويبارك في عمره وأهله وذريته.

السيد محمود الشريف

نقيب السادة الأشراف في مصر

جمهورية مصر العربية - القاهرة

مقدمة سيادة المطران

عطـــا الله حنـــا

رئيس اساقفة سبسطية للروم الارثوذكس - القدس

من القدس الشريف نبعث بتحيتنا القلبية لمؤلف هذا الكتاب القيم الدكتور احمد محمد قيس وقد بذل جهودا جبارة من اجل جمع هذه المعلومات القيمة ووضع هذا المؤلف الذي يحمل قيمة روحية وحضارية وانسانية ووطنية كبيرة .

عنوان هذا الكتاب " المقامات والاضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الانبياء والاولياء فيها " ، واعتقد بأن هذا المؤلف القيم انما يعتبر اضافة نوعية للمكتبة العربية وخاصة للمراجع والمؤلفات التي تتحدث عن القدس خاصة وعن فلسطين بشكل عام.

ليست مهمة سهلة ان تقوم بصياغة مقدمة كتاب لم تقرأه بعد ولكنني على يقين بأن هذا الكتاب سوف يكون مفيدا لكل اولئك الذين يرغبون بالتعرف على القدس وعلى فلسطين وما تحتويه من مقامات واماكن مقدسة .

شكرا جزيلا للدكتور احمد محمد قيس على محبته وعلى رغبته في ان تكون المقدمة صادرة من مطران فلسطيني مقدسي يسكن في القدس والقدس ساكنة في قلبه كما هي ساكنة في قلب وفي وجدان كل عربي وكل مسلم ومسيحي .

شكرا لاستاذنا الكبير على عطاءه وعلى مجهوده الذي بُذل من اجل ان يرى هذا الكتاب النور، ولك منا الف تحية من القدس التي تبادلك المحبة فكتابك يدل على محبتك لفلسطين ولشعبها وحرصك على تاريخها ومقدساتها ومقاماتها ونحن اوفياء لك ولكل جهد يبذل من اجل هذه القضية العادلة ومن اجل الحفاظ على المقدسات والاوقاف والمقامات والتي هي جزء من تاريخنا وعراقة وجودنا في هذه البقعة المباركة من العالم.

نسأل الله بأن يقويك وان يقوي امثالك من اولئك الذين يسخرون اقلامهم في خدمة قضايا الامة وخاصة قضية فلسطين وعاصمتها القدس حاضنة اهم مقدساتنا الاسلامية والمسيحية .

ففي القدس هنالك التاريخ والحضارة والتراث وفي القدس هنالك الاقصى والقيامة توأمان لا ينفصلان حيث تتجسد الوحدة والاخوة الانسانية والوطنية في الدفاع عن مدينتنا المقدسة وفي الدفاع عن انبل واعدل قضية عرفها التاريخ الانساني الحديث.

شكرا لك من الاعماق وسدد الله خطاك من اجل كل عمل صالح وكل انجاز يؤول الى مصلحة امتنا وقدسنا ومقدساتنا وفلسطين التي هي صغيرة بمساحتها ولكنها كبيرة بالرسالة الروحية والانسانية والوطنية التي تحملها .

القدس الشريف ٢٩ حزيران٢٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة مجلس علماء فلسطين
أ.د. حسين محمد قاسم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن فلسطين أرض مقدسة مباركة تشتاق إليها أفئدة المؤمنين منذ فجر التاريخ، وقد اختارها الله تبارك وتعالى لتكون مهبط الوحي، وأرض الرسالات، هاجر إليها إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقصدها موسى عليها السلام فراراً من بطش فرعون، وفيها نزل عليه الوحي، ثم عاد ليخرج بني إسرائيل من الاستعباد ويعبر بهم اليمَّ قاصداً بيت المقدس، لكن الله تعالى توفاه قبل دخولها، وفيها عاش إسحاق ويعقوب وأيوب وذو الكفل وداود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم، وفيها ولد عيسى، وإليها أسرى الله بنبيه محمد ﷺ، ومنها صعد إلى السماء إدريس وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وقصص الأنبياء فيها أكثر من أن تحصى.

وبسبب بركة هذه الأرض ودَفْنِ عدد من الأنبياء فيها قصدها العباد والزهاد والعلماء عبر التاريخ، وقد دفن فيها عدد كبير منهم، وقد عاش فيها كثير من الصحابة ﷺ، وقبورهم شاهدة على ذلك، فهم الذين رووها بدمائهم، ونشروا فيها الإسلام.

كما طمع بأرضها كثير من الملوك والحكام، فقصدوها وقاموا باحتلالها، حتى ذكرت كتب التاريخ أن فلسطين قد احتلت ٢٣ مرة، وفي كل مرة يقوم أهلها بتحريرها، لتعود هذه الأرض لأصحابها، ورغم كثرة الشعوب التي احتلتها عبر التاريخ، إلا أنه لم يزعم أحد ملكيتها، فأصحابها موجودون ويدافعون عنها باستمرار، إلى أن احتلها الصهاينة في منتصف القرن العشرين، وادَّعَوا زوراً وبهتاناً أن أرض فلسطين ملكاً لهم.

فكان لا بد من أن يقوم العلماء بدورهم في رد هذا الادِّعاء الباطل، فانتشرت كتاباتهم في هذا المجال، وقد اطلعت على كتاب الدكتور **أحمد محمد قيس** بعنوان: **المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الأنبياء والأولياء فيها**، وقد وجدته عبارة عن موسوعة علمية شاملة، يحتاج إعداده في العادة إلى عدد كبير من العلماء المتخصصين، أو إلى مركز دراسات، فإعداده بيد عالم واحد يعتبر إنجازاً نوعياً مميزاً، لما يحتوي عليه من معلومات مهمة عن الأنبياء والأولياء في فلسطين، فلا يسعني إلا أن أبارك للدكتور أحمد محمد قيس هذا الإنجاز الموسوعي العظيم، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناته، وأرجو من الله تعالى أن يبارك له في عمره ليزود العالم بدراسات جديدة من هذا النوع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الأستاذ الدكتور حسين محمد قاسم

رئيس مجلس علماء فلسطين

تقديم رئيس تجمع العلماء المسلمين في لبنان الدكتور حسان عبد الله لكتاب الدكتور أحمد قيس (المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الأنبياء والأولياء فيها)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، اطلعت على الكتاب القيم للدكتور أحمد قيس، والذي عنونه بعنوان "المقامات والأضرحة المقدسة في فلسطين وقصص الأنبياء والأولياء فيها". والحقيقة أن هذا الكتاب يحتوي على جهد رائع، وجهد مضني، وهو من اختصاص الدول التي يجب عليها أن تقوم بإحياء الآثار التي تركتها الأمم السابقة، ولأنه لا يوجد عمل من هذا القبيل قامت به هذه الدول والحكومات، انبرى الدكتور أحمد قيس وبجهد فردي أكاد أقول أنه تجاوز لحد الفرد إلى حد الجماعة، ومع ذلك أبدع وقدم لنا سِفراً رائعاً يحتوي تفصيلاً مهما عن كل مقام أو ضريح مقدس في فلسطين، وأبرز فيها تاريخ هذه المقامات والأضرحة والأشخاص الذين بنوها أو الأشخاص الذين هم في داخل هذه الأضرحة. تحدث عن تاريخهم وأشار إلى ما تعانيه هذه الأضرحة من إهمال من قبل السلطات، خاصة لأن السلطات التي تسيطر على فلسطين، تحاول أن تخفي تاريخ هذه المنطقة، وتحاول أن تقول وتعمل بجهد من أجل أن تجد دليلاً واحداً على أن هذه الدولة أو أن هذه المنطقة يهودية الأصل، فقد أقامت حفريات كبيرة في مناطق عدة وكان الفشل حليفها، فهي لم تجد لا فوق الأرض ولا تحت الأرض ما يؤكد على كذبتها، ولذلك أعتبر أن هذا الجهد الذي قام به الدكتور أحمد قيس يأتي في إطار المقاومة العلمية لكل محاولات تزييف التاريخ التي يعمل لها الصهاينة، وهم وصلوا حتى إلى تاريخ أكلاتنا محاولين أن يقولوا أن هذه الأكلات يهودية، ولو استطاعوا تدمير الأضرحة الثابتة في الأرض والشواهد الموجودة عليها والتاريخ المرتبط فيها لما قصّروا، هذا الشيء هو الذي حاول وعمل ونجح فيه الدكتور أحمد قيس في إلقاء الضوء على الغالبية العظمى من الآثار التي تركتها الأمم السابقة، وأكدت على أن فلسطين عربية إسلامية منذ القديم.

ومن ناحية أخرى أثار وتحدث عن قصص الأنبياء والأولياء في فلسطين، وذلك للتدبر في قصصهم والسعي من أجل الاستفادة منها، فكان من ناحية أخرى كتاباً يتحدث عن التاريخ العملي لهؤلاء الأنبياء والأولياء أصحاب المقامات والأضرحة، وكان مصداقا لقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) صدق الله العظيم. فهو يعمل على إزالة الغشاوة عن الأعين من خلال تقديم العبر عبر إيضاح التاريخ الذي كانت عليه الأمم السابقة للاستفادة منها في سلبياتها وإيجابياتها، والاتعاظ في المستقبل والتدبر في أمورنا من أجل صالحنا.

فبورك هذا العمل للدكتور أحمد قيس الذي أسأل الله تعالى أن يسجله في صحيفة أعماله، وأحثه على أن يستمر في هذا النهج في تقديم الأسفار المفيدة التي لم يتطرق إليها السابقون أو تطرق إليها ولكن ليس بالأسلوب الذي اعتمده الدكتور أحمد قيس، وأنا أعرف أنه قد تكلف الكثير الكثير من المال والجهد من أجل الوصول إلى هذا الإنجاز لتستفيد منه الأمم اللاحقة، وأيضاً الباحثون في التاريخ من طلاب وأساتذة ومفكرين ومثقفين، وهو يبتغي من وراء ذلك الأجر من الله عز وجل وكشف الحقائق التاريخية واخذ العِبر منها، والحمد لله رب العالمين .

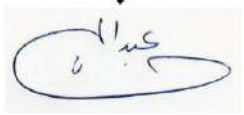

مقدمة المطران ثاوفيلوس

جورج صليبا

المقامات و الأضرحة المقدسة في فلسطين

وقصص الأنبياء والأولياء فيها

تأليف الدكتور أحمد محمد قيس

هذا كتاب ضخم بل سفر مميز في موضوعه لأن فلسطين هي رمز للعبادة وشعبها قبِل الرسالات . وهذه الرسالات هي :

- رسالة العبادة عند العبرانيين " العهد القديم " .
- رسالة العبادة عند المسيحيين .
- رسالة العبادة عند المسلمين .

وهذه العبادات الثلاث هي للمؤمنين بالله واليوم الأخير فرسالة العبرانيين هي ما نسميه اليوم العهد القديم من الكتاب المقدس وتضمن هذه العبادة الخليقة الإلهية لكل الكائنات المنظورة وغير المنظورة وتتجلى في أسفار ونبوءات العهد القديم وتحمل قدرة الله في خلق كل شيء من العدم وهذه الصفات سجلها موسى النبي الذي هو ممثل العهد القديم وينتسب إلى سلالة الأباء الأولين .

دونت كل هذه الأمور في خمسة أسفار هي : (سفر التكوين ،سفر الخروج ، سفر الأحبار "اللاويين" ،سفر تثنية الإشتراع ، سفر العدد) لخصت بهذه الأسفار الخليقة على الإطلاق .

وأنزل الله على يديه القوانين ولاسيما الوصايا العشر وحرر اليهود من عبودية الفراعنة وأتى بهم إلى أرض الميعاد " فلسطين " فهو أبو شريعة العهد القديم المكتوبة .

مع أن موسى كان موعوداً أن يأتي بشعبه إلى أرض الميعاد ولأن موسى لم ينفذ أوامر الله حرمه من أن يكون هو الآتي ومعه شعبه إلى أرض الميعاد فأعلمه الله بالوحي .

هو لن يتمكن من ذلك فعهد الله إلى تلميذه يشوع بن نون الذي أتى بشعب العهد القديم إلى أرض الميعاد وذلك بعد إنتظار ٤٠ سنة في البرية .

تسلسل أسماء الأنبياء الذين اختارهم الله وأرسلهم إلى شعب العهد القديم .

ومقابل شعب العهد القديم كانت الشعوب الوثنية التي لا تقبل الله بل لها آلهتها الخاصة فجاءت مواليد الأباء على أكثر من مرحلة .

مرحلة ما قبل الطوفان وتضم أنسال أدم وحواء والدي الجنس البشري وكانت حياة هؤلاء حياة رتيبة وأساء الإنسان إلى الله فاخطأ الجنس البشري مما جعل الله أن يضربهم بالطوفان الذي نجا منه عائلة نوح البار المكونة من ثمانية أنفس نوح وزوجته وأولاده الثلاثة سام وحام و يافث وزوجاتهم فبدت مسيرة جديدة للإنسان بعد نجاة هذه العائلة.

واستمر الانسان في حياة الخطيئة والأنبياء يتوسطون ويتضرعون الى الله ليغفر لهم ذنوبهم وكانت هذه المسيرة صعبة لتعدد الخطايا و التقصيرات البشرية وصار الأباء والأنبياء مسؤولاً عن الناس كلا في جيله وعرف من هؤلاء ابراهيم و اسحاق و يعقوب الذين كانوا النخبة الصالحة في خيال الله واختيارهم، وظهر في هذه المرحلة الممتدة و المدونة في الإنجيل المقدس في العهد الجديد من ابراهيم إلى داود النبي ١٤ جيلاً ، ومن داود إلى سبي بابل ١٤ جيلاً ومن سبي بابل إلى السيد المسيح ١٤ جيلاً أي ٤٢ جيلاً إلى المسيح فتنبأ معظم هؤلاء بعهد جديد يأتي فيه الله المثلث الأقانيم الأب والأبن والروح القدس الذي يتطوع فيه الابن أن ينزل ليتجسد وينقذ آدم وذريته بالجسد الذي لبسه آدم وكانت مرحلة دقيقة ومهمة لأن فيها كانت المواعيد والعهود و الوعود مما شكل رجاءاً عند هؤلاء .

إن خلاص الإنسان من الخطيئة هو في مقتبل الأيام .

العهد الجديد : القسم الثاني من الكتاب المقدس هو ما نسميه العهد الجديد ،العهد الذي ظهر الابن الأقنوم الثاني مولوداً وغير مخلوق ليجسد اهتمام السماء بالأرض وإنقاذ الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله فجاء السيد المسيح متمماً نبوءات الأنبياء ووعود الأنبياء للجنس البشري إن الله لم يهمل الإنسان وظل مفتقداً إياه ، وبرئته من الخطأ الذي ارتكبه الإنسان بحق اللاهوت وذلك بكل حريته ولأنه أعطاه الحرية فكان لابد من المساءلة وتحذير الإنسان من الوقوع في الخطيئة ولأن الإنسان مخلوق قادر و معطى الحرية فكان لابد من الحساب .

وتم في أيام هؤلاء الأنبياء أن سبي شعب العهد القديم أيام نبوخذ نصر القائد الأشوري من أورشليم إلى بابل وغير ذلك من الأحداث التي أكدت أن الإنسان غير قادر أن يخلص بنفسه بل هو بحاجة دائمة إلى معين ومرجع يتكل عليه فيعينه .

رسالة العبادة عند المسلمين

في القرن السادس المسيحي ظهر رجل هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب أتى بالنبوءة إلى أمته أنه رسول ونبيا مختارا من الله وأنطلق صوت غريب وجديد في صحراء العرب ينادي الله أكبر هذا الرسول بشر شعبه بأنه نبي مرسل من الله واتخذ له معاونين ومكرسين لخدمة الله

يسميهم الإسلام " الخلفاء الراشدين " أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وعمرو ابن الخطاب وعلي ابن ابي طالب وهؤلاء وأمثالهم تعاونوا مع المرسل الجديد في الدعوة الى عبادة الله الواحد الأحد ومقاومة الوثنية التي تدعو إلى عبادة آلهة التي هي عبادة المخلوق دون الخالق وصار شعارها بسم الله الرحمن الرحيم ويتبعها اصطلاح لا إله الا الله ومحمد رسول الله ، فانتشرت هذه الديانة في الجزيرة العربية وانتقلت إلى الشرق الأدنى ومنها إلى العالم أجمع .

رسالة هذه الديانات الثلاث كانت دعوة إلى عبادة الله والإحجام عن الأوثان .

وكل ديانة تدعو إلى دينها وتكرم عظمائها بالقداسة و الفضيلة و القوة الموهوبة لهم وكثر عدد الشهداء في هذه الديانات من أجل ايمانهم وصار لكل ديانة من هذه الديانات قديسوها وشهدائها ومعلموها وأوليائها و أبطالها وهم قدوة حسنة لأتباع عقائدهم .

ومن هنا صارت للمقامات الدينية محجاة يقصدها اتباعهم ويكرمونها كلا بطريقته بما يليق التكريم والاحترام بل استفاد الأتباع من سيرة هؤلاء الذين علموهم وأرشدوهم ووجهوهم إلى الصراط المستقيم ولاسيما القبور و الأضرحة التي تعزز التمسك بها لأنها تحمل أريج وعطور هذه الأضرحة و القابعين لها ليتخذ كل انسان شفيعاً ومعلماً وبطلاً من هؤلاء الغائبين بالجسد لكنهم أحياء بالروح .

وصارت الأضاحي والقرابين عنوان عطاءاتهم كل بما يفكر ويعتبروه مهماً و ختاماً لمسيرته .

ولقد أجاد الدكتور أحمد محمد قيس بكتابه هذا عنوان هذه الكلمات وقدم الكتاب على طبق من الدرر و الجواهر الكريمة للذين يؤمنون ويعتقدون ويلتزمون باعتقاداتهم وانتماءاتهم ونحن نثمن هذا الكتاب وندعو الى قراءته والاستفادة من موضوعاته .

والله من وراء القصد .

جبل لبنان في 2023/7/15 **المطران ثاوفيلوس**

جورج صليبا

مستشار المجمع المقدس

لكنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية

المقدمة

يقال: إن من ليس له تاريخ فحاضره مزيّف ومؤقت، ولا مستقبل له.

من هنا تبرز أهمية دراسة التاريخ للإطلاع على فصوله والتعلم من أحداثه، فالتاريخ هو كتاب معرفي ضخم، دُونت فيه تجارب الأمم والشعوب والأفراد الذين ساهموا بشكل إيجابي أو حتى سلبي في رسم معالم المسيرة البشرية منذ بداياتها حتى يومنا الحاضر.

وعليه فإن من ليس له تاريخ يتعلم منه أو يتعظ به، فهو حتماً يعيش حالة من الزّيف والنقص بالجانب المعرفي، لذا فإن مستقبله القريب آيلٌ إلى الانحدار والأفول على الرغم مما قد يمتلكه من جبروت مادي على كافة الصعد، وذلك لأن من طبيعة المادة الفناء، فمن يمتلك الدنيا بأدواته المادية، يكون مستقبله الحتمي الزوال والفناء لزوال وفناء ما يمتلكه من أدوات مادية فانية.

يقول الخيّام في رباعيته:

إن ذاك القصر الذي ضمّ جمشيد وفيه تناول الأقداحا
ولدت ظبية الفلا خشفها فيه وأمسى إلى ابن آوى مراحا

فالتاريخ أساس الغد، ولا مستقبل لمن لا أساس له.

وللأمتين العربية والإسلامية لديهما تراث هائل وتاريخ حافل على كافة الصعد، إلا أنهما لم يستفيدا من هذا الإرث المعرفي الذي ليس له مثيل، والدليل على هذا القول قضية فلسطين.

فمكة المكرمة هي أم القرى بالنص القرآني الواضح والصريح، إلاّ أن فلسطين وبيت المقدس تحديداً كانت مركز التلاقح الفكري والحضاري بين معظم أفراد البشرية، كما أنها شكّلت ولا تزال تشكّل ذلك الإرث القيمي الديني لأتباع جميع الرسالات السماوية على امتداد وسعة المعمورة، حيث أنها كانت وجهة الأنبياء والمرسلين على مدى التاريخ، فمنهم من دُفن بها، ومنهم من صلى بها، ومنهم من ذكرها وأثنى عليها. وسيأتي تفصيل هذا الكلام في السياق اللاحق بإذن الله.

ولطالما شكّلت هذه المنطقة وفلسطين تحديداً مركزاً للصراع بين الغرب والشرق لما لها من مكانة سامية ومقدسة في النفوس.

وعليه، فإن إعادة استقراء التاريخ الفلسطيني هو بمثابة التعرف على التاريخ الإنساني ببعديه القيمي الديني والحضاري الثقافي. وسيظهر في السياق أن لا مبالغة بهذا القول أبداً.

أهمية هذا الكتاب والمنهج المعتمد فيه

تقع أهمية هذا العمل في مسائل متعددة أهمها :

1 - حفظ التراث وتوثيقه بشكل يمنع ضياعه أو اندثاره كما حصل سابقاً ويحصل في هذه الأثناء بشكل لا يخفى على أحد، والشواهد على ذلك كثيرة.

2 - تعريف أبناء الأمتين العربية والإسلامية على هذه الكنوز الحضارية والتي تحتضنها أرض فلسطين، وخاصة أنني لمست وبشكل كبير مستوى الجهل بهذا التراث لدى العديد من أبناء ومثقفي الأمتين العربية والإسلامية، وتحديداً أحبتنا من الجيل الجديد الذي يتلقى معظم أفكاره وثقافته من خلال شبكات التواصل الاجتماعي مع ما فيها من تزييف أو عدم دقة.

3 - تقديم هذا التراث للقارئ بلغة سهلة وميسرة، بالإضافة إلى ضم العديد من الصور الفوتوغرافية حول كل موضوع بشكل يجعل القارئ العزيز يستأنس بالمشاهدة لهذه الصور بعد قراءته لموضوع المقالة.

4 - اعتماد الأسلوب السردي ذو النكهة الأدبية في صياغة وتوليفة نقل المعلومات بحيث لا يجد القارئ صعوبة في الفهم مهما كان مستواه العلمي والثقافي، لأن الهدف هو نقل المعرفة لا شيء آخر.

5 - ربط هذا التراث بشكل حسي بوجدان الأبناء الأعزاء، وهذا من شأنه توكيد العقيدة لا سيما القرآنية بشكل حسي ومباشر.

6 - التأكيد على أن الهوية الفلسطينية ساميّة عربية أصيلة، كما التأكيد على أن الوجود الفلسطيني هو الأصيل والعريق في هذه الأرض الطيبة.

بالإضافة إلى العديد من المسائل المهمة والتي سوف تبرز تباعاً في سياق هذا الكتاب.

المنهج المعتمد في هذا العمل

بعد استعراض بعض النقاط المهمة في هذا العمل، كان من الضروري أن ينسجم المنهج مع الأهداف والغايات التي وضع لأجلها هذا الكتاب.

وبما أن العناوين والمواضيع المطروحة هي ذات طابع تاريخي بامتياز، لذا كان المنهج الملائم لذلك هو الاستقراء، ولأن الاستقراء لا يمكن أن يكون تاماً وشاملاً لاعتبارات متعددة، فإنه جاء على شكل الاستقراء الناقص، ولكن معضوضاً بمنهج التحليل والتركيب بالإضافة إلى المنهج المقارن.

ومن أجل ربط السياق التاريخي بشكل علمي ومنطقي، كان لا بد من اعتماد الزمن كضابطة أساسية في هذا الخصوص.

حيث كان الحديث في البداية عن ابن آدم (شيث) وصاعداً حتى يومنا هذا، مع العلم أن بعض الأنبياء هم من أولي العزم، وبالتالي يمتازون عن غيرهم من الأنبياء، إلا أن طبيعة البحث كما أسلفت تدعو إلى اعتماد الترتيب الزمني للوصول إلى الأهداف المرجوة والتي ذكرنا بعضها آنفاً.

كما لا بد من الإشارة إلى أن بعض الآراء قد لا تتفق مع غيرها حول صحة وجود هذا المقام في هذا المكان أو غيره، لذلك عمدت إلى ذكر معظم الآراء في السياق، وختمت برأيي الخاص في آخر المقال حول صحة الأمر من عدمه، وبالتالي تركت للقارئ العزيز حرية تبني أي رأي يقتنع به، وبدون الإملاء عليه أو معارضته بما قد يكون مقتنعاً به مسبقاً.

وأيضاً هنالك مسألة تتعلق بموضوع هذا البحث وهي على درجة عالية من الأهمية، حيث قد ورد ذكر بعض الأنبياء أو الرسل في التوراة ولم يُذكروا في الإنجيل، أو ذُكروا في الإنجيل ولم يُذكروا في التوراة، في حين أن القرآن الكريم قد ذكر أغلبهم في العديد من الآيات المباركات تارة بالاسم وتارة بالكناية، لذا كان الاعتماد بالنقل على التراث الإسلامي المشترك بالدرجة الأولى، مع إجراء شيء من المقارنة مع الكتب السماوية السابقة في هذا الخصوص، ومع الإشارة إلى ذلك في موضعه المناسب.

وأيضاً هناك بعض الآراء والتباينات حتى في الدائرة الإسلامية، حول عدة مسائل: كعصمة الأنبياء والرسل، أو طهارة آباء الأنبياء وأمهاتهم، أو مسألة جواز التوسل أو التبرك بالأضرحة والمقامات، أو غير ذلك، فإنني عزفت عن هذه الآراء المتباينة والتي هي دخيلة على الفكر الإسلامي الأصيل، ولا ترتبط بموضوع هذا الكتاب الذي تحدثت عن أهدافه آنفاً.

كما أنني ابتدأت بإطلالة تاريخية على أرض فلسطين وفق أهم

المصادر والمراجع، وذلك لرسم معالم أولية في ذهن القارئ العزيز على أهمية هذه البقعة الجغرافية في أعماق التاريخ، وعلى أهم الصراعات التي دارت عليها أو من أجلها، ليستنتج في النهاية أن مورد قداستها هو من تلك الدماء الزكية التي أريقت عليها ظلماً وعدواناً عبر العصور المتلاحقة.

وكان مما جاء في وصية للإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام يقول فيها: «... أي بني، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم. بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله...»[1].

وقبل الختام لا بد من أن أتوجه بالشكر إلى كل من نقيب الأشراف الدكتور السيد محمود الشريف في جمهورية مصر العربية، ورئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس في القدس المطران عطالله حنّا، ورئيس مجلس علماء فلسطين الدكتور حسين محمد قاسم، ورئيس تجمع العلماء المسلمين في لبنان الدكتور حسان عبد الله، وراعي كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية المطران ثاوفيلوس جورج صليبا، على ما

(1) نهج البلاغة، الجامع لخطب ورسائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، دار الأندلس، بيروت، ص476/ 477.

تفضلوا في كتابة مقدمات هذا العمل وما جاء فيها من تشجيع وثناء، وأيضاً الشكر موصول إلى الإخوة الأوفياء الذين بذلوا معي الجهد والعناء حتى يخرج هذا العمل إلى النور لاسيّما العلامة الشيخ توفيق علوية، والدكتور علي عزالدين، والأستاذ ثائر أحمد الغضبان، والإعلامية سيلينا أديب عمون، والفاضلة ماجدة سلامة وغيرهم الكثير من الأصدقاء، فشكراً جزيلاً.

وفي الختام، لا أدعي العصمة في ما كتبت أو نقلت، بل إن جل همي هو حفظ الأمانة للأجيال بأكبر قدر من الدقة العلمية التي سددني المولى ﷻ إليها، وما أكون قد قصّرت فيه، أو غفلت عنه، فعذري لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) سورة الإسراء، الآية: 85.

فلسطين في التاريخ

تعتبر فلسطين من بلاد الشام بشكل عام[1]، وهي كانت من جملة المناطق التي انتشرت فيها ذرية سام بن نوح عليه السلام بشكل واسع كما سيظهر معنا.

وباللغة قد تجمع الشام على (شامات) وتسمى الشام بذلك، ومن الناس من لا يجعله إلا شاماً واحداً، ومنهم من يجعله شامات فيجعل بلاد فلسطين والأرض المقدسة إلى حد الأردن شاماً، . . . وكل ما هو على ساحل البحر وكل ما قابل شيء منه شيئاً من الشامات فيحسب منه.

ويقال إن فلسطين سميت بفلسطين بن سام بن نوح، أو بفلسطين بن كلتوم، أو بفلستين بن كلوخيم من بني يافث بن نوح، ثم عرّبت فليشين[2].

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت، ج6، ص444.

(2) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجيد الدين الحنبلي، مكتبة دنديس، الخليل، 1999، ص126، وانظر أيضاً: محمد كرد علي، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ج1، ص7، وما بعدها بتصرف وأنظر أيضاً: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي المعروف بالبشاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، الطبعة 3، ص34.

كما دلت السجلات الرافدية والسورية الشمالية على أسماء المناطق الواقعة جنوب بلاد الشام، وذلك في الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت تعرف بلاد الشام كلياً في تلك الفترة باسم «أمورو» أو الأرض الغربية، أما فلسطين فقد عرفت منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد بأرض كنعان، وغالباً فإن أصل كلمة فلسطين هي (فلستيبا) التي وردت في السجلات الآشورية، إذ يذكر أحد الملوك الآشوريون سنة 800 قبل الميلاد أن قواته أخضعت (فلستو) وأجبرت أهلها على دفع الضرائب.

وتتبلور صيغة التسمية عن هيرودوتس على أسس آرامية في ذكره لفلسطين «بالستين»، ويستدل أن هذه التسمية كان يقصد بها الأرض الساحلية في الجزء الجنوبي من سوريا الممتدة حتى سيناء جنوباً وغور الأردن شرقاً[1].

ويقول عالم الآثار واللغة (أولبرايت): إن الشكل السائد للتراكيب العظمية والجماجم البشرية الأصفى للقبائل السامية قد ظهر في العصر الحجري المتوسط منذ نحو عشرة آلاف سنة، وهذا بالتأكيد يدل مع آراء متعددة لباحثين ثقات بأن العنصر السامي هو العنصر الأساسي في التركيب الجنسي لفلسطين منذ ذلك الوقت إلى الآن، فعندما هاجرت القبائل الكنعانية والعمورية من جزيرة العرب إلى نواحي القدس وفلسطين قبل الميلاد بأكثر من ثلاثة آلاف عام، لم تكن هذه المناطق خالية من السكان، وإنما عاش فيها وقبل عشرة آلاف عام إنسان بدائي

(1) وفاء، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، الموقع الرسمي، بتصرف.

- كما يقول الأثريون - يسمى (إنسان فلسطين)، ثم جاء من بعده (إنسان البحر المتوسط) بحسب تعبيرهم[1].

وفي الاكتشافات الحديثة لا سيما الحفريات التي جرت في (تل مرديخ) شمال سوريا، والتي أسفرت عن اكتشاف آثار لمملكة قديمة سميت (إيبلا)، فقد وجد المنقبون نماذج فخارية مماثلة تماماً للفخار المكتشف جنوب مدينة القدس الحالية وذلك في الموقع الذي كان نواة للمدينة اليبوسية القديمة.

ويعود تاريخ هذا الفخار إلى العام (3000 - 2100 قبل الميلاد).

وهناك من يعتقد أن اليبوسيين بنوا القدس على المرتفعات الجبيلية ليس فقط لتكون عاصمة لهم، ولكن أيضاً لتربط بين قسمي الدولة الجنوبي والشمالي، ويذكر من أسماء ملوك القدس الأوائل اسم (سالم اليبوسي)، والبعض يقول إن سالماً هذا هو مؤسس المدينة، وعليه فإن أول اسم عرف لهذه المدينة كان نسبة إلى هذا الملك (أوروسالم/ 1800 قبل الميلاد). أي أوروشليم حالياً. كما ذكر من ملوك القدس الأوائل أيضاً (ملكي صادق) الذي ورد ذكره في التوراة بأنه كان رجلاً مباركاً وصالحاً، وأنه استقبل النبي إبراهيم عليه السلام وباركه[2].

وهناك إشارات كثيرة وردت في التوراة سنذكرها في السياق، تؤكد

(1) حسن علي مصطفى خاطر، موسوعة القدس والمسجد الأقصى، المجلس العلمي الفلسطيني، القدس، 2004م، ج2، ص10، بتصرف.

(2) الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، 1970، ص242 وما بعدها.

أن هذه المدينة كانت قلعة حصينة، وأنها كانت مدينة مقدسة ليس عند أهلها فحسب وإنما عند الكنعانيين في مختلف المدن الكنعانية الأخرى[1].

والشواهد في العهد القديم (التوراة) كثيرة جداً التي تتحدث عن وجود الشعب الفلسطيني في أرض فلسطين قبل وصول الشعب العبراني اليهودي إليها مع يوشع بن نون عليه السلام. وعلى سبيل المثال لا الحصر: (الإصحاح العاشر في سفر يشوع) الذي يتحدث عن الحلف الخماسي في مواجهة يوشع بن نون عليه السلام، حيث أن هؤلاء الملوك كانوا من اليبوسيين والكنعانيين، والأموريين والحثيين.

وأيضاً في (الإصحاح الثالث عشر من سفر يشوع)، والذي يعتبر من أهم الأدلة على سبق الوجود الفلسطيني لليهود في أرض فلسطين، حيث جاء فيه: «وشاخ يوشع تقدم في الأيام، فقال له الرب أنت قد شخت تقدمت في الأيام، وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشجور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الفزي والإشدودي والإشقلوني والجتي والعقروني والعويين. . . .»[2].

وأيضاً في سفر القضاة الإصحاح الأول، والإصحاح التاسع عشر الفقرة العاشرة، وسفر صموئيل الثاني الإصحاح الخامس، وغيرها

(1) موسوعة القدس والمسجد الأقصى، م.م.، ص11، بتصرف.
(2) الكتاب المقدس، م.س.، سفر التكوين، الفقرة 18، 19 و20.

الكثير الذي لا يمكن إيراده هنا خشية الإطناب، ولوضوح المعنى المتقدم.

وبناء على ما تقدم، فإننا نستطيع الجزم بأن الوجود الفلسطيني هو الأصيل في هذه البقعة الجغرافية من الأرض الطيبة.

أما عن هوية سكانها هل هم شعوب عربية سامية أم غير ذلك؟

فهذا ما سوف نتعرف عليه الآن ولكن بعد الإشارة إلى مسألة مهمة انتبهت لها وقد تكون مورد شبهة عند البعض.

وهذه المسألة تدور حول إظهار الحق وأصحابه بمعزل عن الهوية الدينية، ومن المعروف أن التفاضل بين أفراد البشرية يكون بالتقوى وذلك بحسب المفاهيم القرآنية التي اعتنقها وأؤمن بها، أما في مجال الخصومات والنزاعات فإن المطلوب هو إعطاء الحق لصاحبه بمعزل عن هويته الدينية أو ما يحمل من فكر وعقيدة، وهذا أيضاً مفهوم قرآني حيث يقول تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ويوشع بن نون عليه السلام مع بني إسرائيل في تلك الفترة كانوا قطعاً من المؤمنين بالله ورسوله موسى عليه السلام، أما الفلسطينيون فبحسب ما ورد عن ملك القدس ملكي صادق فيبدوا أنهم كانوا على دين التوحيد أو غير ذلك.

(1) سورة المائدة، الآية: 8.

ولكن في مسألة إظهار الحقائق فإن العقيدة الإسلامية تدعونا إلى إنصاف صاحب الحق ولو كان من غير المؤمنين بالله سبحانه، هذا إن ثبت بشكل قاطع أنه غير مؤمن، فكيف والأمر الذي يظهر معنا لا سيما في التوراة وكما ورد معنا أنهم كانوا على دين التوحيد؟ إذاً هم أصحاب حق ولديهم شبهة إيمانية كبيرة، أعني بذلك الشعب الفلسطيني المظلوم.

أحببت أن أجيب عن هذه الشبهة، والتي قد تطرأ على ذهن البعض بشكل مسبق، قبل دراسة هوية الشعب الفلسطيني في تلك الحقبة من التاريخ.

يقول جرجي زيدان عن الساميين في غربي آسيا وشرقي أفريقيا: «هم الفرع الشرقي من القوقاسيين الأصليين قطعوا البحر الأحمر إلى جزيرة العرب والغالب أنهم وجدوا تلك الجزيرة خالية، فأقاموا فيها دهراً ومنه تفرعت الشعوب السامية، والأقرب إلى العقل أن النازحين من أفريقيا طلبوا سهول سوريا وما بين النهرين أولاً وتكيفوا هناك ثم انطلقوا نحو الجزيرة العربية.

إلا أن أصحاب الرأي الأول يقولون إن من بلاد العرب تفرق الساميون في غربي آسيا قبل زمن التاريخ، وعاد بعضهم إلى أفريقيا وهم الأحباش وغيرهم، وكان الساميون في أول عهدهم بادية، ثم ما لبثوا أن صاروا أمماً واستقروا في جزيرة العرب وما بين النهرين وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والحبشة، وقسموا بهذا الاعتبار إلى:

1 - **عرب الجنوب**: وهم الحميريون والصابئة والأحباش ولغاتهم قديمة وكتابتهم بالحرف المسند.

2 - **عرب الشمال**: أو عرب الحجاز وتسميهم التوراة بالإسماعيليين وهم الذين قاموا بالإسلام ونشروا لغتهم في اقطار الأرض لاحقاً.

3 - **الآشوريون**: كانوا يقيمون قديماً في بابل نحو 2500 سنة قبل الميلاد ثم توسعوا نحو دجلة وإلى ما وراء نينوى، وقد انقرضت هذه الأمة في القرن السادس قبل الميلاد.

4 - **الآراميون والأموريون**: انتشروا في ما بين النهرين وسوريا وبعض فلسطين وأرمينيا وآسيا الصغرى وشمال فارس الغربي، وهم متوسطون بين الآشوريين والكنعانيين، يتكلمون لغة سريانية أو كلدانية انقرضت من سوريا ولا تزال شائعة عند النساطرة في كردستان، وهي اللغة التي كان اليهود يتكلمون بها في أثناء سبيهم، وقد كتب بها بعض سفر دانيال والتلمود وتكلم بها السيد المسيح عليه السلام.

5 - **الكنعانيون**: ومنهم الفلسطينيون والفينيقيون والقرطاجيون واليهود وغيرهم، لغاتهم متشابهة إحداها محفوظة في أسفار العهد القديم هي العبرية، وتم العثور على آثار منقوشة بلغة أخرى لهم في فينيقية وقرطاجة هي اللغة الفينيقية[1].

ومن خلال هذا السرد المتقدم يظهر معنا جلياً أن الشعب الفلسطيني القديم من أصول سامية لا شبهة فيها، كما أنهم من الشعوب الكنعانية العربية التي استوطنت فلسطين، حيث ينتمي الكنعانيون إلى

(1) جرجي زيدان، طبقات الأمم، دار التراث، بيروت، 1969، ص224 وما بعدها بتصرف.

عائلة الشعوب السامية من جهة، ولاستقرارهم في جنوب سوريا وفلسطين حيث سيطروا عليها سيطرة تامة من عام 1184 قبل الميلاد وحتى 539 منه، حتى أن هذه المناطق عرفت باسم أرض كنعان أو بلاد كنعان، وذكروا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما أن بعض المؤرخين القدامى من العرب كانوا يطلقون عليهم اسم العماليق، وأيضاً تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الكنعانيين من أولى الشعوب السامية التي قطنت الوطن العربي حوالى عام 3300 قبل الميلاد من جهة أخرى[1].

وعلى هذا يتضح معنا أن الشعب الفلسطيني هو من الشعوب السامية كما أنه ينحدر من الكنعانيين العرب لا سيما بعد استقرارهم في بلاد الشام وفلسطين تحديداً كما مرّ معنا آنفاً.

ومن خلال هذا السرد المتقدم كان يهمني فقط إظهار أصول الشعب الفلسطيني من جهة، كما إظهار أصالة وعراقة وجودهم في هذه البقعة الجغرافية من الأرض من جهة ثانية، أما عن الأحداث التاريخية التي حصلت على أرض فلسطين الطيبة لا سيما من بداية الحقبة الكنعانية عام 3500 قبل الميلاد وصولاً إلى الإمبراطورية البيزنطية عام 629 بعد الميلاد ولاحقاً إلى مرحلة الفتح الإسلامي في العام 638م،

(1) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مكتبة الحياة، بيروت، لا.ت.، ص43 وما بعدها بتصرف، وانظر أيضاً: خطط الشام، م.م.، ص30 وما بعدها بتصرف، كذلك انظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طه باقر، دار الوراق، لندن، 2009، ص441 وما بعدها بتصرف. وانظر أيضاً: تاريخ غزة، عارف العارف، مطبعة دار الأيتام، القدس، 1943م، ص13.

فإنني سوف أذكر أسماء بعض الكتب لمن يحب أن يتوسع بالمطالعة حول هذه الفترة الزمنية المذكورة. وأسماء هذه الكتب هي:

1 - قصة الحضارة، لمؤلفه ول ديورانت، صادر عن دار الجبل بيروت، 1992م.

2 - من تاريخ سورية الدنيوي والديني، لمؤلفه المطران يوسف الدبس، بيروت، عام 1893م.

3 - تاريخ الحضارات العام، إشراف موريس كروزيه، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة 4، 1998م.

4 - تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998م.

5 - الكامل في التايخ، أبي الفدا عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 3، عام 1998م.

6 - خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوي، دمشق، الطبعة الثانية، 1983م.

7 - العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ إصدار.

8 - تواريخ الأنبياء، حسن لواساني، منشورات لوسان، بيروت، الطبعة الأولى، 1964م.

9 - تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

وغيرها الكثير، كما سيظهر معنا تباعاً في المقالات اللاحقة بإذن الله.

Iericho.

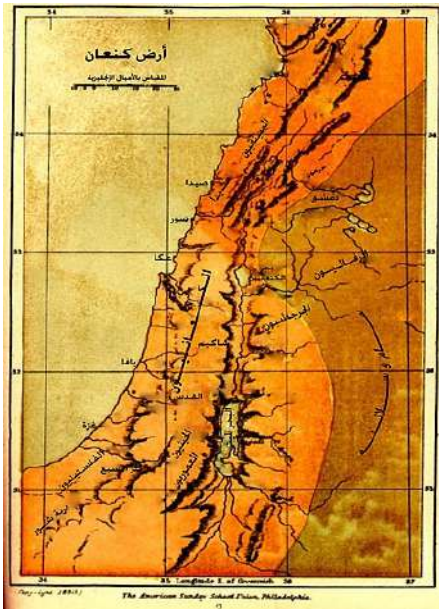
أرض كنعان

HIEROSOLYMA VRBS SANC
TA IVDAEAE TOTIVSQVE
ORIENTIS LONGE CLARIS
SIMA QVA AMPLITVDINE AC
MAGNIFICENTIA HOC NOS
TRO AVO CONSPICVA EST.

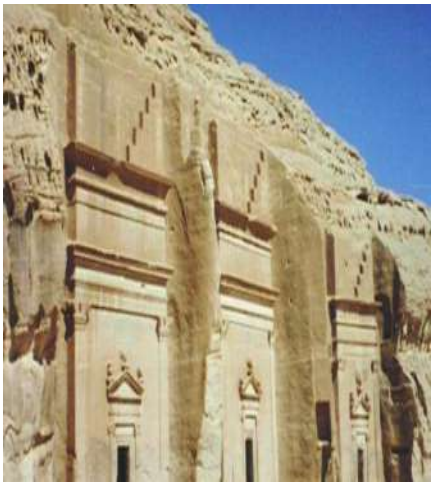

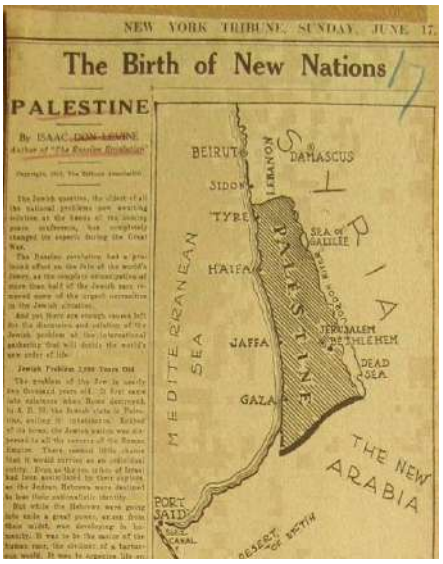
NEW YORK TRIBUNE, SUNDAY, JUNE 17,

The Birth of New Nations

PALESTINE

By ISAAC DON LEVINE

Author of "The Russian Revolution"

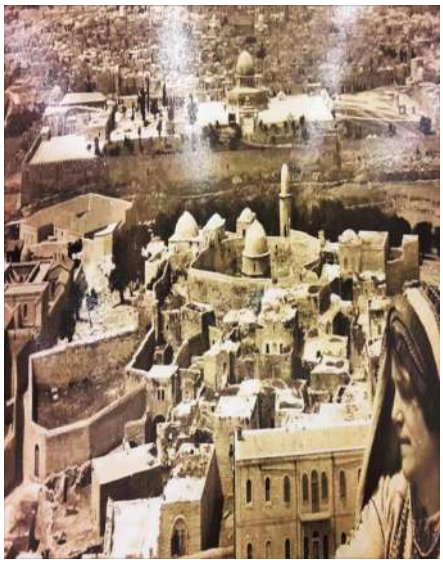

خارطة فلسطين العربية
الجمهورية العربية السورية
المملكة الأردنية الهاشمية
جمهورية مصر العربية
البحر الأبيض المتوسط
البحر الميت
سيناء
خليج العقبة

النبي شيث عليه السلام

هو النبي شيث ابن النبي آدم أبو البشر ووالدته حواء زوجة آدم وأم البشرية عليهم جميعاً السلام.

وكانت ولادته المباركة بعد مضي خمس سنوات من حادثة قتل قابيل لأخيه هابيل، وهي أول جريمة ارتكبت على الأرض بعد هبوط آدم عليه السلام من الجنة، وكان عمر آدم عليه السلام 130 سنة عندما رزق بولده النبي شيث عليه السلام، بحسب ما قاله بعض المؤرخين[1]، في حين أن البعض الآخر قال إن عمر آدم عليه السلام كان يومذاك 235 سنة[2]، والبعض الآخر 120 سنة[3].

والأصح بحسب التدقيق هو الرأي الأول لشهرته.

واسم شيث هو باللغة العبرية ويعني (هبة الله)، اشتق له من اسم

(1) تاريخ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1998م، ط الأولى، ج1، ص115.
(2) تواريخ الأنبياء، حسن لواساني، دار لوسان، بيروت، 1964م، ط الأولى، ص42.
(3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ط3، ص43.

أخيه المقتول هابيل، وبحسب الرواية عن ابن عباس رضي الله عنه التي ذكرها الطبري في تاريخه والتي جاء فيها أن جبريل عليه السلام قال لحواء عليها السلام حين ولدت ابنها: «هذا هبة الله بدل هابيل»[1].

والنبي شيث عليه السلام هو أول وصي من الآدميين في الأرض، إذ أوصى آدم عليه السلام إليه لخلافته في أمور الدين والدنيا، حيث يؤكد المؤرخون أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته بذلك، ثم دفع بهذه الوصية إلى شيث عليه السلام وأمره أن يخفيها عن قابيل وولده، لأن قابيل قتل هابيل حسداً منه حين خصّه آدم عليه السلام بالعلم، فعمل شيث بهذه الوصية كما طلب منه والده آدم عليه السلام.

وبقي شيث عليه السلام مقيماً بمكة المكرمة، إذ أنه عليه السلام هو الذي أكمل بناء الكعبة بالحجر والطين كما أنه كان يحج ويعتمر طوال فترة حياته في تلك البقعة الطاهرة من الأرض، وأيضاً كان يعمل وفق الأحكام الشرعية التي أنزلها الله عليه، وبما أنزل على أبيه آدم عليه السلام من قبل، وذلك بشكل سري عملاً بوصية أبيه آدم عليه السلام وخشية من أخيه قابيل الذي توعده بالقتل.

واستمر شيث عليه السلام ناهضاً بهذه المسؤولية، وكان يخبر ذريته وذرية أبيه بخروج نبي من نسله يقال له (نوح) عليه السلام يجهر بأحكام الله، ويبعث إلى قومه فيكذبونه ويهلكهم الله تعالى بالغرق.

(1) تاريخ الطبري، ج1، ص115.

ولما انقضت أيام شيث عليه السلام وحضرته الوفاة وكان له من العمر 912 سنة، أوصى إلى ابنه «أنوش»، وعاش أنوش 705 سنين، وقام بعد أبيه بسياسة إدارة ورعاية وتدبير أمور قومه على نهج أبيه من غير تعديل أو تبديل، إلى أن حضره الأجل المحتوم فأوصى إلى ابنه «قينان»، ولما انقضت أيام قينان أوصى إلى ابنه «مهلائيل»، ولما تمت أيام حياة مهلائيل أوصى إلى ابنه «يرد» وهو والد النبي إدريس عليه السلام، وقد أمضوا كلهم حياتهم على نهج وسبيل جدّهم آدم وابنه شيث عليه السلام، إلى أن انتهى الأمر إلى النبي إدريس عليه السلام، كل ذلك بحسب ما ذكره المؤرخون كابن الأثير والطبري وغيرهم.

أما عن مكان دفن النبي شيث عليه السلام، فإن معظم المؤرخين يذكرون بأنه دفن عليه السلام إلى جوار والديه آدم وحواء عليهما السلام في غار في جبل أبي قبيس في مكة المكرمة في أول الأمر، وفي زمن نوح عليه السلام وقبل مسألة الطوفان عمد نوح عليه السلام إلى حمل جثامين آدم وحواء وشيث عليهم السلام معه في السفينة إكراماً وتنزيهاً لهم عن العذاب الذي كان سيحل بالأرض من خلال الطوفان.

أما عن مكان دفنهم بالمرحلة الثانية، فقد تعددت الآراء حول ذلك:

أ - فالرأي الأول يقول: لما غاضت الأرض الماء ردهم نوح عليه السلام إلى المكان الذي كانوا فيه قبل الطوفان، أي إلى جبل أبي قبيس في مكة.

وهذا ما يذهب إليه الطبري في تاريخه، كذلك الجزائري في قصصه[1].

ب - والرأي الثاني هو لابن الأثير في تاريخه أيضاً حيث يقول: بأن نوح عليه السلام دفنهم ببيت المقدس في فلسطين من خلال رواية نقلها عن ابن عباس رضي الله عنه .

وهذا ما نقله مجيد الدين الحنبلي أيضاً في كتابه[2]، والدكتور محمود إبراهيم في كتابه أيضاً[3].

ج - أما الرأي الثالث وهو الأشهر بين هذه الآراء، حيث يقال فيه إن قبر شيث عليه السلام هو بقرية كانت تعرف باسم «بشرعين» وحالياً تعرف باسم «النبي شيث»، قرب كرك نوح في البقاع اللبناني، ولقد زار ابن الجبير هذا الضريح ووصفه في كتابه[4]، كما أن ابن بطوطة أشار إلى ذلك بشكل عام[5]، وأيضاً: مجيد الدين الحنبلي[6]، وكذلك ابن فضل

(1) قصص الأنبياء والمرسلين، نعمة الله الجزائري، مكتبة الفقيه، الكويت، 2002م، الطبعة الأولى، ص79.
(2) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المكتبة الحيدرية، النجف، 1966م، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص18.
(3) فضائل بيت المقدس، محمود إبراهيم، المنظمة العربية للتربية والثقافة، الأردن، 1985م، من صفحة 283 وما بعدها.
(4) رحلة ابن الجبير، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص203، وما بعدها.
(5) رحلة ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي، دار صادر، بيروت، 2001م، ص49.
(6) الأنس الجليل بتايخ القدس والخليل، مجيد الدين الحنبلي، المكتبة الحيدرية، النجف، 1966م، ص21.

الله العمري المتوفى سنة 739هـ[1]، ومحمد كرد علي في خططه[2]، والدكتور عراف في طبقاته[3]، وغيرهم، وعليه فإنني أعتقد بصحة هذا المقام على الرغم من وجود رأي رابع ضعيف يقول بوجود قبر النبي شيث عليه السلام في نابلس إلا أنه وبحسب المراجعة المتقدمة آنفاً لم أجد دليلاً عليه، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

وهذا المقام الشريف المعروف والمشهور في لبنان لا سيما في بقاعه، هو مقام عامر ويؤمّه الناس بأعداد غفيرة، وقد تشرفت بزيارته في إحدى المناسبات، ولا يزال الضريح الشريف على حاله كما وصفه ابن الجبير في رحلته أن طوله ثلاثون قدماً[4]، وأحب أن أشير إلى أمر قد يتساءل عنه القارئ العزيز في هذه المرحلة من القراءة، على الرغم من أنني قد ذكرتها في المقالة السابقة ولا بأس بالإعادة هنا، وهي أن لبنان وفلسطين من أعمال الشام، ومنطقة كرك نوح وقرية (بشرعين) أو (النبي شيث) حالياً، هي من امتدادات فلسطين قديماً، وبالتالي ذكر هذه المقالة مع المقامات والأضرحة في فلسطين هو أمر ضروري وطبيعي، ولا يجافي الواقع التاريخي، وهذه بعض الصور الفوتوغرافية لهذا المسجد والمقام للنبي شيث عليه السلام في بقاع لبنان.

(1) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحيى دار الكتب العلمية، بيروت، ص268.

(2) خطط الشام، مصدر مذكور، صفحة 51 وما بعدها.

(3) طبقات الأولياء والصالحين في الأرض المقدسة، شكري عراف، مطبعة مخول، لبنان، 1993م، ص23.

(4) أقول إن طول القبر كذلك أما مسألة طول قامة النبي شيث بحسب زمانه فهذا بحث موكول إلى الدراسات والبحوث حول طول وقصر الأجسام.

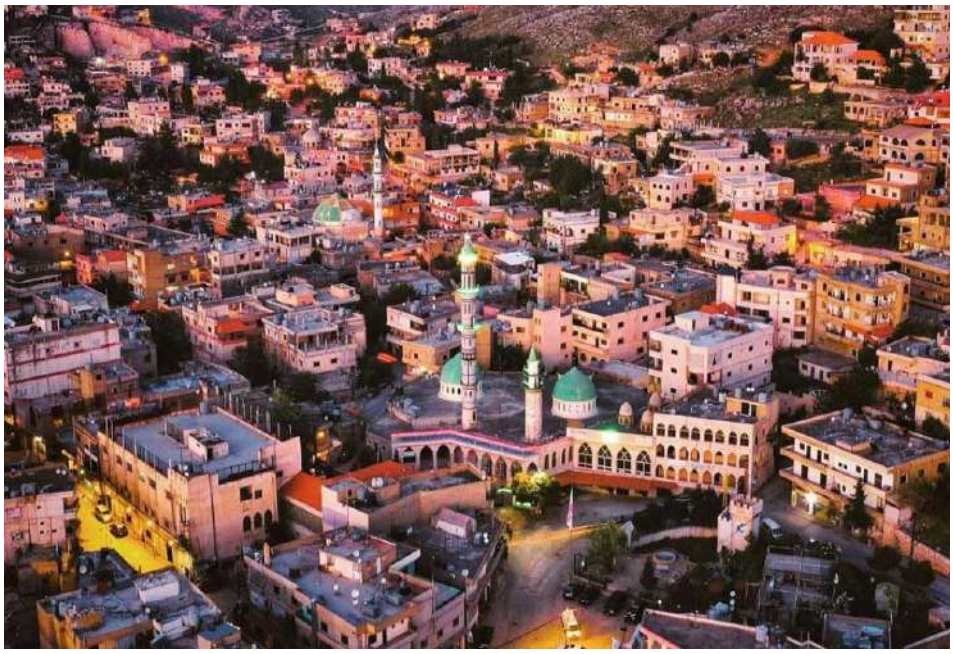

صورة جوية للمقام داخل البلدة

صورة أقرب للمقام و المسجد

صورة لمدخل المسجد والمقام

صورة للمقام الشريف من الداخل

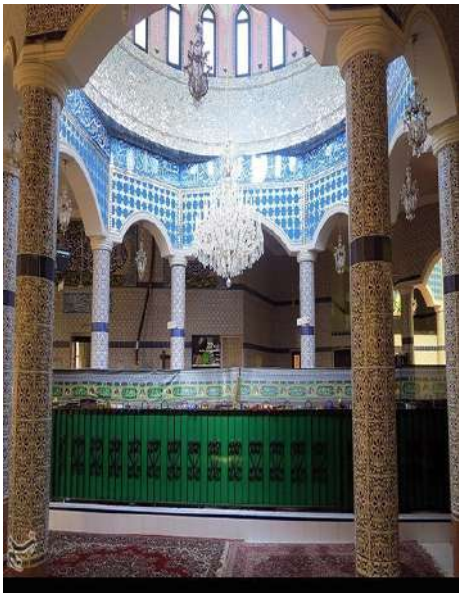

صورة للمقام وتبدو العتبة التي فوقه

صورة للوحة الزيارة الخاصة
بنبي الله شيث عليه السلام داخل المقام

صورة جانبية للمقام الشريف من الداخل

النبي نوح عليه السلام

هو النبي نوح عليه السلام بن (لمك) بن (متوشلح) ابن النبي إدريس عليه السلام .

ووالدته كان اسمها : قينوش ابنة براكيل بن محويل بن إدريس عليه السلام . وزوجته كانت عزرة بنت براكيل وجدّها النبي إدريس عليه السلام ، وفي رواية أخرى كان اسمها واغلة وهي والدة كنعان وكانا كافرين بدعوة نوح عليه السلام .

وأما أولاده فهم : سام وحام ويافث من زوجته عمورة المؤمنة[1] .

وهو عليه السلام أول نبي بعد إدريس عليه السلام ، وكان اسمه عبد الغفار، وإنما سمي نوحاً لكثرة نواحه خوفاً من الله تعالى ثم حسرة على ضلال قومه. وهو أول الأنبياء الخمسة أولي العزم (أي أصحاب الرسالات العالمية) المبعوثين إلى الجن والإنس، وهم أفضل الأنبياء، والأربعة بعده : إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

(1) الكامل في التاريخ، مصدر مذكور، ص52، وانظر أيضاً : تاريخ الطبري، م.م.، ص129.

كان نوح عليه السلام نجاراً، وكان كثير الشكر لله تعالى، حتى أثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[1]، وذكره المولى عز وجل، في العديد من الآيات، وكان يقال له «شيخ الأنبياء» لكونه أطولهم عمراً، إذ أن المشهور بين المؤرخين بأنه عليه السلام عاش قرابة 2500 سنة.

وهو عليه السلام أول من أحدث المدن الكبيرة وبنى البلدان، وأسكن فيها ولده وذراريه بعد نزوله من السفينة وغرق الكفار من باقي البشرية.

لذلك يقال عنه بأنه «أبو البشر الثاني» بعد آدم عليه السلام.

وقد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام، فمنهم من قال بأنهم فاسقين، ومنهم من قال بأنهم كانوا على دين أحد الملوك، ويذكر ابن الأثير والطبري بأن اسمه عند العرب (الضحاك)، وكان هذا الملك فاسقاً وفاسداً ويعمل بالسحر ويخوّف الناس بذلك، ويضطهد ويقتل كل من لا يطيعه على دينه الوثني، ومنهم من قال بأنهم من عبدة الأوثان كما صرّح القرآن الكريم بذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾[2]. فمن خلال هذه الآية الكريمة يظهر جلياً وثنية هذه الجماعة من الناس، وهذا هو الصحيح لأنه من لدن رب العالمين.

ولما بعث عليه السلام إلى قومه أخذ يدعوهم إلى الله تعالى في الليل والنهار، ويعظهم ويحذرهم العذاب سراً وجهاراً، وقد وردت هذه

(1) سورة الإسراء، الآية: 3.
(2) سورة نوح، الآيتان: 23 - 24.

التفاصيل في السورة المباركة التي تحمل اسمه (نوح) ومع ذلك كانوا لا يزدادون بمواعظه إلا كفراً وطغياناً، وحتى أنهم كانوا يثورون عليه ويضربونه حتى تسيل منه الدماء ويغشى عليه.

واستمر على هذه الحال معهم لمدة طويلة جداً، وفي كل مرة كان يهم بالدعاء عليهم، إلا أن المشيئة الإلهية من خلال الوحي الأمين كانت تأمره بالصبر والتحمل لأن كل ذلك بعين الله، وتوعده بالفرج العاجل.

وطوال هذه المدة الزمنية الطويلة التي ناهزت 950 سنة لم يؤمن بدعوته المباركة إلا عدد قليل جداً من قومه، وكانت من جملتهم عمورة بنت ضمران بن إدريس عليه السلام والتي أنجب منها سام وحام ويافث، أما زوجته الأولى واغلة وابنها منه كنعان فقد كانا من الذين يشتركون في أذيته والإساءة إليه بالاشتراك مع قومه الكافرين، ثم أمره الله سبحانه بصنع وبناء السفينة، وعلّمه الوحي كيفية البناء لهذه السفينة، ثم لما فرغ نوح عليه السلام من بناء السفينة في مدة ثمانين سنة تقريباً، أمره الله أن يحمل فيها زوجين من كل أنواع البهائم والحيوانات.

ثم دعا نوح عليه السلام سائر من معه من أهل بيته وأولاده وزوجاتهم وقومه المؤمنين، فأجابوه ودخلوا السفينة بأجمعهم، ما عدا ابنه الكافر كنعان أو (ياح) برواية أخرى، وزوجته الخائنة والكافرة أم كنعان والتي كان اسمها «واغلة» كما مرّ معنا سابقاً. ولما كان اليوم الموعود بنزول العذاب على قومه، فار التنور بالماء بدلاً من لهب النار، وانكسفت الشمس، وتفجرت عيون المياه من الأرض، وانصبّ من السماء المطر

الغزير جداً، عندها طلب نوح عليه السلام من المؤمنين معه بدخول السفينة وقال: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾[1]، واستمر هطول المطر وتفجر العيون بالمياه مدة أربعين يوماً حتى طافت السفينة بمن فيها، وغرق كل ما على وجه الأرض وعلى رؤوس الجبال، ولذلك سمي هذا الأمر بالطوفان.

ثم لما انتهت مدة سير السفينة والتي كانت قرابة الستة أشهر، توقف المطر بأمر من الله، وابتلعت الأرض المياه، واستقرت السفينة على الجبل، ومن العلماء من يقول إن هذا الجبل هو جبل آرارات ناحية شمال تركيا حالياً ومنهم من يقول غير ذلك، والصحيح ما صرّح به القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[2]، والجودي هنا هو الجبل، وتكفي هذه الإشارة القرآنية ولا داعي للاختلاف على اسم الجبل ومكانه، فلو كان المولى عز وجل يريد التحديد للمكان بعينه لذكره أو أشار إليه.

ثم لما هبط نوح عليه السلام من السفينة بمن معه ونزلوا بحسب الظاهر بأرض العراق، بنوا فيها مدينة يقال لها مدينة (الثمانين)، والبعض يقول بأنها الموصل حالياً. وغرس بهذه المدينة الأشجار التي حملها معه في السفينة، وقام عليه السلام ومن معه وأولاده بمتابعة إعمار البلاد وتشجيرها وزرعها، وتنمية وسائل العيش والحياة فيها، ثم تفرقوا وتوسعوا في الأرض وتناسلوا، وبنوا المدن والقرى بمرور الأيام.

(1) سورة هود، الآية: 41.
(2) سورة هود، الآية: 44.

وهنا مسألة شكلت نوعاً من الشبهة عند البعض من الناس ولا سيما المسلمين قبل غيرهم، وهذه المسألة لهما ارتباط بعصمة الأنبياء بشكل عام، لذا إسمح لي عزيزي القارئ باستعراض هذه الشبهة والرد عليها قبل استئناف هذا السرد عن نبي الله نوح عليه السلام.

والشبهة التي يثيرها البعض تقول: إن الله سبحانه قال في محكم كتابه في سورة هود: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

وهذه الآيات تتحدث عن صورة ومشهد لوالد هو نوح عليه السلام يشاهد ولده كنعان الكافر يغرق مع جملة الغارقين من الكافرين، فتتحرك به المشاعر الأبوية الرحيمة لذا يتوجه بالدعاء إلى الله لإنقاذ ابنه.

وظاهر قوله تعالى إنه ليس من أهلك فيه تكذيب لدعوى نوح عليه السلام، وذلك لقوله عليه السلام إن ابني من أهلي، وإذا كان النبي عليه السلام لا يجوز عليه الكذب فما هي حقيقة الأمر في ذلك؟؟ لأن هذا الأمر إن صحّ وهو غير صحيح، فإنه يخدش ويهدم عصمة النبي وكل الأنبياء حاشاهم من ذلك.

والجواب لما تقدم على هذه الشبهة فمن وجوه:

(1) سورة هود، الآيتان 45 - 46.

1 - أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفي النسب، أي أنه ولده، وإنما نفى أن يكون من أهله المؤمنين الذين وعده الله تعالى بنجاتهم، وذلك لأن الله سبحانه وعده بنجاتهم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[1]، فاستثنى سبحانه من أهل نوح عليه السلام من أراد إهلاكه بالغرق. ويدل على صحة هذا التأويل قول نوح عليه السلام: إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق. وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس رضي الله عنه وجماعة من المفسرين[2].

2 - أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ بمعنى أنه ليس على دينك، لأنه كان كافراً ومخالفاً لأبيه نوح عليه السلام، فكأن كفره أخرجه من أن يكون له أحكام الأهل، وقد حكي هذا الوجه أيضاً عن جماعة من أهل التفسير والتأويل[3].

3 - أنه لم يكن ابنه على الحقيقة، وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام إن ابني على ظاهر الأمر، فأعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف ذلك الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته، وليس في ذلك تكذيب خبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره.

وهذا التأويل عن الحسن ومجاهد وابن جريج فيه منافاة للقرآن،

(1) سورة هود، الآية: 40.
(2) تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1991م، ص43.
(3) تنزيه الأنبياء، م.ن.، ص44.

ويكفي للرد عليه أن ابن عباس رضي الله عنه حمل بقوة على هذا التأويل، حيث اعتبر أن تفسير قول الله سبحانه في امرأة نوح وامرأة لوط «فخانتهما»، أن الخيانة لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون وهي زوجة نوح عليه السلام، والثانية كانت تدل قومها وتعلمهم بوجود ضيوف عند زوجها، وهذه الأخرى هي زوجة النبي لوط عليه السلام [1].

لذا فإن الوجهان الأولان هما الأصح والأدق للتأويل، كما أنه لا يوجد تعارض بينهما. وهذه الوقفة المؤقتة عن سرد حياة النبي نوح عليه السلام، أردت وأحببت أن أزيل فيها الشبهة عند البعض من المسلمين، للتأكيد على عصمة الأنبياء والمرسلين، ونفي تهمة الكذب عنهم عليهم السلام، وأيضاً التأكيد على طهارة أعراضهم من الدنس أو الفاحشة، وذلك لأن أنبياء الله سبحانه منزهون عن هذه المسائل، وقد جنبهم الله تعالى ما دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً، ونفياً لكل ما ينفّر عن القبول منهم صلوات الله عليهم.

وبالعودة إلى سياق السرد التاريخي المختصر من حياة نبي الله نوح عليه السلام، فإنه وبعد انتشار ذرية نوح عليه السلام في البلدان والأمصار، وبعد عمارة العديد من البلاد والقرى، وبعد إعادة زرع الأراضي، انقضت مدة (نوح) عليه السلام وحان أجله، فهبط عليه جبرائيل عليه السلام وقال له: يا نوح إنه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة التي معك فادفعها إلى ابنك سام،

(1) تنزيه الأنبياء، مصدر مذكور، ص45.

ففعل نوح عليه السلام ما أمر به، وأمر سائر ولده وذراريه وأتباعه باتباعه، وبشّرهم بهود عليه السلام من بعده.

وجاءه ملك الموت وكان نوح في الشمس، فقال: السلام عليك، فردّ عليه نوح السلام، وقال: ما جاء بك، قال: جئت لأقبض روحك، قال: فدعني أدخل من الشمس إلى الظل، فقال له: نعم، فتحول إلى الظل، فقبض ملك الموت عليه السلام روح النبي نوح عليه السلام فجهزه ابنه سام حسب وصيّته، وصلى عليه هو وأخوته ودفنوه في الموضع الذي مات فيه عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والتسليم[1].

وعن سؤال: أين مكان دفن نبي الله نوح عليه السلام؟ نقول:

توجد عدة آراء حول المكان الذي دفن فيه نبي الله نوح عليه السلام:

الأول: أنه دفن في منطقة الخليل، حيث أن هناك مزاراً يعرف باسم «قبر النبي نوح»[2].

الثاني: أنه دفن في منطقة بحر النجف في الغري قرب ضريح ومقام الإمام علي عليه السلام حالياً، وهذا الرأي مشهور[3].

---

(1) سلسلة آباء النبي، أحمد الواحدي، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1991، من ص45 حتى 64 بتصرف، وانظر أيضاً: تواريخ الأنبياء، م.م.، ص54 وما بعدها بتصرف، وأيضاً: ابن الأثير، م.م.، ص54 وما بعدها من الجزء الأول، وأيضاً: قصص الأنبياء والمرسلين، م.م.، ص87، وما بعدها، وأيضاً: تاريخ الطبري، الجزء الأول، ص129 وما بعدها بتصرف.

(2) طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين، مصدر مذكور، ص23.

(3) تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص66، وانظر: سلسلة آباء النبي، مصدر مذكور، ص63، وانظر أيضاً: قصص الأنبياء والمرسلين، مصدر مذكور، ص101.

الثالث: إنه دفن في داخل الحرم الإبراهيمي الشريف[1].

الرابع: وهو الأشهر بين هذه الآراء لما يحظى بمؤيدات تاريخية علمية، وهو يقول بأنه دفن عليه السلام في البقاع اللبناني حالياً في المنطقة المعروفة والمشهورة والتي تحمل اسم «كرك نوح»[2].

وهذه القرية «كرك نوح» ذكرها ياقوت الحموي وقال عنها: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام في نواحي البلقاء في جبالها بين آيلة وبحر القلزم، وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض، وهي قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام [3].

ونقل الدكتور شكري عراف في طبقاته نصاً لمخطوطة مترجمة إلى اللغة الفرنسية تحمل الرقم 5928، وهي منسوبة لابن الجبير الرحالة، ونص هذه الترجمة موجود في كتاب:

(Repertoire chronologique depigraphic Arabe) لمؤلفه Sanveget. J. cambe إنه على بعد يومين من دمشق، وأن طوله ثلاثون

(1) طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين، مصدر مذكور، ص24.

(2) رحلة ابن الجبير، مصدر مذكور، ص224 وانظر: ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 2001، ص37. وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر مذكور، ص268. وانظر أيضاً: الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، مصدر مذكور، ص21. وانظر أيضاً: خطط الشام، مصدر مذكور، ج2، ص52، وأيضاً: طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين، مصدر مذكور، ص23.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2016م، ج7، ص131.

قدماً حيث يقول فيها نقلاً عن ابن الجبير: وفي مقامه هناك حجر نقش عليه في عام 741هـ ما يلي: «أنشأ هذا المكان المبارك مولانا المقر الكريم العالي السيفي الملكي الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية. أعز الله؟؟ أنصاره سنة أحد و. . . سبعماية».

وفي ما تقدم من نقل للدكتور عراف أهمية إضافية إن لجهة المخطوطة، وإن لجهة ترجمتها إلى الفرنسية في الكتاب المذكور[1]. وعلى كل حال، ومهما كان الأمر لجهة وجود ضريح النبي (نوح) عليه السلام في النجف أو فلسطين أو لبنان، فسأقول وأردد قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وبالختام أحب أن أنقل طرفة عن المرحوم الصديق والفنان وحيد سيف من مصر المحروسة، حيث يقول فيها وباللغة المصرية العامية: معقول الناس اللي حوالينا دول من سلالة الناس الطيبة اللي ركبت سفينة نوح!! أومّال اللي غرقوا كان شكلهم إيه؟؟

(1) طبقات الأنبياء والأولياء، مصدر مذكور، ص24.
(2) سورة الصافات، الآية: 79.

صورة للوحة التي تشير الى مقام نبي الله نوح عليه السلام

صورة المقام عن بعد وتبدو القبة الشريفة

صورة جانبية للمقام الشريف وتبدو المقابر القديمة المحيطة به

صورة لمئذنة المسجد بالمقام الشريف

صورة لمدخل المسجد والمقام الشريف

صورة للضريح الشريف داخل المقام

صورة جانبية للضريح الشريف

مقام نوح - كرك نوح - البقاع - لبنان

هو نوح بن لامك بن منوشلخ بن أخنوخ (إدريس) بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم

النبي صالح عليه السلام

هو نبي الله صالح بن عبيد بن آسف بن ماشج بن جادر بن ثمود بن جائرين إرم بن سام بن نوح عليه السلام [1].

كان بنو (ثمود) يستوطنون بوادي القرى[2] بين المدينة المنورة والشام، وقد أرسل الله تعالى إليهم النبي صالح عليه السلام وهو ابن ستة عشر عاماً ليدعوهم إلى التوحيد ورفض الأصنام. وقد جاء ذكرهم في العديد من السور القرآنية كالأعراف، وهود، الشعراء، وغيرها.

وكان قوم ثمود في العدد كثيرون جداً، وفي الغنى والثروة وطول العمر أكثر ما يكون، وكانوا يبنون في السهول قصوراً عالية ومساكن رفيعة مزخرفة لأيام صيفهم، وينحتون في الجبال مساكن لهم لأوقات شتائهم. وكانوا كلما ازدادوا نعمة من الله تعالى، ازدادوا طغياناً وكفراً وعناداً وعتواً، كما قال تعالى: ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾[3].

(1) ابن الأثير، مصدر مذكور، ص68، وانظر: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ص167.
(2) أنظر معجم البلدان، مصدر مذكور، ج8، ص433، حرف الواو.
(3) سورة الذاريات، الآية: 44.

ولقد قام صالح عليه السلام بين أظهرهم يدعوهم إلى الله وترك عبادة الأصنام، وأظهر لهم بقدرة الله تعالى العديد من الكرامات والبيّنات التي تدل على صدق نبوّته، إلى أن بلغ عمره مائة وعشرين سنة وهم على حالهم ولا يألون جهداً في تكذيبه وطرده وإيذائه ونسبة الجنون والسحر إليه، ويقولون له: إنا كنا نرجو منك الخير، وقد يئسنا منك ببدعتك ديناً جديداً، وكنا نأمل أن تكون عوناً لنا على ديننا فخابت فيك آمالنا، وقد أصبت بسحر ففسد عقلك، وصرت من المخدوعين حتى ادعيت النبوة، وأنت تأكل وتشرب مثلنا، فكيف صرت أولى منا بالنبوة؟ وعندما أصابهم القحط واحتبس عنهم المطر، قالوا له: ما أصابنا هذا القحط والجوع إلا من شؤمك.

ولما طالت المشاجرات والمخاصمات بينه عليه السلام وبينهم، ولم يؤمن به أحد منهم، اتفقت كلمتهم على أن يهجموا عليه في داره ليلاً ليقتلوه، وينكروا فعلتهم لاحقاً، وذكر الله تعالى كيدهم هذا في سورة النمل الآية 49، فلما جاء الليل قام جماعة منهم ودخلوا دار صالح عليه السلام ليقتلوه، إلا أن العناية الإلهية حالت دون ذلك، حيث أنزل الله سبحانه ملائكة من السماء رموا كل واحد من أولئك الكفرة بحجر يقتله في مكانه ولساعته، حتى قتلوهم عن آخرهم، فعند ذلك أقبل صالح عليه السلام إلى مجمعهم وهم يومئذ يعبدون سبعين صنماً من دون الله فقال لهم: يا قوم، إني بعثت إليكم وأنا ابن ست عشرة سنة، وقد بلغت مائة وعشرين سنة وأنا أدعوكم إلى الله وعبادته ورفض الأصنام وترك عبادتها فلم تجيبوني، وها أنا اليوم أعرض عليكم أمرين

أجيبوني إلى واحد منهما حتى أنصرف عنكم، قالوا: هاتها يا صالح، قال: إن شئتم فسألوني شيئاً حتى أسأل إلهي فيجيبكم إلى ما سألتمونيه، فإن أجابكم آمنتم به، وإن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتني بالذي أسألها خرجت عنكم، فقد سئمتكم وسئمتموني.

فأجابه القوم إلى ذلك وقالوا: قد انصفت يا صالح، وتواعدوا معه لذلك على يوم مخصوص يجتمعون فيه معه خارج البلد.

ولما كان اليوم الموعود، خرجوا بأجمعهم من البلد إلى الميعاد بقرب جبل كان هناك، وكانوا قد حملوا آلهتهم وأصنامهم على ظهورهم، وذلك بعد أن أقبلوا على عبادتها والسجود إليها ثلاثة أيام، ويتضرعون إليها في إجابتها لصالح عليه السلام، ولما انتهوا إلى المكان المحدد نصبوا الأصنام وجلسوا حولها، وقالوا لصالح عليه السلام: سل أصنامنا ما شئت، فتقدم صالح عليه السلام إلى كبير الأصنام وسألهم عن اسمه، فقالوا له اسمه، فناداه صالح عليه السلام فلم يجبه الصنم، فقال لهم صالح عليه السلام: ما به لا يجيب؟ قالوا ادع غيره، فأقبل صالح عليه السلام على سائر الأصنام يدعو كلاً منها باسمه حتى دعاها عن آخرها بأسمائها، فلم يجبه أحد منها، فأقبل على القوم وقال: يا قوم، ترون أني دعوت أصنامكم كلها فلم يجبني أحد منها، فهلموا الآن واسألوني ما شئتم حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة.

إلا أن القوم قاموا إلى آلهتهم من الأصنام ثم تمرغوا في التراب بين يدي الأصنام يتوسلون إليها أن تجيب صالحاً، إلى أن فرغوا من ذلك ودعوا صالحاً عليه السلام أيضاً وقالوا له: تعالى الآن فاسألها مجدداً،

فرجع صالح عليه السلام وأخذ ينادي ثانياً كلاً منها باسمه، حتى نادى جميعها بأسمائها، ولم يجبه أحد منها، وأعادوا الكرة مرة ثالثة ولم يستفيدوا شيئاً، فقال لهم صالح عليه السلام: يا قوم النهار أشرف على الانتهاء ولا أرى آلهتكم تجيبني، فهلموا واسألوني شيئاً حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فعند ذلك انتدب له سبعون رجلاً من أكابرهم وعظمائهم المنظور إليهم بين القوم، وقالوا: يا صالح نحن نسألك، قال عليه السلام: فهل كل هؤلاء الناس يرضون بكم ممثلين عنهم؟ فقالت الجموع بصوت واحد: نعم فإن أجابك هؤلاء الأكابر أجبناك.

قال السبعون: يا صالح نحن نسألك، فإن أجابك ربك اتّبعناك وأجبناك، وتبعك جميع أهل قريتنا، قال صالح عليه السلام: سلوني ما شئتم، قالوا: انطلق بنا إلى هذا الجبل حتى نسألك عنده، فانطلق بهم صالح عليه السلام نحو الجبل الذي كان قريباً منهم، ولما انتهوا إليه قالوا: يا صالح إسأل ربك أن يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء (أي شديدة الحمرة)، وبراء (أي كثيرة الوبر)، عشراء (أي معشرة حبلى قد أتى على حملها عشرة أشهر)، ويكون بين جنبيها ميل (أي عريضة جداً) تضرب بمنكبيها طرفي الجبل، قال صالح عليه السلام: يا قوم قد سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربي، ثم توجه إلى الله سبحانه وسأله ذلك، فلم يتم دعاءه حتى اضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض، والقوم ينظرون إليه وقد بهتوا عجباً وحيرة، ثم انصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه عقولهم، وسمعوا منه صوتاً مهولاً عظيماً كادت مرارتهم أن تنشق هولاً منه، ثم فاجأهم رأس ناقة قد طلع

عليهم من صدع الجبل، ثم خرجت رقبتها ثم سائر جسدها حتى استوت على الأرض، قائمة على صفة ما سألوا في الطول والعرض وعظم الجثة وهي حامل، فدهش القوم وقالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك! فاسأله أن يخرج لنا فصيلها، فعاد صالح عليه السلام إلى الصلاة والسجود لربه والدعاء له، ولم يرفع رأسه من السجود حتى رمت الناقة فصيلها (أي مولودها) ودرّ لبنها، ثم قام الفصيل يدب حول أمه، فازداد القوم بهتاً وحيرة، وقالوا: يا صالح قد علمنا أنَّ ربّك أعز وأقدر من آلهتنا التي نعبدها، قال صالح عليه السلام: يا قوم أبقي شيء؟ قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا ويؤمنوا بك، فانطلق صالح عليه السلام بالسبعين رجلاً وكانوا قد آمنوا به وصدقوه في آيته من عند الله، ولكنهم لم ينتهوا إلى قومهم حتى ارتد منهم أربعة وستون رجلاً وكفروا به، وقالوا: إن ذلك سحر عظيم، وأما الستة الآخرون منهم فثبتوا على الإيمان وقالوا: إن ما رأينا هو الحق.

ولما انتهوا إلى قومهم كثر اللغط والجدال بين المكذبين والمصدقين، حتى ارتاب واحد من الستة، وارتد إلى الكفر ولحق بقومه، ولم يثبت منهم على الإيمان إلا الخمسة.

وبالمناسبة، فإن هذه الناقة هي أحد الأحياء السبعة الذين لم يخرجوا من رحم، والذين أخبر عنهم الإمام الحسن بن علي عليه السلام في جواب سؤال ملك الروم، وهم: آدم عليه السلام، وحواء، وكبش إبراهيم عليه السلام، وناقة صالح عليه السلام، وحية الجنة، والغراب الذي بعثه الله عزوجل لقابيل ليريه كيف يوارى جثة أخيه، وسابعهم إبليس لعنه الله.

ثم إنهم لما خرجت الناقة من الجبل أتوا بها وبفصيلها إلى قريتهم، حتى رآها كلهم بأجمعهم، وكان لقريتهم ماء يقال له (الحجر)، فأوحى الله تعالى إلى صالح عليه السلام أن قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة يوم شربها تشرب الماء كله، ثم يدر لبنها حتى يستقي من لبنها جميعهم، ويحلبونها حتى يرتوي من ذلك صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونساؤهم، ولا يبقى أحد منهم إلا ويرتوي من لبنها، وكانوا يوم شرب الناقة بالإضافة إلى لبنها كانوا يشربون الماء من مياه الجبال والمغارات، وكانت مواشيهم تنفر من الناقة لعظمها، لأنها كانت هائلة الخلقة، فمكث القوم على ذلك مدة طويلة من الزمن.

ثم إنه لما طالت المدة على القوم وهم كذلك في سعة ودعة، عتا بعضهم عن أوامر ربهم، وقالوا: لا نرضى أن تعادلنا الناقة بأن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم، فأخذ هؤلاء يجتمعون ويتشاورون في ما بينهم بعقر الناقة وقتلها، ليستريحوا منها ويصبح الشرب لهم كل الأيام، إلى أن اتفقت كلمتهم على ذلك.

وبعد ذلك أوحى الله تعالى إلى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون الناقة، وأخبرهم صالح عليه السلام بذلك، فأنكر بقية قومه ذلك أشد الإنكار، وقالوا: ما كنا لنفعل ذلك أبداً، إلى أن قال لهم عليه السلام: إن كنتم أنتم لا تعقرونها، فيوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها، قالوا: فما علامته؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه، قال: إنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر، فاجتمع القوم واختاروا قوابل من البلد على أن يكنّ هن خاصة

دون غيرهن يباشرن النساء عند الوضع، وجعلوا لهن مخصصات مالية على أن يطفن في القرية، فأي امرأة وضعت حملها ينظرن إلى المولود، فإن كان ذكراً فيه الصفات التي ذكرها صالح عليه السلام قتلوه، حذراً من أن يكون عاقر الناقة، وإن لم يكن كذلك تركوه.

وكان أن وُلد لتسعة من نافذيهم وكبرائهم مواليد أحسوا فيهم بعض تلك الصفات، فقتلوهم، فتأثر أولئك النافذون حتى ندموا على قتل أولادهم، ثم أخذوا يسعون بين الناس بالفساد وتحريضهم على عقر الناقة، وهم الذين أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[1]، وبحسب الروايات التاريخية كانت أسماؤهم: قدار، مصدع، ودهمي، ودهيم، ودعمي، ودعيم، واسلم، وقبال، وصداق.

ولما أخذوا يحرضون الناس على عقر الناقة مدة من الزمن إلى أن وافقهم القوم واتفقت كلمتهم على ذلك، وأخذوا يتشاورون في من يكون المباشر لذلك، وكان في المدينة امرأتان تعاديان صالحاً عليه السلام، تسمى إحداهما (صدوف) والأخرى (عنيزة)، فدعت صدوف أحد التسعة المفسدين (مصدع) وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة.

ودعت عنيزة (قداراً) وقالت له: أعطيك أي بنت شئت من بناتي على أن تعقر الناقة، وكان (قدار) أحمر أزرق قصيراً كما وصفه صالح عليه السلام، فأجابها إلى عقر الناقة.

(1) سورة النمل، الآية: 48.

ثم عمد قدار ومصدع إلى الطلب من السبعة الباقين مشاركتهم في هذا الأمر، فوافقوهما على أن يباشر التسعة الأنفار بأجمعهم عقر الناقة، فتواعدوا على ذلك يوماً من أيام ورود الناقة لشرب الماء، على أن يعقروها بعد شربها وهي راجعة.

ولما كان اليوم الموعود، وخاصة مع وجود صالح عليه السلام خارج المدينة، خرج التسعة جميعاً ورصدوا الناقة، ثم ما لبثوا أن وثبوا عليها وعقروها وقتلوها، فخرّت الناقة وسقطت على الأرض ورغت رغاء عظيماً، وكان فصيلها معها، فلما رأى ما فعل بأمه هرب حتى صعد الجبل ورفع رأسه إلى السماء ورغا ثلاث مرات.

ثم خرج أهل ثمود بأجمعهم صغيرهم وكبيرهم واقتسموا لحمها وأكلوه.

فأقبل صالح عليه السلام على قومه مغضباً وقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم؟ أعصيتم ربكم؟ ويا قوم إني رسول ربكم إليكم، وهو يقول لكم إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم، غفرت لكم وتبت عليكم، وإلا بعثت عليكم عذابي في اليوم الثالث، فلم يزدد القوم في جوابه إلا خبثاً وتعنتاً، فقال عليه السلام: يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة وتصبحون في اليوم التالي ووجوهكم محمرة، وتصبحون في اليوم الثالث ووجوهكم مسودة.

وبالفعل حصل ما قاله لهم صالح عليه السلام، وهلكوا في اليوم الثالث بأجمعهم صغيرهم وكبيرهم بأقل من طرفة عين، وأصبحوا في ديارهم موتى هالكين، ثم أرسل الله سبحانه النار عليهم فأحرقتهم، ثم الأرياح

العاصفة التي نثرت رمادهم في الهواء. وقد ذكرت تفاصيل ذلك في العديد من السور القرآنية المباركة، كما أن المؤرخين فصّلوا هذه الأحداث بشكل واسع ومطوّل، وللتوسع من ذلك يمكن الرجوع إلى المصادر التي سنذكرها في الهامش.

وكان صالح عليه السلام قبل وقوع العذاب قد خرج بمن معه من المؤمنين إلى خارج المدينة التي حل عليها العذاب، ثم إن صالحاً عليه السلام عاش ردحاً من الزمن بين المؤمنين من قومه بعد هلاك الكافرين، وأهل الجحود والشك منهم، إلى أن حضره أجله وتوفاه الله إليه.

وبقي الناس بعد وفاته جيلاً بعد جيل من غير نبي ظاهر بينهم، إلى أن ظهر بينهم نبي الله إبراهيم عليه السلام [1].

وبالمناسبة، فقد ذكر كمال الدين الدميري في كتابه (حياة الحيوان)، بنقله عن الطبراني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أشقى الناس ثلاثة، عاقر ناقة ثمود، وابن آدم الأول (قابيل) الذي قتل أخاه (هابيل)، وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[2].

(1) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص68 وما بعدها بتصرف، وانظر: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص167 وما بعدها بتصرف وانظر تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص83، وما بعدها بتصرف. وانظر أيضاً: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مصدر مذكور، ج1، ص22. وانظر أيضاً: قصص الأنبياء والمرسلين، مصدر مذكور، ص113، وما بعدها بتصرف، وانظر أيضاً: طبقات الأنبياء والأولياء، مصدر مذكور، ص116 وما بعدها بتصرف.

(2) حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص326.

إذن أين توفي نبي الله صالح عليه السلام وأين قبره الشريف؟

للعلماء في هذه المسألة آراء مختلفة سنستعرضها ونشير في الختام إلى الرأي الذي نأنس به ونستقربه، وهذه الآراء هي:

1 - أنه عليه السلام توفى في مكة المكرمة ودفن هناك[1].

2 - أنه عليه السلام عاد إلى موطن قومه الأول اليمن وتحديداً حضرموت وتوفى ودفن هناك[2].

3 - أنه عليه السلام نزل إلى فلسطين وتوفى ودفن في الرملة وله شهرة ومواسم زيارة[3].

4 - أنه عليه السلام توفى ودفن في عكا في فلسطين[4].

5 - أنه عليه السلام توفى ودفن في العراق ناحية النجف الأشرف[5].

---

(1) تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ص71.

(2) ابن الأثير، مصدر مذكور، ص171.

(3) الأنس الجليل، مصدر مذكور، ص416، وانظر: طبقات الأنبياء والأولياء، مصدر مذكور، ص119.

(4) سفرنامه، ناصر خسرو علوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص60، وانظر أيضاً: القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة 1928، ج4، ص152. وانظر أيضاً: ابن بطوطة، مصدر مذكور، ص36، وأيضاً: ابن الجبير، مصدر مذكور، ص235/ 236.

(5) وهذا ما عليه الإجماع عند الشيعة الإمامية حيث ورد في زيارة الإمام علي عليه السلام القول: (السلام عليك وعلى جاريك هود وصالح...) أنظر مثلاً: تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص94، وانظر أيضاً: قصص الأنبياء والمرسلين، مصدر مذكور، ص116، وغيرها.

6 - أنه عليه السلام توفى ودفن في الناصرة في فلسطين[1].

هذا بالإضافة إلى وجود العديد من الأضرحة التي تنسب إلى النبي صالح عليه السلام داخل فلسطين لم نذكرها لأنها غير موثقة بالمصادر الأساسية والمراجع المهمة.

وعليه، وبناء على كل ما تقدم، فإننا نستطيع القول بأنه عليه السلام دفن في فلسطين، والوثاقة والشهرة للرملة على الرغم من وجود المصادر المهمة التي تتحدث عن وجوده المبارك في عكا، إلا أن الشهرة العلمية والمرجعية هي في الرملة والله أعلم.

أما بخصوص رأي الإمامية فلا أعتقد بوجود تعارض بين ما يذهبون إليه وبين ما ذكرته المصادر والمراجع، حيث يمكن اعتبار هذه الجيرة الواردة في متن الزيارة هي جيرة مكانية وخاصة إذا عرفنا أن النبي هود عليه السلام يقال بأنه موجود في اليمن على الأغلب، وهذا يعني أن قبر ومقام نبي الله هود عليه السلام يقع في جهة الشمال بالنسبة لضريح الإمام علي عليه السلام، كما أن مقام وضريح النبي صالح عليه السلام يقع في الجهة الجنوبية أيضاً بالنسبة لضريح الإمام علي عليه السلام، ولأن ضريح الإمام علي عليه السلام يتوسط جغرافياً بين ضريحي هود عليه السلام وصالح عليه السلام، ساعتئذ تكون هذه الزيارة دقيقة وصحيحة بهذا الاعتبار.

(1) معجم البلدان لياقوت الحموي، مصدر مذكور، ج3، ص325، وانظر: طبقات الأولياء والمرسلين، مصدر مذكور، ص120.

وبالتالي يمكن الذهاب لتبني الرأي القائل بوجوده المبارك في الرملة في فلسطين، وهذا ما أميل إليه، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

والسلام عليه أينما كان، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ورحمة الله وبركاته.

صورة عن بعد لمقام النبي صالح عليه السلام المهجور

صورة أخرى جانبية للمقام الشريف

صورة من الداخل للضريح ويبدو الإهمال عليه

صورة أقرب للضريح الشريف المهمل وللأسف الشديد

صورة لمحراب المسجد داخل المقام الشريف المهمل وللأسف

صورة لافتة تشير إلى مشروع ترميم المقام والذي يبدو أنه لم يحصل لتاريخه

النبي إبراهيم عليه السلام

هو نبي الله إبراهيم بن (تارخ) بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام [1]. والدته كانت تدعى: أزما أو أنعوتا[2].

أولاده: النبي إسماعيل عليه السلام من زوجته هاجر القبطية رضي الله عنها.

والنبي إسحاق عليه السلام من زوجته سارة رضي الله عنها وهي ابنة عمه حاران أو ابنة خالته على رأي آخر.

ولا شك في أن نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام هو أفضل جميع الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد روي أنه يستحب عند ذكر كل نبي الصلاة والتسليم على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم السلام على من ذكر من الأنبياء، ما خلا إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنه يصلى ويُسلّم عليه عند ذكره مباشرة لشرفه وأفضليته. وهو عليه السلام جد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعلى.

(1) هذا النسب عليه الإجماع من كافة المؤرخين، ومن كافة المذاهب الإسلامية، ما عدا الشبهة حول اسم والده (تارخ) سنتحدث عنها، وللتوسع أنظر مثلاً: ابن الأثير، مصدر مذكور، ص72، من الجزء الأول، وأيضاً: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ص172 من الجزء الأول. وأيضاً: سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصدر مذكور، ص93.

(2) سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصدر مذكور، ص93.

وكل نبي من الأنبياء العظام يوصف بوصف خاص، وينسب إلى الله تعالى بلقب مخصوص، فآدم عليه السلام صفيّه، ونوح عليه السلام نجيّه، وموسى عليه السلام كليمه، وعيسى عليه السلام كلمته وروحه، وأما إبراهيم عليه السلام فقد جعله الله تعالى لنفسه (خليلاً)، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[1].

ووصف الخلة أفضل من جميع تلك الأوصاف، وما عدا الحبيب بمعنى المحبوب كثيراً، فهذه الصفة هي حصراً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي أرفع درجة عن سائر الأوصاف. ولقد اتفقت كلمة جميع أهل الأديان المختلفة، من اليهود والنصارى والمسلمين وغيرهم، على نبوته وتعظيمه، وعلى جعْل الله النبوة في صلبه وذريته، وجعل نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ولده ونسله، لذلك نعت بأنه أبو الأنبياء عليهم السلام. وكان الخليل عليه السلام قدوة ومعلماً للخير وإمام هدى للناس، من غير معلم ولا مربٍ غير الله سبحانه وتعالى، وانفرد في عصره بالتوحيد، إذ كان وحده عليه السلام مؤمناً وجميع أهل عصره كفرة.

وقد سنّ الخليل عليه السلام سنناً عشراً يقال لها (الحنيفيّة العشرُ) ملة إبراهيم عليه السلام، وهي تلك التي أمر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأمته باتباعها، ولم تنسخ كغيرها من الشرائع السابقة، وهذه السنن حُسن وزينة للرجال، خمس منها في الرأس وهي: حلق الرأس، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، وتخليل الأسنان، وخمس منها في البدن

(1) سورة النساء، الآية: 125.

وهي: الغسل من الجنابة، وتقليم الأظافر، وحلق الشعر من البدن والعورة، ثم الختان والطهور.

وكان عليه السلام كثير السجود على الأرض، وكان كثير الحلم، وكثير الخضوع لربّه، وكثير الإنابة والتضرّع إليه تعالى، وكثير الدعاء له سبحانه، وهو معنى (الأوّاه) الذي وصفه الله سبحانه به في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[1].

كما كان عليه السلام كثير الصلاة على النبي محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان يدعو الله سبحانه بأن يرسل نبياً من نسله وذريته يدعو إلى الهدى ودين الحق، فاستجاب الله سبحانه لدعوة إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

وقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه سُئل عن هذا الأمر وأجاب كما رواه أبو أمامة الباهلي: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: دعوة أبي إبراهيم عليه السلام، وبشرى عيسى عليه السلام، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم[3].

وكان إبراهيم عليه السلام مضيافاً يحب نزول الضيف عليه، حتى قيل

(1) سورة هود، الآية: 75.
(2) سورة البقرة، الآية: 129.
(3) تخريج المسند، شعيب بن محرم الأرناؤوطي، الحديث رقم 17163، كما أنه مروي عن العرباض بن سارية.

إنه عليه السلام كان يمر عليه وقت طويل لا يأكل غداء ولا يتناول عشاء حتى يجد ضيفاً يأكل معه، ويخرج في طلبه.

وكان كثير الغيرة على أهله، وكان يطعم الطعام كثيراً، ويصلي بالليل والناس نيام.

وكان عليه السلام أجمل الناس وجهاً، وأصبحهم منظراً، وأحسنهم خلقاً، وأرقهم قلباً، وقد عاش في الدنيا 175 سنة، ولم يعبد قط صنماً، مع أن جميع أهل عصره كانوا يعبدون الأصنام، وكان حنيفاً لله، أي مائلاً عن الأديان كلها إلى دين التوحيد، مستقيماً ثابتاً على ذلك، وهو الذي أنشأ اسم «الإسلام» وسمى المسلمين «مسلمين»، كما شهد الله له بذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وقال تعالى فيه: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[2].

وبالعودة إلى موضوع والد النبي إبراهيم عليه السلام، فإن إبراهيم كان ابناً لتارخ كما أجمع على ذلك المؤرخين، وكان (تارخ) مؤمناً بالله تعالى موحداً لم يسجد لصنم قط، والدليل على ذلك قوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو من ذرية إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[3]، وقد

(1) سورة آل عمران، الآية: 67.
(2) سورة الحج، الآية: 78.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 217 - 219.

فسرت هذه الآية بأن نطفته الشريفة ﷺ كانت تنتقل من صلب ساجد إلى صلب ساجد، وأن جميع آبائه ﷺ إلى آدم عليه السلام كانوا موحدين ساجدين لله تعالى وحده دون غيره ومنهم إبراهيم الخليل عليه السلام ووالده.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات». أي أنه لم يكن أحد منهم مشركاً نجساً[1].

وأما (آذر) الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وسماه أباً له في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾[2]، فهو كان عماً له، وكان إبراهيم عليه السلام في كفالته (لوفاة والده على ما يظهر)، وإن إطلاق الأب على العم شائع عند العرب، وبخاصة إذا كان العم قائماً بكفالة ابن أخيه وتربيته، والقرآن الكريم يؤكد هذا المعنى من خلال قوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب عليه السلام إذ قالوا له: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[3]، ومن المعلوم أن إسماعيل كان عماً ليعقوب عليه السلام وقد عدّوه في آبائه.

وقيل: إن آذر هذا هو جده لأمه، إلا أن المشهور أنه عمه وليس

(1) وهو الحديث مروي بعدة طرق بمضمون واحد كما في كتاب (أسرار التنزيل) للفخر الرازي عند تفسيره للآية. وانظر أيضاً: تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص99، وأيضاً: دلائل النبوة، للبيهقي، عن أنس بن مالك نفس المضمون. وأيضاً أنظر: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والترمذي، وغيرهم.

(2) سورة الأنعام، الآية: 74.

(3) سورة البقرة، الآية: 133.

جده لأمه. وكان مولد النبي إبراهيم عليه السلام في قرية من قرى العراق يقال لها (كوثى) أو (كوثاربا)، حيث كان والده تارخ من أهلها، وكانت أمه وأم النبي لوط عليه السلام أختين، وكانت ولادته المباركة في عهد الملك الطاغي «نمرود بن كنعان» الذي كان مع قومه عبدة أصنام، وكان آذر عم إبراهيم عليه السلام وزيراً لهذا الملك ومنجماً له، وكان يصنع الأصنام له وللناس ويدفعها إلى وُلده فيبيعونها.

وصادف أن نمرود الطاغي رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، ولما سأل المنجمين عن رؤياه، عبّروها له بولادة غلام يذهب ملك نمرود على يده، ويبطل دينه ويدعو إلى دين آخر، فقال النمرود: في أي البلاد يكون؟ قالوا: في هذه البلاد، فسأل النمرود: هل خرج إلى الدنيا؟ قالوا: لا، قال: فينبغي أن يفرق بين الرجال والنساء، وأمر بذلك وبقتل كل غلام يولد تلك السنة، وأمر بأن يتفحص عن أحوال النساء، فمن وجدت منهن حبلى تحبس حتى تلد، فإن كان المولود غلاماً قُتل، وإن كان بنتاً تُركت.

وحملت أم إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولكن لم يظهر عليها الحمل، فلما دنت ولادته هربت به إلى غار (كهف) فوضعته فيه، وجهزته كما يجهز المولود الجديد ولفّته بالقماش، وسدت باب الغار عليه بالحجارة ورجعت إلى منزلها، ثم جعلت تتردد عليه من حين إلى آخر حتى تتفقد أحواله، وتقوم بما يلزم من خدمة ورعاية له، وبقي عليه السلام في هذا الكهف بعيداً عن أعين الناس لمدة 13 عاماً بحسب أغلب الروايات.

ونتيجة للعناية الإلهية به عليه السلام طوال مدة وجوده في الغار، حصل

أنه عند خروجه منه أخذ يبحث ويتساءل عن ربّه الذي خلقه ورعاه وحفظه طوال هذه المدة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

لذلك كان كلما خرج إلى أحياء وأسواق قومه وجدهم يعبدون الأصنام، فكان عليه السلام يسفّه ويعيب عبادتهم هذه، ويسخر من آلهتهم المزعومة، حتى فشا أمره بين الناس بأنه على خلاف ملتهم ودينهم.

ونتيجة لوجوده عليه السلام في بيت عمه آذر، كان الأخير يطلب من إبراهيم عليه السلام أن يخرج مع أولاد عمه (آذر) لبيع الأصنام التي كان ينحتها ويصنعها كما يفعل أولاده، فكان إبراهيم عليه السلام يعلق في أعناقها الخيوط ويجرها على الأرض وهو ينادي: من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه؟، وكان أحياناً يأتي بهذه الأصنام إلى الماء وعلى مرأى من الناس، فيرميها بها ويغرقها وهو يقول لها: اشربي وتكلمي. وبلغ الخبر عمه آذر، فأخذ ينهاه عن ذلك فلم ينته، لدرجة أنه حبسه في منزله ولم يدعه يخرج مجدداً، إلا أن الخبر انتشر بين الناس، فاجتمعوا

(1) سورة الأنعام، الآيات: 75 - 79.

عليه عليه السلام يحاجونه ويناظرونه ويجادلونه في الدين، ويخوفونه ترك عبادة الأصنام، وهذا ما أشار القرآن الكريم إليه من خلال قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾[1].

واستمر إبراهيم عليه السلام معهم على هذه الحال، إلا أنهم لم يزدادوا إلا كفراً وطغياناً وعداوة له عليه السلام.

ولم يزل الأمر بينه عليه السلام وبينهم كذلك حتى فشا أمره وبلغ خبره نمرود، فغضب وأمر به فأتوا به إليه، ولما رآه الطاغية أخذ يعاتب آذر على إخفائه أمر إبراهيم عليه السلام، إلا أنه في نهاية المطاف أطلق سراحه من أجل وزيره ومستشاره آذر، وأمر بوضع إبراهيم عليه السلام تحت المراقبة.

وبعد مدة من الزمن حضر عيد القوم، وخرج نمرود بجميع أهل مملكته إلى عيدهم، ما عدا إبراهيم عليه السلام فإنه تعلل بالمرض، فتركوه ومضوا إلى مجمع ومكان عيدهم.

وقام إبراهيم عليه السلام بعد ذهاب القوم بتكسير كافة الأصنام بمطرقة كان يحملها ما عدا الصنم الكبير الذي علّق المطرقة في عنقه.

ولما رجع نمرود بمن معه من العيد ورأوا الأصنام مكسّرة، قامت

(1) سورة الأنعام، الآيتان: 80 - 81.

قيامتهم وعلا صريخهم وقالوا: من فعل هذا بآلهتنا؟ وهذا ما أشار القرآن الكريم إليه بقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[1]. ثم جمع نمرود كهنته وبقية قومه يستشيرهم، فجعلوا جميعاً يقولون: ما فعل هذا بآلهتنا إلا الفتى الذي كان يعيبها ويقول إنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، وعند ذلك اتفقت كلمتهم على إحضار إبراهيم عليه السلام واستنطاقه، حتى يعترف بعمله على رؤوس الأشهاد ويحق عليه العذاب باتفاق من الجميع، ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[2]، ولما حضر أقبلوا عليه و﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[3] وبذلك أفحمهم وألقى عليهم الحجة بأن تلك الأصنام لا تضر ولا تنفع، ولا تتمكن من المدافعة عن نفسها، ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[4] وأخذوا يلوم بعضهم بعضاً ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾[5] بهتاً وحيرة في جوابه وقالوا:

(1) سورة الأنبياء، الآيات: 57 - 60.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 61.
(3) سورة الأنبياء، الآيتان: 62 - 63.
(4) سورة الأنبياء، الآية: 64.
(5) سورة الأنبياء، الآيتان: 64 - 65.

يا إبراهيم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾[1] فكيف نسألهم؟ فأجاب إبراهيم عليه السلام بعد اعترافهم بالحجة ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[2].

فأصرّ نمرود على كفره وطغيانه، واستشار قومه في أمر إبراهيم عليه السلام، فأشاروا عليه بإحراقه حياً، لأنه لا عذاب أشد منه، وأن يشترك القوم كلهم في ذلك ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[3]، وعند ذلك حبسه نمرود وأخذ قومه يجمعون الحطب بجد وسرعة شهراً وأكثر، واشتغل بذلك رجالهم ونساؤهم صغيرهم وكبيرهم، لأن في ذلك وبزعمهم قربى إلى الأصنام وإرضاءً لها، بل كانوا إذا مرض أحدهم يوصي بكذا وكذا من ماله لشراء الحطب لإحراق إبراهيم عليه السلام، إلى أن بلغوا من ذلك ما أرادوا، وبنوا حائطاً من الحجارة عريضاً ومرتفعاً حتى يحجب عنهم لهيب النار، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾[4]. ثم ملأوه من الحطب وأضرموا فيه النار.

ولما التهبت النيران وارتفعت إلى عنان السماءحتى لم يقدر أحد أن يقرب منها ولو من مسافة بعيدة، تحيروا في كيفية إلقاء إبراهيم فيها،

(1) سورة الأنبياء، الآية: 65.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان: 66 - 67.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 68.
(4) سورة الصافات، الآية: 97.

إلى أن توصلوا إلى فكرة بناء منجنيق وعلى أن يجعلوا إبراهيم عليه السلام فيه ثم يقذفونه في وسط النار، ولما فعلوا ذلك وأتوا بإبراهيم عليه السلام ليصعدوا به، أقبل إليه عمه آذر ولطمه لطمة شديدة، وقال له: ارجع عما أنت عليه، فلم يعبأ إبراهيم عليه السلام بكلامه. ثم صعدوا به فوق المنجنيق وهو يسبح الله ويقدسه، مطمئناً غير فزع ولا خائف، ولا وجل ولا مشفق، ولا مكترث بكل ما فعلوا، مستنداً إلى الله وإلى ما في صلبه من نور خاتم الأنبياء وآله عليهم السلام، لذلك لم يُوجس في نفسه خوفاً كما ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[1] عند دخوله على فرعون، لأن موسى عليه السلام لم يكن في صلبه من أنوار خاتم الأنبياء وآله عليه السلام شيء. كما روي عن الإمام جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام [2]. وقد كان نمرود بنى لنفسه بناء مرتفعاً مشرفاً على نار إبراهيم عليه السلام، فصعد إلى بنائه ينظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف تأخذه النار.

ولما قذفوا به من فوق المنجنيق إلى الجو في وسط النار كان يقول: «يا الله يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، نجني من النار برحمتك» صدر الأمر من المولى سبحانه إلى جبرائيل عليه السلام أن يتلقاه في الهواء وهو يهوي إلى النار، وأن ينزله في وسطها رويداً براحة، وصدر الأمر المهيب من الرب العظيم إلى النار أن ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3]، فاضطربت أركان تلك النيران

(1) سورة طه، الآية: 67.
(2) تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص105.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 69.

العظيمة لهيبة الخطاب وارتعدت واهتزت، وانقلبت بأقل من طرفة عين إلى بردٍ شديد، حتى اصطكت أسنان إبراهيم عليه السلام من شدة بردها، ولولا كلمة (سلاماً) بعد قوله تعالى (برداً) لمات إبراهيم عليه السلام برداً، ومكّنه الله تعالى في جوف النار على سرير وفراش، وانبت حوله أشجاراً خضراء نضرة ذات أثمار شتى، وغمر ما حوله بالنور.

ولما استقر إبراهيم عليه السلام على السرير، فتح عينيه ورأى حوله الأشجار، وجلس معه جبرائيل عليه السلام يحادثه ويؤنسه، وأشرف عليه نمرود من محله فإذا هو مع شيخ في روضة خضراء يتحادثان، فدهش نمرود وعجب والتفت إلى آذر وقال له: ما أكرم ابن أخيك على ربه!، ثم قال: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم.

وشاع خبر إبراهيم عليه السلام بين الناس، ثم خرج عليه السلام بعد أيام من النار سالماً، وقيل إنه كان يومئذ ابن ست عشرة سنة، واستحضره نمرود وجعل يحاجه، فقال له: يا إبراهيم من ربك؟ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾[1]. قال إبراهيم عليه السلام: كيف تحيي وتميت؟ قال: أعمد إلى رجلين فأطلق واحداً وأقتل واحداً، فأكون قد أمتّ وأحييت، قال إبراهيم عليه السلام: إن كنت صادقاً فأحيي الذي قتلته، ثم قال عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[2] وانقطع عن جوابه.

وأقام إبراهيم عليه السلام بعد ذلك بين ظهراني قوم نمرود يحتمل

(1) سورة البقرة، الآية: 258.
(2) سورة البقرة، الآية: 258.

آذاهم، إلى أن آمن به لوط عليه السلام وأخته سارة عليها السلام، وهما ولدا خالته أو أولاد عمه حاران الأكبر على رواية ثانية. فتزوج بسارة التي أحبته حباً شديداً. فخاف نمرود على ملكه وسلطانه، وبخاصة من اغترار قومه وافتتانهم بإبراهيم عليه السلام، فأمرهم بنفيه من بلادهم، وأن يخرجوه بجميع ما يملك إلى بلاد الشام، وخرج معه لوط عليه السلام وسارة عليها السلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[1]، وفي آية ثانية ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2]

سار إبراهيم عليه السلام بمن معه وما معه حتى خرج من الأراضي الخاضعة لسلطان نمرود، ودخل مصر التي كانت تخضع لسلطان رجل من القبط من الأسرة الفرعونية القديمة، فاستوقفته شرطة الحدود التي كانت تأخذ ضريبة على الممتلكات التي يحملها القادم إلى الديار المصرية، وأثناء استعراض الحرس لممتلكات إبراهيم عليه السلام لفت نظرهم المحمل الذي كان إبراهيم عليه السلام قد جعل فيه زوجته سارة عليها السلام، وأرادوا أن يفتحوه، فاعترض إبراهيم عليه السلام بشدة لأنه كان شديد الغيرة على عرضه، فمنعوه من الدخول واحتجزوه، وأرسلوا يخبرون الملك عن المسافر ومحمله، فأمر الملك بحمل إبراهيم عليه السلام وكل متاعه إليه.

ولما أحضر إبراهيم عليه السلام إلى الملك أمره بفتح المحمل، فقال

(1) سورة العنكبوت، الآية: 26.
(2) سورة الصافات، الآية: 99.

إبراهيم عليه السلام: أيها الملك، إن فيه زوجتي، وإنني أفتدي فتحه بجميع ما معي، فشك الملك بالأمر وأكرهه على فتحه.. ولما وقع نظره على سارة عليها السلام فتنه حسنها، وأراد أن يمد يده إليها، فارتعدت فرائص إبراهيم عليه السلام غيرة، وأعرض بوجهه وقال: اللهم احبس يده عن امرأتي وابنة خالتي، فلم يكمل دعاءه حتى يبست يد الملك، فلم تصل إلى سارة ولم ترجع إليه، فدهش الملك من ذلك وقال له: أإلهك هو الذي فعل بي هذا؟، قال: نعم إن إلهي لغيور يكره الحرام، وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام، قال الملك: فادع إلهك يرد علي يدي، فإن أجابك لم أتعرض لها بسوء، فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي رد إليه يده ليكف عن حرمي، فشفيت يد الملك وردت إليه.

ثم أقبل الملك يطيل النظر إلى سارة، فما لبث أن غلب عليه سفهه مرة أخرى، وتكررت اليبوسة في يد الملك، وأيضاً أعاد الطلب من إبراهيم عليه السلام أن يسأل الله أن يرد عليه يده وقال له: إن إلهك لغيور! وإنك لغيور!، فدعا إبراهيم عليه السلام الله سبحانه فرجعت يد الملك إليه.

عندئذ عظم إبراهيم عليه السلام في نفس الملك، وهابه وأكرمه وأتقاه، وقال له: قد أمنت من أعرض لها أو لشيء مما معك، فانطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: أحب أن أهديها جارية قبطية جميلة عاقلة ومتزنة، فأذن إبراهيم عليه السلام، ودعا الملك بها فوهبها إلى سارة عليها السلام، وكانت تلك الجارية الكريمة هاجر عليها السلام والدة النبي إسماعيل عليه السلام لاحقاً.

فانطلق إبراهيم عليه السلام بها وبجميع ما معه، وسار إلى أن نزل بأعلى الشامات من أرض فلسطين، وترك لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات منها ليدعو أهل تلك المناطق إلى طاعة الله سبحانه.

أقام إبراهيم مع زوجته سارة بعدئذ في أرض فلسطين مدة طويلة لم يولد لهما فيها ولد، حتى بلغ من العمر بحسب بعض الروايات 120 سنة، وبلغت سارة 90 سنة، فقال لسارة: لو شئت وهبتني هاجر لعل الله يرزقنا منها ولداً يكون لنا خلفاً، فأجابته سارة إلى ذلك ووهبته هاجر، التي حملت منه عليه السلام بإسماعيل عليه السلام، ولما ولدته هاجر عليه السلام اغتمت سارة عليه السلام من ذلك غماً شديداً، وغلب عليها ما يأخذ النساء من الغيرة، حتى جعلت تؤذي زوجها إبراهيم عليه السلام وتغمه في هاجر عليه السلام.

وطلبت سارة بعد مدة من زوجها إبراهيم عليه السلام أن يحمل هاجر وابنها ويرحل بهما عن بلاد الشامات، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام بالبراق، فحمل إبراهيم عليه السلام هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام، ومعهم جبرائيل عليه السلام يسير بهم، حتى وصلوا إلى أرض مكة المكرمة، فأنزلهم عليه السلام في موضع البيت، بين جبال شامخة وأرض رمل يابسة ليس فيها أنيس ولا ماء ولا زرع، وليست في شيء من نواحيه عمران ولا بشر ولا وحش ولا طير، فلما أراد إبراهيم عليه السلام الانصراف عنهما لعهد عاهدته عليه سارة، اعترضته هاجر عليه السلام صارخة باكية وقالت له: إلى من تدعنا؟ فقال: أدعكما إلى رب هذا البيت، وإن الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو حاضر يكفيكم، قالت: يا إبراهيم ما كنت

أرى أن نبياً مثلك يفعل ما فعلت! إنك تخلّف امرأة ضعيفة وغلاماً ضعيفاً لا حيلة لهما، بلا أنيس من بشر، ولا ماء يظهر، ولا زرع ينبت، ولا ضرع يحلب، فاهتزّ إبراهيم عليه السلام وارتعدت فرائصه واضطربت جوانحه بكلامها، واختنق بعبرته رقة وحزناً عليها وعلى ولدها، ورفع رأسه إلى السماء باكياً متضرعاً يقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1] ثم انصرف عنهما من ساعته.

وجلست هاجر عند رضيعها مغمومة حائرة في أمرها متفكرة في نفسها، إلى أن ارتفع النهار وحميت الشمس وعطش الرضيع وهو يصرخ، وأشرفت هاجر عليها السلام على الهلاك وكادت روحها أن تخرج من بدنها حزناً عليه، كأنها أيقنت بهلاكه عطشاً، فقامت عنه كالوالهة المجنونة بعد أن أظلته من حرارة الشمس بكساء كان معها، وأتت إلى موضع (ما عرف لاحقاً بالمسعى) وهو قريب من الكعبة المشرفة، وأخذت تنادي برفيع صوتها: هل في الوادي من أنيس؟ وبينما هي تدور من جانب إلى جانب، إذ لمع لها السراب في ناحية الجبل (الصفا) وظنته ماء، فأسرعت نحوه حتى صعدت الصفا ولم تجد ماء، وأقبلت تنظر في كل جانب، فلمع لها السراب في ناحية الجبل المقابل للصفا وهو المروة، فأسرعت إليه حتى صعدت عليه فلم تر شيئاً،

(1) سورة إبراهيم، الآية: 37.

وهكذا تكرر معها الحال إلى أن فعلت ذلك سبع مرات، ولما كانت في المرة السابعة على المروة، نظرت نحو ابنها الرضيع، فإذا الماء قد ظهر من تحت رجليه، فأقبلت إليه مسرعة ورأت الماء سائلاً قرب قدميه، فجمعت حوله الرمل لتحبسه وتجمعه، ولكن الماء ازداد حتى كاد يفيض، فقالت له (زمزم) أي (اسكن)، لذلك سمي البئر زمزم، فشربت منه وسقت ابنها، وهان عليها بعض ما نزل بها.

وقد أجرى الله السنّة بالسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط في الحج والعمرة اتبعاً وإكراماً لعمل هاجر عليها السلام إلى يوم القيامة.

ولما ظهر الماء في هذه البقعة من الأرض الصحراوية، عكف عليه الطير وأخذ يتردد إليه، وكانت قبيلة عربية من ناحية اليمن تعرف باسم قبيلة (جرهم) ضاربين منازلهم وخيامهم قرب منطقة (ذي المجاز) المحاذية لصعيد عرفات، فرأوا تردد الطير إلى ذلك المكان، فاتبعوها حتى انتهوا إلى موضع البيت (الكعبة)، فوجدوا امرأة وطفلاً هناك وقد ظهر الماء لهما، فتعجبوا من ذلك لعلمهم بأن هذه المنطقة الصحراوية لا يوجد فيها ماء، فأقبلوا إليها وقالوا لها: من أنت؟ وما قصتك وقصة هذا الصبي؟ فقالت: أنا أم إسماعيل زوجة خليل الرحمٰن إبراهيم وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا ها هنا، قالوا: أفتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟، قالت: حتى يأتي إبراهيم واستأذنه في ذلك.

وبعد أيام عاد إبراهيم عليه السلام لزيارة زوجته هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام، فأخبرته بأمر هؤلاء القوم ومسألتهم، فأذن إبراهيم عليه السلام بنزولهم بقربهما، وبعد انصرافه عليه السلام عنهما أتى بعض

القبيلة لاستقاء الماء من بئر (زمزم) فأخبرتهم هاجر عليها السلام بإذن زوجها إبراهيم عليه السلام للنزول بقربهما، ففرحوا بذلك وانتقلوا إلى جوارهما، وضربوا خيامهم بالقرب منهما، وعلموا أن هذه المرأة وابنها وزوجها لهم شأن عند الله، فوهب كل منهم شاة أو أكثر لهاجر وإسماعيل عليهما السلام يعيشان بها، وأنست بهم هاجر عليها السلام، ولما زارها إبراهيم عليه السلام في المرة الثانية بعد مدة، ووجد كثرة الناس حولهما، فرح بذلك فرحاً عظيماً، وازدادت الجموع في الموضع، وأجرى الله سبحانه عليهم الرزق بدعاء إبراهيم عليه السلام، حتى كانت الجموع من الركب وقوافل التجار يمرون عليهم فيطعمون المارة ويضيفونهم ويسقونهم.

ولما أتى إبراهيم عليه السلام في بعض الزيارات التالية لابنه إسماعيل عليه السلام، أمره الله سبحانه ببناء الكعبة المشرفة مع ولده إسماعيل عليه السلام وبالطواف حولها، وأنزل عليه الوحي عليه السلام ليعلمه آداب الحج والعمرة ومناسكهما، من سعي بين الصفا والمروة، والطواف بالبيت، والوقوف في عرفة والمشعر الحرام (المزدلفة)، إلى آخر أعمال الحج لا سيما المبيت في وادي (منى).

وفي ليلة مبيته في المشعر (المزدلفة) رأى في منامه أن الله أمره بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، وكان إسماعيل يومئذ غلاماً يافعاً، وقيل إن عمره الشريف كان يومئذ 13 سنة، وكان قد تعلق به قلب أبيه إبراهيم عليه السلام، وبخاصة لأنه قد رزق به بعد شيخوخته وفناء عمره.

ولما انتهى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل عليه السلام وأمه هاجر عليها السلام إلى منى بعد تلك الرؤيا، أمر هاجر بالذهاب إلى مكة والطواف حول

موضع البيت، واحتبس الغلام عنده، ثم أمره أن يأخذ الحبل والسكين معه للاحتطاب، ولما انتهى به إلى موضع الجمرة الوسطى، استشاره في ما رآه في منامه من أمر الذبح، فاستقبل الغلام أمر الله به بكل خضوع وتسليم، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، ولما سلما الأمر لله سبحانه وقد التهبت نيران الحسرة والحزن في قلب إبراهيم عليه السلام وأخذ ابنه ليضجعه ويهيؤه للذبح، أقبل إليه إبليس اللعين بصورة رجل كبير في السن، وأخذ يثنيه عن ذبح ولده، فرجمه إبراهيم عليه السلام بسبع حصات ففر اللعين من أمامه واختفى عنه.

وأقبل إبراهيم عليه السلام يستشير ابنه مجدداً في مسألة الذبح، فلم يره إلا مقبلاً مطيعاً لأمر ربه وهو يقول: امض يا أبت لما أمرك الله به.

عندها لما رأى إبراهيم عليه السلام من ابنه غاية الطاعة ومنتهى التسليم لأمر الله تعالى، وهو يقدم نفسه للذبح، ازداد إبراهيم عليه السلام عليه حسرة وأسفاً، وجعل يبكي بكاء شديداً، وهو ينظر إلى قرة عينه ومهجة قلبه وفلذة كبده نظر يائس منه، والغلام يبكي على بكاء أبيه ويوصيه بأمه وبعدة وصايا، كل ذلك وأبوه واقف يسمع ما يقول وقد تفتت كبده، واسودت الدنيا في ناظريه، وغارت عيناه في حدقتيه، يتململ تململ السقيم بحسرة وأنين، قد اختنق بعبرته، واضطرمت حشاياه، وقد قيل إنه أغمي عليه، وكادت نفسه أن تزهق من جسده.

(1) سورة الصافات، الآية: 102.

أخيراً أقبل على الغلام يقبل خده ويقول له: نعم العون أنت يا بني على أمر الله.

ثم أخذ المدية وقد اضطجع الغلام على جنبه الأيمن تجاه موضع الكعبة المكرمة، ومد يديه وأسبل رجليه هادئاً مستقراً مستكيناً مستسلماً لأمر الله سبحانه.

ولما وضع إبراهيم عليه السلام السكين على نحر ولده، رفع رأسه إلى السماء باكياً مناجياً ربه، ثم شد على المدية وشفرتها الحادة بقوة تامة، ولكنها لم تؤثر في نحر الغلام، فعجب من ذلك ثم أعاد الأمر مرة أخرى، ومن بعدها مرة ثالثة وهي لا تؤثر شيئاً بمنحر ولده، وإذ بجبرائيل عليه السلام ومعه كبش لم ينزل من بطن نعجة، وأمره بذبحه فداء عن ابنه إسماعيل عليه السلام وجاء النداء من قبل الله سبحانه: ﴿. . . أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾.

وقد وصف الله تعالى عملية الذبح وكبش الفداء بقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١﴾[1].

ولهذا لقّب إسماعيل عليه السلام (الذبيح)، وقد قال نبينا الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: أنا ابن الذبيحين، يعني أحدهما

(1) سورة الصافات، الآيات 103 - 111.

إسماعيل عليه السلام، والآخر والده (عبدالله بن عبدالمطلب) عليه السلام، حين أراد أبوه ذبحه حسب نذره، إلى أن فداه الله تعالى بمئة من الإبل، والقصة مشهورة وقد ترد معنا في السياق بإذن الله.

وعليه، فإن رؤيا إبراهيم عليه السلام هذه كانت من جملة البلايا والاختبارات التي اختبر الله تعالى بها خليله إبراهيم عليه السلام، فوجده صابراً عليها، وهي من الكلمات التي كلفه الله بها، فوجده متمماً لها موفياً بها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾[1] أي عزم على إطاعتهن، وسلم لله أمره فيهن، ولذلك جعله الله تعالى إماماً لمن بعده من الأنبياء عليهم السلام وأممهم، وأجرى فيهم سننه الحنيفية العشر التي مرت الإشارة إليها، والتي لم تنسخ في كافة الشرائع اللاحقة. ونتيجة لهذا التسليم للأمر الإلهي، والطاعة المطلقة للمشيئة الإلهية، أوحى الله تعالى إليه: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ﴾[2]، ثم سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن تكون الإمامة في ذريته إلى يوم القيامة، فردّ الله تعالى عليه بأنه لا يمكن أن ينالها ظالم لنفسه بالمعصية أو بالكفر، وذلك بعد صيرورته إماماً مقتدى ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله تعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام بثلاثين خصلة، فأقامها كلها وأتمها ولم يتمها غيره، وأنزل الله تعالى فيه:

(1) سورة البقرة، الآية: 124.
(2) سورة البقرة، الآية: 124.
(3) سورة البقرة، الآية: 124.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[1]، أي وفى وأطاع ما أنزل عليه من الأمر والنهي، وأنزل تعالى عليه عشر صحائف، وهي الصحف الأولى التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[2].

وكان إبراهيم عليه السلام قد اتخذ من نواحي الشامات في فلسطين مسكناً له مع زوجته سارة عليها السلام، وكان يتردد على زوجته الأخرى هاجر عليها السلام وابنها النبي إسماعيل عليه السلام من حين لآخر، وفي أحد الأيام التي كان فيها عليه السلام في منزله في ناحية فلسطين زاره جبرائيل عليه السلام مع وفد من الملائكة عليهم السلام قبل أن يتوجهوا إلى قوم لوط عليه السلام لإنزال العذاب عليهم - كما سيمر معنا بقصة النبي لوط عليه السلام - فلم يعرفهم في بادئ الأمر واعتقد أنهم ضيوف، فقام وذبح لهم عجلاً إلا أنهم لم يأكلوا منه شيئاً فأوجس منهم إبراهيم عليه السلام، عندها أخبروه بهوياتهم وأنهم أرسلوا لإنزال العذاب بقوم لوط عليه السلام نتيجة لفسقهم ومعصيتهم وكفرهم، كما أنهم أرسلوا لإعلامه ونقل البشارة إليه بولادة مولود جديد له من سارة يدعى إسحاق عليه السلام ومن بعده، أي من صلب إسحاق عليه السلام ولده يعقوب عليه السلام، فلما سمعت سارة عليها السلام بشارة جبرائيل عليه السلام لها بالحمل والوضع، جعلت يديها على وجهها حياء وضحكت، لأنها

(1) سورة النجم، الآية: 37.
(2) سورة الأعلى، الآيتان: 18 - 19.

كانت يومئذ عجوزاً تبلغ من العمر 90 سنة، بالإضافة إلى أنها كانت عاقراً لا تحمل أصلاً، وكان عمر النبي إبراهيم عليه السلام 120 سنة.

و﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[1].

ولقد كان الخليل عليه السلام رحوماً شفيقاً بالناس وباراً بالخلائق، لذا فإنه بعد أن سكن روعه، وبعد أن عرف مهمتهم وأنهم آتون لإنزال العذاب على قوم لوط عليه السلام جعل يجادل فيهم محاولاً تأجيل العذاب لهم، عسى أن يهتدوا أو يهتدي بعضهم، فيعودوا إلى ربهم وينصرفوا عن منكراتهم، كما أنه عليه السلام ذكّرهم بوجود لوط عليه السلام فيهم، إلى أن جاءه الوحي من الله تعالى بشكل نهائي وقاطع: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[2].

ومما روي أيضاً من قصص إبراهيم الخليل عليه السلام، أن الله أمره أن يزور عبداً من عباده الصالحين، فلما زاره إبراهيم عليه السلام قال له العبد الصالح: إن لله عبدا يقال له إبراهيم اتخذه خليلاً، فوقع في نفسه إبراهيم أنه هو، وسأل عن علامة ذلك الخليل، فقال العبد الصالح: علامته أن يحيي الله له الموتى.

ولما انصرف إبراهيم من عنده، التفت يوماً فرأى جيفة حيوان على

(1) سورة هود، الآيات: 70 - 73.
(2) سورة هود، الآية: 76.

ساحل البحر، بعضها في الماء وبعضها في البر، ورأى أن مخلوقات البحر تأتي وتأكل منها، كما أن الحيوانات البرية كانت تأتي وتأكل من هذه الجيفة من ناحية البر، بالإضافة إلى أن الطيور الجارحة كانت تطير وتنهش منها أيضاً، فتعجب إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: يا رب أرني كيف تحيي الموتى، وهذه أمم يأكل بعضها بعضاً، وأراد بذلك أن يحيي الله له الموتى، فيطمئن بذلك قلبه للخلة الموعودة على لسان العبد الصالح، فأوحى الله إليه ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1] بالخلة، وأرى هذا كما رأيت الأشياء كلها المتعلقة بتناوب الحيوانات على تلك الجيفة، قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

هذا وإن إبراهيم عليه السلام بعد أن حملت سارة عليها السلام ووضعت إسحاق عليه السلام، حمد الله سبحانه، شاكراً له نعمته عارفاً آلاءه، قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[3]، ودعا لمكة المكرمة بالأمن، وله ولأبنائه باجتناب الشرك بالله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[4].

(1) سورة البقرة، الآية: 260.
(2) سورة البقرة، الآية: 260.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 39.
(4) سورة إبراهيم، الآية: 35.

ثم دعا الله سبحانه أن يجعله مقيماً للصلاة وأن يجعل من ذريته كذلك مقيمين لها، وأن يتقبل دعاءه، كما طلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[1]، وهذه الآية دليل إضافي ومهم جداً على أن أبويه كانا مؤمنين موحدين ولم يكونا مشركين، وإلا لم يجز له الدعاء لهما بالمغفرة، لأن هذا المنع ورد في الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، وبذلك يثبت أن والده كان (تارخ) وهو موحد كما ذكرنا، وأن (آذر) المشرك كان عماً له وقد رباه بين أولاده، ولذلك سماه الله تعالى أباً له، على عادة العرب بتسمية العم أو المربي أباً.

وعلى كل حال، فقد عاش إبراهيم عليه السلام 175 سنة، وكان قد سأل ربه أن لا يميته حتى يكون هو الذي يسأل الموت، وكان الله تعالى قد أجابه إلى ذلك.

وحدث يوماً أن إبراهيم عليه السلام صنع طعاماً ودعا إليه الفقراء وأهل الحاجة، فكان في من أتى منهم رجل كبير في العمر ضعيف البنية وكفيف البصر يقوده أحدهم، ولما جلس الناس إلى المائدة وجلس معهم هذا الرجل ومد يده لتناول اللقمة، صارت يده تهتز باللقمة يميناً وشمالاً لشدة ضعفه، ولم يستطع أن يتناولها إلا بصعوبة، فرآه

(1) سورة إبراهيم، الآيتان: 40 - 41.
(2) سورة التوبة، الآية: 113.

إبراهيم عليه السلام وقال في نفسه: ألست أصير إذا كبرت مثل هذا الرجل!؟، فعند ذلك قال: اللهم توفني في الأجل الذي كتبت لي، فلا حاجة لي في الزيادة في العمر.

ولما انتهت أيامه في الدنيا وحان أجله، هبط إليه ملك الموت وسلم عليه، فرد إبراهيم السلام، ثم سأله عن سبب حضوره قائلاً: أداعٍ أم ناعٍ، فقال ملك الموت عزرائيل عليه السلام: بل داعٍ، فأجب يا إبراهيم، فقال عليه السلام: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأجابه ملك الموت: وهل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال عليه السلام: امض لما أمرت به، فقبض ملك الموت روح إبراهيم عليه السلام الشريفة وتوفى إلى رحمة الله سبحانه[1].

ودفن بنواحي الشام، ومدفنه معروف إلى الوقت الحالي بمنطقة (الخليل) بجوار بيت المقدس في فلسطين. ورغم هذه الشهرة الواسعة والمتواترة على وجود مقامه الشريف في تلك الأرض التي حملت اسمه بعد دفنه فيها أي الخليل، إلا أن هناك بعض الآراء تتحدث عن غير ذلك، ولا نجد طائلاً في استعراضها ومناقشتها لأن معظمها عبارة عن

(1) إن هذا السرد التاريخي المختصر عن حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام هو منقول وبتصرف عن العديد من المصادر والمراجع الإسلامية، وللتوسع حول هذه السيرة العطرة أنظر على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ ابن الأثير، ج1، ص72، وما بعدها. وتاريخ الطبري، ج1، ص172 وما بعدها. سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وسلم، ص89 وما بعدها. تواريخ الأنبياء، ص95 وما بعدها. قصص الأنبياء والمرسلين، ص117 وما بعدها. الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص23 وما بعدها. وغيرها الكثير لا سيما كتب التفاسير القرآنية.

أماكن يحتمل أن زارها الخليل عليه السلام أو مرّ بها، وبالتالي سميت باسمه الشريف، ومع مرور الوقت ترسخت هذه المسألة في أذهان أبناء تلك المناطق على أن إبراهيم الخليل عليه السلام مدفون لديهم، في حين أن الواقع خلاف ذلك، بل كما أشرنا آنفاً من أنه عليه السلام مدفون مع زوجته سارة (في مغارة الكفيلة في حقل عفرون بن طومر الحثي)[1]، المعروفة حالياً بمنطقة الخليل بجوار بيت المقدس. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠﴾[2].

(1) طبقات الأنبياء والأولياء، مصدر مذكور، ص26، وأيضاً: معجم البلدان، ج3، مصدر مذكور، ص246.

(2) سورة سورة الصافات، الآيتان: 109 و110.

صورة قديمة جداً لضريح النبي إبراهيم عليه السلام

صورة الحرم الإبراهيمي الشريف من الخارج

صورة أخرى للضريح الشريف من الداخل

صورة جانبية للضريح الشريف

صورة شباك ضريح نبي الله إبراهيم عليه السلام
من داخل الحرم الإبراهيمي

صورة جانبية للضريح الشريف بشكل اقرب

صورة للكنيس اليهودي داخل الحرم الإبراهيمي

صورة أخرى للكنيس داخل الحرم
والمقتطع من المسجد

صورة تظهر بعض الزوار من المسلمين الممنوعين من الدخول للزيارة بسبب وجود الكنيس اليهودي المستحدث

مدخل الغار الشريف حيث اضرحة الأنبياء عليهم السلام

صورة اقرب لمدخل الغار الشريف

صورة قريبة جداً لمدخل الغار الشريف أيضاً

السيدة سارة عليها السلام

هي إبنة خالة إبراهيم عليه السلام وأخت النبي لوط عليه السلام، وفي رواية أخرى هي إبنة عم النبي إبراهيم عليه السلام ووالدها هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام [1].

وفي رواية أخرى أنها إبنة خالته وأخت النبي لوط عليه السلام.

وعلى كل حال فهي نسيبته من جهة الأب أو من جهة الأم لا فرق بذلك[2].

زوجها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام.

وابنها منه عليه السلام إسحاق النبي عليه السلام.

وكانت السيدة سارة عليها السلام من أجمل نساء قومها، وكانت صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة أي صاحبة ثروة، كما أنها كانت صاحبة عفة وأخلاق حميدة، فآمنت بدعوة إبراهيم عليه السلام وذلك بعد حادثة

(1) تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص179، وانظر أيضاً: ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص77.
(2) تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص107.

(المنجنيق)، وأحبته حباً شديداً، وملّكته جميع ما كانت تملكه، فقام إبراهيم عليه السلام بإدارة هذه الأموال التي كثرت بشكل كبير بفضل من الله سبحانه، وببركة خليله إبراهيم عليه السلام.

كما أنها عليها السلام كانت لا تعصي إبراهيم عليه السلام شيئاً، وبذلك أكرمها الله عز وجل، فوهب لها إسحاق عليه السلام وهي عجوز تبلغ 90 سنة بحسب الروايات.

إلا أنه وعلى الرغم من كل ما تقدم فإنها لم تحصل على درجة سيدة نساء عالمها، كحال السيدة آسية عليها السلام زوجة الفرعون، أو السيدة مريم عليها السلام والدة المسيح عليه السلام، أو السيدة خديجة عليها السلام زوجة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وزوجة باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بن أبي طالب عليهم جميعاً السلام والتحية والإكرام.

وهذه هي الحكمة الإلهية التي لا يعلم كنهها أحد، والمشيئة الربانية التي لا يستشار فيها أحد، إلا أنه يكفيها فضلاً وشرفاً أنها زوجة أبو الأنبياء عليهم السلام، ومن رحمها المبارك خرج نبي من أنبياء الله عليهم السلام وهو إسحاق عليه السلام، ومن صلب إسحاق عليه السلام جماعة من الأنبياء كيعقوب عليه السلام ويوسف عليه السلام وغيرهما الكثير كما سيمر معنا بإذن الله.

وهناك مسألة لا بد من التوقف عندها والإشارة إليها، فهي مورد من موارد الفتنة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، حيث يزعم اليهود تحديداً أنهم من سلالة السيدة في حين أن العرب والمسلمين من

سلالة الجارية هاجر عليها السلام، وهذا الأمر يدل على أنهم بعيدون عن الاعتبارات الدينية الصحيحة، وأنهم يعانون من عقد نفسية جعلتهم يبحثون عن بعض الاعتبارات التي من شأنها بث روح العنصرية والفوقية لديهم، وهذه الأقوال والادعاءات هي شيطانية المصدر، والنفس الأمارة بالسوء، لأنهم نسوا أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. فكلنا جميعاً نساءً ورجالاً مجرد عبيد لله سبحانه وتعالى، والسيدتان الفاضلتان سارة وهاجر عليهما السلام يعلمان هذه الحقيقة ويجسدانها، وهما من هذه الأضاليل والفتن براء ولا شأن لهما بها، وإن كان للفخر والاعتزاز من طريق أو مجال فإن السيدة هاجر عليها السلام أولى بذلك، لأن من ذريتها المباركة خرج خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي الأعظم محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وعلى آبائه إسماعيل وإبراهيم وعلى آل بيته الأطهار الميامين، وأصحابه الأخيار المنتجبين. هذا بالإضافة إلى أن قسماً من ذرية إسرائيل (يعقوب عليه السلام) هم من جاريتين (زلفة) و(بلهة) كما سيمر معنا في تاريخ النبي يعقوب عليه السلام.

كما أن هناك مسألة أخرى وردت في التراث الإسلامي الشامل لجميع المذاهب الفكرية استوقفتني طويلاً، قبل أن أقرر تصويبها من خلال الانقلاب على هذا التراث المشبع بالإسرائيليات، فقد ورد في معظم المصادر والمراجع أن إبراهيم عليه السلام كان لا يجرأ على معصية

(1) سورة الحجرات، الآية: 13.

رغبات زوجته سارة عليها السلام، بل كان يطيعها وينفذ رغباتها!! وهذا ما أرفضه رفضاً قاطعاً، وذلك لأن إبراهيم الخليل عليه السلام وصل به حد الطاعة والانقياد والتسليم لله سبحانه أن صدق الرؤيا وأقدم على محاولة ذبح وحيده وفلذة كبده النبي إسماعيل عليه السلام الذي فداه الله بكبش عظيم كما مرّ معنا سابقاً.

فكيف لمن وصل إلى حد الطاعة العظمى لله أن يطيع من دونه!؟ وإكرام النساء واجب شرعاً واحترامهن واجب أيضاً، إلا أنه لا مجال للمقايسة هنا بين طاعة الله المطلقة وطاعة الزوجات المقيدة بطاعة الله، وبالتالي إن كانت هذه الرغبات في طاعة الله فهي من طاعة الله، وإن كان خلاف ذلك فلا يجوز إطاعتهن على أي حال.

وقد وردت معظم هذه الشبهات في المسائل والأمور الزوجية بين إبراهيم عليه السلام وسارة عليها السلام، وعلاقته بزوجته هاجر عليها السلام وابنه منها إسماعيل عليه السلام.

ولا مجال ها هنا للتبرير بغيرة النساء، لأنه من المعلوم أن الغيرة للرجال، وهي على الدين والعرض والمال، أما الغيرة عند النساء فهي من الحسد وهو شعبة من شعب الكفر، لأن الحسد يعني عدم الرضا بما قدّره المولى عز وجل.

لذا فإنني أعتقد بأن كل الذي جرى مع إبراهيم وسارة وهاجر عليهم السلام، كان وفق الحكمة الإلهية التي أذعن لها إبراهيم عليه السلام طاعة لله وحده دون سواه.

وعلى كل حال، فقد توفيت السيدة سارة عليها السلام قبل زوجها إبراهيم عليه السلام وقبل هاجر عليها السلام التي عاشت بعد سارة لفترة من الزمن ثم ما لبثت أن توفاها الله إلى رحمته أيضاً ودفنها ابنها إسماعيل عليه السلام في المكان الملاصق للكعبة المشرفة والتي تعرف بالحجر الإسماعيلي، أما سارة عليها السلام فقد دفنها إبراهيم عليه السلام في مغارة من مزرعة قد اشتراها في أرض كنعان أي فلسطين، وبالخليل تحديداً حيث مكان مقامها الحالي، ولم أجد أي إشارة أو ادعاء بخلاف هذا الأمر والله أعلم.

وفي الختام أردد ما ذكره المولى في محكم كتابه: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[1].

(1) سورة هود، الآية: 73.

صورة لشباك ضريح السيدة سارة
من داخل الحرم الإبراهيمي الشريف

صورة لشباك ضريح السيدة سارة
زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام عن قرب

صورة اللوحة الجدارية التي تذكر تاريخ
تجديد الضريح في زمن السلطان
عبد الحميد عام 1313 هجري

صورة لضريح السيدة سارة عليها السلام من الداخل

النبي لوط عليه السلام

وهو لوط بن هاران، وقد تقدم أنه على الأصح أخو سارة زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، وهما ابنا عمه أو خالته، كما أنهما أول من آمن بإبراهيم عليه السلام.

وقد كان لوط عليه السلام رجلاً سخياً كريماً يقري الضيوف إذا نزلوا به، وكان يسكن نواحي الأردن على الطريق الواصل من الشام إلى مصر.

وكان إبراهيم عليه السلام قد أقام لوطاً عليه السلام عندهم، ليدعوهم إلى الله تعالى ويعظهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحذرهم عذاب الله. أما هم فكانوا قوماً لا يتنظفون ولا يتطهرون، وكانت مجالسهم في أنديتهم تشتمل على أنواع المنكرات كالشتم والقمار وضرب المعازف والمزامير، وكشف العورات لبعضهم البعض، والإساءة للمارين على الطريق من خلال قذف الحجارة عليهم، وفي ذلك قول لوط عليه السلام لهم كما نقلته الآية الكريمة: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[1].

(1) سورة العنكبوت، الآية: 29.

لبث لوط عليه السلام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله سبحانه ويحذرهم عذابه ونقمته، وتزوج من إحدى نسائهم ورزق منها بنات يقال إنهن ثلاث، ولوجود لوط عليه السلام بين ظهرانيهم أحلّ الله البركة عليهم، فأصبح قومه أثرياء، إلا أنهم كانوا بخلاء جداً كما سيمر معنا في السياق، وكانت بلادهم عامرة كثيرة الشجر والنبات والخير، وكانت طريق القوافل إلى اليمن أو مصر أو الشام وغيرهما عليها، وكان فيها أربع مدن هي: (سدوم) و(صدام) و(ولدنا) و(عمورة)، وأعظمها سدوم التي كان يسكنها لوط عليه السلام.

وكانت تلك البلدان قريبة من مسكن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان أهلها أشحاء بخلاء لدرجة كبيرة، لذلك كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من البخل في كل صباح ومساء، ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. ويحذر الناس سوء عاقبة البخل، ويذكرهم بقصة قوم لوط عليه السلام.

كانت القوافل تمر ببلاد قوم لوط عليه السلام، وكان المسافرون يستريحون في هذه البساتين المثمرة ويأكلون منها، فجزع من ذلك قوم لوط لبخلهم وضاقت صدورهم، ولم يهتدوا إلى حل لمنع المسافرين بالقوافل من الأكل من ثمار بساتينهم، فأتاهم إبليس عليه اللعنة في صورة شيخ مسن وهم مجتمعون لإيجاد حل لمشكلتهم وقال لهم: هل أدلكم على ما إن فعلتموه لم يمر بكم أحد؟ فقالوا: نعم، فقال عليه اللعنة: إذا مرّ بكم أحد فانكحوه في دبره واسلبوه ثيابه وانصرف عنهم.

(1) سورة الحشر، الآية: 9.

ثم جاءهم ثانية بصورة شاب جميل الهيئة كأنه مسافر على الطريق وأخذ يتناول من ثمار أشجارهم، فوثبوا عليه لمنعه، وتذكروا بالأثناء تلك النصيحة الشيطانية فعمدوا إلى نكاحه، ومكّنهم اللعين من نفسه، ثم اختفى من بعدها، فطاب لهم ذلك ومارسوه مع كل من كان يمر بأرضهم من القوافل والمسافرين، ليحذر الناس من المرور عليهم أو النزول في بساتينهم، فشاع أمرهم بين الناس والقرى، وانقطعت القوافل عن المرور بأراضيهم، وعندما لم يعد يمر أحد على الطريق، وكانوا قد استطابوا هذه الفاحشة، انقلبوا على قومهم وفتيانهم، واكتفى الرجال بالرجال واعتزلوا نسائهم الذين تساحقوا فيما بينهن، وانتشرت الرذيلة والفحشاء بينهم.

وكانت زوجة لوط عليه السلام كافرة بالله وبدعوة زوجها لوط عليه السلام، كمثل زوجة النبي نوح عليه السلام، وقد قال تعالى فيهما: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[1].

وكانت زوجة لوط إذا نزل ضيف بزوجها تخبر قومها بذلك، حتى يهجموا على الضيف وينكحوه، وكانت العلامة بينها وبين قومها في النهار أن توقد النار بالخشب الأخضر فيصدر عنه الدخان، وفي الليل كانت توقد النار على السطح ليعلم قومها بوجود ضيوف عند

(1) سورة التحريم، الآية: 10.

لوط عليه السلام. وبلغ الأمر في البخل منهم إلى حد أنهم منعوه عن استضافة الضيوف، وكانوا يقولون له: لا تستضف أحداً وإن فعلت فضحنا ضيفك وأخزيناك، ولذا كان لوط عليه السلام إذا جاءه ضيف كتم أمره، إلا أن زوجته الملعونة والتي كانت تدعى (واحلة) تعلم قومها بذلك بالطريقة التي ذكرناها.

ولم يكن للوط عليه السلام في هذه البلاد قوم ولا عشيرة حتى يناصروه عليهم، لذا لم يكن أحد منهم على الإيمان بالله وبنبوة لوط عليه السلام، إلا بيتاً واحداً كما قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، ويبدو بحسب الظاهر أنه بيت لوط عليه السلام. ولما تمادى القوم في الكفر والطغيان والرذيلة وطالت المدة بهم، ضاق لوط عليه السلام بهم ذرعاً وضاق صدره غماً وألماً، وبخاصة بعد أن هددوه بالرجم والإخراج من بلدهم إن لم يتوقف عن استضافة الضيوف، وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾[2]، فعند ذلك دعا عليهم بالهلاك ونزول العذاب.

وقد أجابه الله تعالى إلى ذلك، فهبط جبرائيل عليه السلام بأمره تعالى مع ثلاثة أنفار من الملائكة على إبراهيم عليه السلام، فبشروه وزوجته سارة بولادة إسحاق ويعقوب عليهما السلام، كما سبق تفصيله في تاريخ إبراهيم عليه السلام، وأخبروه بقرب حلول العذاب على قوم لوط عليه السلام، فتأثر إبراهيم عليه السلام كثيراً، وحاول دفع العذاب عنهم أو على الأقل

(1) سورة الذاريات، الآية: 36.
(2) سورة الشعراء، الآية: 116.

تأخيره، عسى أن يرجعوا عن غيّهم، وقال لجبرائيل عليه السلام وصحبه: أفإن كان في المدينة مائة من المؤمنين فهل يهلكها الله؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها خمسون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيها عشرة؟، قالوا: لا، قال: فإن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، فقال إبراهيم عليه السلام عندئذ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1]، فأقبل إبراهيم عليه السلام ينادي ربه في قوم لوط عليه السلام، ولكن جبرائيل عليه السلام نهاه بأمر من الله تعالى قائلاً: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[2].

ثم قام جبرائيل عليه السلام بمن معه وخرجوا من عند إبراهيم عليه السلام، وساروا حتى انتهوا إلى قرية لوط عليه السلام، ووقفوا عليه في زي شباب بهيئة حسنة، عليهم ثياب وعمائم بيض، وهو عليه السلام حينئذ بقرب القرية يحرث زرعاً له، فسألهم لوط عليه السلام: من أنتم؟ قالوا: نحن أبناء السبيل، أضفنا الليلة، قال: يا قوم إن أهل هذه القرية قوم سوء لعنهم الله ينكحون الرجال ويسلبون الأموال، فقالوا: قد تأخرنا فأضفنا الليلة، فقال: نعم، وتقدمهم يمشي وهم يمشون خلفه، وكان الله سبحانه قد أمر جبرائيل أن لا يعذب القوم حتى يشهد لوط عليه السلام عليهم ثلاث شهادات.

ولما كان لوط عليه السلام مع الرسل عليه السلام في بعض الطريق، ندم على

(1) سورة العنكبوت، الآية: 3210.
(2) سورة هود، الآية: 76.

ضيافتهم خوفاً من سوء عمل قومه بهم، فأخذ يخاطبهم قائلاً لهم: أين تريدون؟ فما رأيت أبهى وأجمل منكم قط!، قالوا: أرسلنا سيدنا لعمل في هذه المدينة، قال: أولم يبلغ سيدكم ما يفعل أهل هذه المدينة؟ يا بني إنهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم، وإنكم تأتون شرار خلق الله، فالتفت جبرائيل عليه السلام إلى أصحابه وقال: هذه واحدة، أي شهادة واحدة من لوط على قومه.

ثم توجه إليهم لوط عليه السلام ثانية بعد برهة قليلة من السير وأعاد قوله: إنكم تأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرائيل عليه السلام: هذه الثانية، ثم مشى ومشوا خلفه حتى انتهوا إلى باب المدينة، فالتفت إليهم وقال لهم ثالثة: إنكم تأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرائيل عليه السلام: هذه ثلاث، ثم قال لوط عليه السلام: إن لي إليكم حاجة، قالوا: وما هي، قال: تصبرون ها هنا حتى حلول الظلام، فأجابوه إلى ذلك وجلسوا على باب المدينة، واستأذن لوط عليه السلام من ضيوفه ليأتي بالطعام وبأغطية ليتقوا بها البرد والمطر، حيث أن المطر كان قد هطل بشكل غزير.

ثم لما أن ذهب شطر من الليل وحلك الظلام، قام لوط عليه السلام وقال لضيوفه: هيّا نمضي، فقاموا ودخلوا المدينة، وأخذ لوط عليه السلام يمشي إلى جانب الحائط مستخفياً بالظلام مستتراً بضيوفه عن قومه، بينما الضيوف لا يمشون إلا وسط الطريق، وهو يسألهم ويتوسل إليهم أن يمشوا مثله، ولكنهم كانوا يجيبونه: أمرنا سيدنا أن نمرّ في وسط الطريق، ولما قربوا من بيته سبقهم لوط عليه السلام إلى زوجته وقال لها: قد

أتاني أضياف هذه الليلة، فاكتمي عليّ ذلك حتى أعفو عنك جميع ما كان منك إلى وقتنا هذا، فأجابته الملعونة إلى ذلك ظاهراً، ولكنها أبطنت النفاق.

ولما دخل الرسل البيت قامت المرأة على سطح الدار على عادتها، وأوقدت النار لتعلم قومها بخبر الضيوف، فعرف أهل القرية وأقبلوا على بيت لوط عليه السلام من كل ناحية، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[1] أي يسرعون في المشي عدواً، وكما وصفهم المولى عز وجل في مكان آخر: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[2] مسرورين بقدوم أولئك الضيوف، وقد ظنوا أنهم ينالون منهم، فقام لوط عليه السلام في وجههم ووضع يده على باب الدار يناشدهم الله أن يرجعوا عن ضيوفه، و﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾[3]، ولكنهم ما ازدادوا إلا غياً وعليه تهجماً وهم يصرخون به غاضبين: و﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] أي ألم نمنعك عن استقبال الضيوف؟ ثم ضاعفوا حملتهم لدخول داره، وهو عليه السلام يمانعهم ويدافعهم عن ذلك وهو يقول لهم ويذكرهم و﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[5] أي ارجعوا إلى نسائكم اللائي هنّ بمثابة بناته، وهو بمثابة

(1) سورة هود، الآية: 78.
(2) سورة الحجر، الآية: 67.
(3) سورة الحجر، الآيتان: 68 - 69.
(4) سورة الحجر، الآية: 70.
(5) سورة هود، الآية: 78.

الأب للجميع ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[1]، ولكن القوم أبوا إلا طغياناً وكفراً، ولم يقبلوا قوله بالنساء و﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[2] من الفحشاء بالذكور، إلى أن تكاثروا عليه وكسروا باب داره ودخلوها، فوقف لوط عليه السلام جانباً متحسراً على ضيوفه خجلاً منهم، وهو يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3] أي يا ليت لي قوة فأمنعكم وأردكم كرهاً، أو ليت لي ركناً شديداً يحميني منكم ويدرأ عني وعن ضيوفي أذاكم، فتوجه جبرائيل عليه السلام إلى أصحابه من الملائكة وقال: لو علم ما له من القوة، ثم خاطب لوط قائلاً له: دعهم يدخلون.

ولما توسطوا الدار وقد طرحوا لوطاً على الأرض وهمّوا بالتعرض للرسل (الضيوف)، هوى جبرائيل عليه السلام بإشارة من إصبعه نحوهم، فعميت أبصارهم وذهبت عيونهم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾[4]، ولما رأى لوط عليه السلام ذلك دهش عجباً، وتوجه نحو الرسل وسألهم: من أنتم؟، ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾[5]، وقال جبرائيل عليه السلام: أنا جبرائيل، قال لوط عليه السلام: بماذا أمرتهم، قال: بهلاك القوم، فأنكرهم لوط عليه السلام بمعنى أنه شك

(1) سورة هود، الآية: 78.
(2) سورة هود، الآية: 79.
(3) سورة هود، الآية: 80.
(4) سورة القمر، الآية: 37.
(5) سورة هود، الآية: 81.

فيهم ولم يعرفهم، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٦٢ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٦٣ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٦٤﴾[1] والحق هنا بمعنى العذاب المستحق على هؤلاء القوم.

ثم وعدوه بإنزال العذاب عليهم في اليوم الثامن من ليلتهم تلك، وأمروه بالخروج ببناته من البلدة في أيام تلك المهلة، وقالوا له: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[2]، فاطمأن لوط عليه السلام إلى كلامهم، ثم سألهم التعجيل على القوم بنزول العذاب، فقال جبرائيل عليه السلام: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[3]، ثم أخذ كفاً من تراب الأرض وضرب به وجوه أهل المدينة، فأصاب عيونهم كلهم وأصبحوا عمياناً، ومع ذلك لم يزدادوا إلا كفراً وطغياناً وغضباً على لوط عليه السلام، واجتمعوا يأتمرون به في ما بينهم حتى ﴿قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[4].

ثم انصرف الرسل، وانصرف لوط عليه السلام إلى القوم يخبرهم عن الرسل وينذرهم بنزول العذاب عليهم بعد سبعة أيام، فلم يصدقوه وازدادوا في إيذائه والاستهزاء به، ولم يؤمنوا بالوعيد الذي نقله الرسل عن الله سبحانه ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(1) سورة الحجر، الآيات 61 - 64.
(2) سورة هود، الآية: 65.
(3) سورة هود، الآية: 81.
(4) سورة الأعراف، الآية: 82.

بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1]، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ﴾[2].

ثم لما انقضت الأيام الموعودة وصارت الليلة الثامنة من ليلة الوعيد، ظهرت آثار العذاب على القوم، وحينئذٍ صدقوا وعيد لوط عليه السلام وأيقنوا بالهلاك واضطربوا، وكان بينهم رجل ذو فطنة، فقال لهم: يا قوم قد جاءكم العذاب الذي كان يعدكم به لوط، فاحرسوه ولا تدعوه يخرج من بينكم، فإنه ما دام بينكم لا يأتيكم العذاب، فتهافت القوم نحو لوط عليه السلام واجتمعوا حول داره ليمنعوه عن الخروج، ولكن جبرائيل عليه السلام بأمر من الله تعالى جعله يخرج هو وبناته وطلب منه عدم الالتفات إلى الخلف، كذلك طلب منه ترك زوجته خلفه، فلما انتصف الليل سار لوط عليه السلام ببناته ولم يرهم أحد من القوم، ولم يعلم بهم إلا امرأته التي حاولت اللحاق بهم وهي تنادي على قومها أن لوطاً قد خرج مع بناته، فأرسل الله عليها صخرة وقعت على رأسها وقتلتها.

وفي رواية أخرى أنه خرجت خلف لوط عليه السلام وبناته وهي في الطريق التفتت إلى خلفها فشاهدت العذاب يحل على قومها، فتيبست في مكانها وتحولت إلى صخرة رملية تذروها الرياح. ثم لما طلع صباح يوم الثامن، صدر الأمر المقدس من الله جل جلاله إلى جبرائيل عليه السلام أن اقلب القرية على أهلها، فقلبها عليهم حتى صار أسفلها أعلاها

(1) سورة العنكبوت، الآية: 34.
(2) سورة القمر، الآية: 36.

وهلك القوم عن آخرهم، وولوا إلى طبقات جهنم مدبرين وذكر القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۚ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[1]. وكانت قريتهم في موضع طبرية في نواحي الشام، ووقعت بعد اقتلاعها وانقلابها في البحر الواقع بين بلاد الشام ومصر، وعلى الأغلب في البحر الميت حالياً والله أعلم[2].

وعاش لوط عليه السلام بعد هذه الأحداث مدة من الزمن في قرية من قرى الشام تعرف بـ (صوغر)[3] حتى وافته المنية وانتقل إلى ربه عز وجل.

أما عن مكان دفنه ومقامه الشريف فإن المصادر والمراجع تكاد تجمع على أنه عليه السلام مدفون في فلسطين في قرية (بني نعيم) والتي كانت تدعى سابقاً (كفربريكا) وكان ابن بطوطة أول من ذكر هذا الموقع من الرحالة المسلمين[4].

وقد نقل الخالدي في كتابه (أهل العلم) عن (سوائح الأنس)

---

(1) سورة هود، الآيتان 82 - 83.

(2) إن صياغة هذا السرد التاريخي المختصر جاء بتصرف منا نقلاً عن العديد من المصادر والمراجع، وعلى سبيل المثال: تاريخ ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص91 وما بعدها. وأيضاً: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص214 وما بعدها، وأيضاً: تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص129 وما بعدها. وأيضاً: قصص الأنبياء، مصدر مذكور، ص158 وما بعدها. وأيضاً: العديد من كتب التفسير للقرآن الكريم.

(3) طبقات الأنبياء والمرسلين، مصدر مذكور، ج2، ص31، وما بعدها.

(4) ابن بطوطة، مصدر مذكور، ص56 وما بعدها. وانظر أيضاً: الأنس الجليل، مصر مذكور، ص67، ج1.

لمؤلفه القيمي المتوفى عام 1143هـ قوله: سارعت إلى زيارة سيدنا لوط، وهو بقرية كفربريكا والتي تبعد عن الخليل نحو فرسخ، والآن مسماة بقرية بني نعيم[1]. بينما ذكرها ابن العمري باسم (كفر تريك)[2].

فالصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في العالمين إنه سميع مجيب.

(1) طبقات الأنبياء والمرسلين، مصدر مذكور، ج2، ص32.
(2) مسالك الأبصار، مصدر مذكور، ج1، ص27.

صورة لمسجد ومقام نبي الله لوط عليه السلام
من الخارج

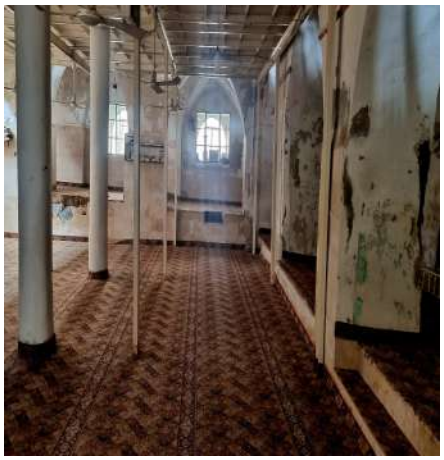

صورة لباحة مسجد نبي الله لوط عليه السلام
من الداخل

صورة جانبية من داخل المسجد
تظهر قبة الضريح

صورة أخرى تظهر فيها
قبة ضريح نبي الله لوط عليه السلام

صورة مدخل الضريح مع الجدارية التي نقش فيها إسم (الملك الظاهر) الذي قام بتجديد العمارة و ذلك أثناء فترة حكمه على رأس الدولة المملوكية عام (658 وحتى 676هـ)

صورة للضريح الشريف المغطى بالكسوة لنبي الله لوط عليه السلام

النبي إسحاق عليه السلام وزوجته رفقا

هو النبي إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ووالدته هي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام أو ابنة خالته كما مرّ معنا سابقاً، وهو عليه السلام بشارة الله إلى سارة عليها السلام وإبراهيم عليه السلام بعد ولادة إسماعيل عليه السلام من زوجته هاجر القبطية عليها السلام.

وهو عليه السلام والد النبي يعقوب عليه السلام، وجد النبي يوسف عليه السلام.

وكانت زوجته رفقا بنت بتويل بن إلياس بن قبيصة، الذي كان من أشراف طيء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية، وكان والياً على الحيرة حتى مماته عام 4 قبل الهجرة، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق عليه السلام [1]. ويقال إن عيص ويعقوب كانا توأمين وأن عيصا كان أكبرهما.

ولم يسعفنا التراث الإسلامي بتفاصيل حياة هذا النبي عليه السلام بشكل واضح، بل أن القرآن الكريم قد ذكره في 16 موضعاً وأثنى الله عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا

(1) تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص230، وانظر: ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص95.

صَٰلِحِينَ﴾[1]، أما ذكره في المصادر التاريخية الإسلامية فهي تكاد تكون معدومة، إلا من أنه رزق بولديه عيص ويعقوب وهو لديه من العمر 60 عاماً، وأنه كان كفيفاً (أي أعمى)، بالإضافة إلى بعض الروايات الإسرائيلية التي لا يعول عليها وعلى صحتها.

وحتى في التوراة (العهد القديم)، فإن ذكر إسحاق عليه السلام جاء في سفر التكوين بعد ذكر أخبار وأحوال إبراهيم عليه السلام [2] حيث قالوا إن الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل عليه السلام، بالإضافة إلى أن حادثة نقل النبوة إلى يعقوب عليه السلام، جاءت بشكل لا يليق بمكانة وقدسية النبوة والأنبياء، إذ لم نقل غير ذلك!!

وعلى كل حال فإن الذي يعنينا هنا هو أن هذا النبي الصالح عليه السلام قد ذكره المولى وأثنى عليه، وهذا الأمر بحد ذاته وسام إلهي بحقه عليه السلام.

بالإضافة إلى أنه عليه السلام ابن خليل الله إبراهيم عليه السلام، ووالد يعقوب النبي عليه السلام. وتوفي عليه السلام بالشام وعمره 160 سنة ودفن عند أبيه إبراهيم عليه السلام [3] في منطقة الخليل حالياً. فالصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى قيام يوم الدين.

أما زوجته رفقا عليها السلام فهي مدفونة إلى جوار إسحاق عليه السلام في الحرم الإبراهيمي في منطقة الخليل في فلسطين.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 72.

(2) الكتاب المقدس بعهديه، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، 1970، الإصحاح، 27، وما بعده.

(3) تاريخ ابن الأثير، مصدر مذكور، 97.

صورة جانبية للحرم الإبراهيمي
الشريف حيث مكان الأضرحة الشريفة

صورة جانبية أيضاً لمدخل
الحرم الإبراهيمي الشريف الجانبي

صورة باب المدخل الجانبي للحرم الإبراهيمي الشريف

صورة الرواق المؤدي إلى ضريحي
النبي إسحاق وزوجته رفقا عليهما السلام

من داخل المسجد الإبراهيمي الشريف
وتبدو قبة ضريح النبي إسحاق عليه السلام

صورة أوسع من داخل حرم المسجد الإبراهيمي
وتبدو قبة ضريح النبي إسحاق على يسار الصورة وقبة ضريح السيدة رفقا على يمين الصورة

صورة لمقام نبي الله إسحاق عليه السلام

صورة لشباك ضريح اللنبي إسحاق عليه السلام

صورة لمقام السيدة
رفقا زوجة إسحاق عليه السلام

صورة لضريح السيدة
رفقا زوجة إسحاق عليه السلام من الداخل

النبي يعقوب عليه السلام وأزواجه وأولاده والنبي يوسف عليه السلام

إن تاريخ حياة النبي يعقوب عليه السلام متداخلة ومتشابكة مع تاريخ زوجاته عليهن السلام وابنه النبي يوسف عليه السلام ، لذلك سأقوم باستعراض حياتهم في إطار توليفة سردية واحدة ومختصرة، على اعتبار أن قصة النبي يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام من أشهر القصص القرآني، ومع هذا فإنني سوف أعمد على التركيز على المسائل أو الأمور غير المشهورة لدى شريحة واسعة من الجمهور، مع التعريف بكل شخصية في مكانها، وذكر الأماكن والمقامات الخاصة بهم، كل ذلك اقتباساً عن العديد من المصادر والمراجع التي سوف نذكرها في الهامش. كما أن صوراً لمقام كل شخصية من هؤلاء الكرام، سنوردها بشكل مستقل عن غيرها، حتى لا يحصل تشويش أو إرباك عند القارئ العزيز.

من هو النبي يعقوب عليه السلام ؟

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ، وهو والد اثني عشر رجلاً أبرزهم النبي يوسف عليه السلام وأخيه بنيامين عليه السلام .

ولقبه المعروف هو (إسرائيل)، ومعناه في السريانية (عبدالله)،

بخلاف ما جاء في التوراة في سفر التكوين بأن معناه (مصارع الرب)، أو كما جاء النص: لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت[1]!، وعلى كل حال فأمرهم بهذا الافتراء إلى الله سبحانه.

وبالعودة إلى السياق السردي، فإنه لما توفي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقام بعده ابنه إسحاق عليه السلام بأمور النبوة تزوج بعدة نساء ورزق منهن بالأولاد، وكان أحبهم إليه وأعزهم لديه ابنه يعقوب عليه السلام، وكان له ابن آخر يقال إنه توأم مع يعقوب عليه السلام يدعى (عيص)، وهو الأكبر بينهما، وكان شقياً يحسد أخاه يعقوب، فلم يأل جهداً في معاداته وإيذائه إلى أن حلف بالله على أن يقتله.

ولما انتهت أيام أبيهما إسحاق عليه السلام، أوصى إلى يعقوب عليه السلام، ثم أمره بالخروج إلى الشام حذراً من أخيه عيص، فخرج يعقوب بعد وفاة أبيه إلى الشام، ونزل عند خال له هناك يقال له (ليا بن فاهر)[2]. وفي رواية أخرى أن اسمه (ليان بن بتويل بن الياس)[3].

وكان لليا بنتان تدعى كبراهما (لاياء أو ليا أو لائقة) والصغرى (راحيل)، فخطب يعقوب بعد مدة إلى خاله بنته راحيل، فسأله خاله عن الصداق قائلاً: هل لك ما تدفعه مهراً؟ قال يعقوب عليه السلام: لا،

(1) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح 32، الفقرة 24، وما بعدها.
(2) إن الأحداث هذه جاءت بشكل مغاير في سفر التكوين، حيث جاء فيها أن يعقوب خدع والده إسحاق لينال بركة النبوة بدلاً من أخيه عيص الذي توعده بسبب هذا الاحتيال والعياذ بالله. أنظر: سفر التكوين، الإصحاح 27.
(3) تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص231.

لكن أعمل لك، فأجابه إلى ذلك، واتفقا على أن يكون الصداق استخدامه سبع سنين، يزوجه بعدها راحيل، فاشتغل يعقوب عليه السلام يرعى أغنام خاله وسائر خدماته. ولما انتهت المدة أبى خاله أن يزوجه إلا الكبرى وقال: إنا لا نزوج الصغرى قبل الكبرى، إلى أن أرغمه على تزويج الكبرى (لائقة) وهو يقول لخاله: إنك خدعتني، وإنما أردت راحيل، فأجابه خاله بالقول: هلم فاعمل سبع سنين أخرى، فأزوجك الصغرى (راحيل) مع أختها الكبرى، ولم يكن الجمع بين الأختين ممنوعاً في شريعتهم آنذاك، وقد أشار المولى عز وجل إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]، فوافق يعقوب عليه السلام على ذلك، واشتغل أيضاً لمدة سبع سنين أخرى، ثم تزوج بالصغرى (راحيل) بعد نهاية المدة المحددة.

وكان ليا بن فاهر أو(ليان بن بتويل) خال النبي يعقوب عليه السلام قد وهب كلاً من بنتيه في عرسهما جارية، فوهبت البنتان جاريتيهما لزوجهما يعقوب عليه السلام، وولدت له لايا أو لائقة زوجته الكبرى ستة بنين هم: روبيل، شمعون، يهودا، لاوي، يسجر، وزبالون، وبنتاً واحدة تدعى (دينة).

ورزق من الجاريتين (زلفة) و(بلهة) أربعة ذكور هم: دان، ونفتالي، وجاد، وأشير.

(1) سورة النساء، الآية: 23. وانظر: ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص96.

ولما ترعرع الأولاد صاروا شباناً وكان قد بلغ عمر أبيهم عليه السلام 61 سنة، حملت راحيل عليها السلام بعد طول المدة وولدت يوسف عليه السلام ، ولما انقضى من عمر يوسف عليه السلام مدة حملت أمه ثانية، وولدت صبياً آخر هو بنيامين، وماتت في نفاسها رحمة الله عليها، وبقي ابناها (يوسف عليه السلام وبنيامين) في عهدة خالتهما لائقة أو لايا.

وعليه يكون أولاد يعقوب عليه السلام من الذكور 12، وبنتاً واحدة هي (دينة).

ثم عزم يعقوب عليه السلام على العودة بجميع أهله وولده إلى موطن آبائه وأجداده، فلسطين.

ومن هنا تبدأ تفاصيل حياة نبي الله يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام والأحداث التي جرت بينه عليه السلام وبين إخوته وغيرها من التفاصيل، وبما أن قصة حياة النبي يوسف عليه السلام مشهورة جداً بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الرسالات السماوية، فإنني سأعمد إلى تلخيص هذه الأحداث، والإشارة فقط إلى بعض المسائل الأساسية والضرورية فيها.

وخاصة أنها قصة قرآنية مليئة بالعبر والمواعظ للبشرية على امتداد الزمان. وللملاطفة فقط: يروى أن شيخاً تمت دعوته إلى إفطار رمضاني، ولما تجمعوا حول المائدة قبيل رفع آذان المغرب وبالتالي الوقت الشرعي للإفطار، سأل أحد المدعوين هذا الشيخ قائلاً: مولانا أخبرنا قصة حياة يوسف عليه السلام ، فنظر إليه الشيخ نظرة غريبة يعتصرها

الألم لشدة جوعه، وخاصة أن الأذان بدأ يرفع، وأجابه قائلاً: هو شاب أضاعه أهله ثم وجدوه، هيّا كلوا باسم الله.

ونعود الآن إلى قصة حياة النبي يوسف عليه السلام وباختصار شديد.

فلما بلغ يوسف عليه السلام التاسعة أو الثانية عشرة من عمره، كان قد تمّ له جمال خارق وحسن لا يوصف، لا تراه امرأة أو رجل إلا أحبه، وتعلق به قلب أبيه يعقوب عليه السلام وأحبه حباً جماً، ولا سيما أنه أصبح يتيماً بعد أن ماتت أمه راحيل عليها السلام، فجعل يعقوب يدنيه إليه ويظهر الشغف به أضعافاً أكثر من حبه لسائر إخوته، حتى غلب الحسد عليهم، فاجتمعوا يتشاورون في ذلك واتفقت كلمتهم على قتله، إلا أن (لاوي) شقيقه رفض قتله واقترح رميه في البئر ليستنقذه أحد ما لاحقاً، فوافقوا على اقتراح (لاوي) ورموه في بئر في الصحراء. وعاد هؤلاء الأخوة إلى والدهم يبكون ويدعون أن ذئباً قتل يوسف، ولما سمع يعقوب عليه السلام مقالتهم خنقته العبرة وأخذ يبكي ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يصدق كلامهم وازداد في البكاء والنحيب على يوسف عليه السلام.

ومكث يوسف في البئر ثلاثة أيام، ولما كان اليوم الرابع مرت قافلة بمنطقة محاذية لمكان البئر، وأرسلوا أحداً منهم ليستخرج لهم الماء، ويقال إن اسمه كان (مالك بن ذعر)، فلما وصل البئر وأدلى دلوه فيها، تمسك يوسف عليه السلام بهذا الدلو، فنادى مالك على أصحابه الذين ساعدوه على انتشال يوسف منه.

ولما أخرجوه وجدوا غلاماً من أحسن الناس خلقة وأصبحهم

وجهاً كأنه البدر ليلة تمامه، فاتفقوا على بيعه كعبد في سوق النخاسة في مصر، وهذا ما حصل لاحقاً وباعوه بثمن زهيد للغاية. وأقام يوسف عليه السلام مع من اشتراه مدة من الزمن، ومن بعدها رآه أحد كبار مساعدي الفرعون والمعروف باسم (عزيز مصر)، فاشتراه من مالكه بثمن باهظ لتعلق قلبه به من اللحظة الأولى التي رآه فيها، وخاصة أن هذا العزيز كان عقيماً بدون أولاد، وكان قد بلغ يوسف عليه السلام 17 سنة من عمره.

وكانت زوجة العزيز (زليخا) بانتظار عودة زوجها في القصر الخاص به، وإذا به يرجع برفقة شاب من أجمل الناس، فأحبته للوهلة الأولى، وطلب العزيز من زوجته زليخا أن تحسن إليه وتكرمه على أمل أن يتبناه لاحقاً.

واتخذ يوسف عليه السلام ناحية من بستان القصر مأوى لنفسه يعبد الله تعالى فيه بالصلاة والدعاء إلى أن بلغ مبلغ الرجال، كل ذلك كان يجري تحت نظر ومراقبة زليخا، التي افتتنت فيه لجماله غير المسبوق، ولأخلاقه العالية وتصرفاته السامية وذكاءه الحاد، الأمر الذي زاد في هيامها به ورغبتها فيه، فراودته عن نفسه وأخذت تغريه وتتودد إليه بمعسول الكلام، إلا أن يوسف عليه السلام رفض ذلك بشدة وفرّ منها هارباً، وفي أثناء فراره منها ظهر زوجها العزيز على الباب، وعلم من البراهين والشواهد كذب وافتراء زليخا على يوسف عليه السلام، وطلب منه أن يكتم أمر هذه الواقعة حتى لا يفتضح أمام الناس.

إلا أن الأخبار تمّ تناقلها سريعاً بواسطة الخدم حتى انتشرت بين

الناس، وهذا ما زاد غيظ زليخا على يوسف عليه السلام بالإضافة إلى احتراق فؤادها رغبة به، فطلبت من زوجها حبس يوسف عليه السلام في محاولة لإسكات التهامسات عليها وعلى زوجها، وبالفعل وافق زوجها على هذا الأمر وأودع يوسف عليه السلام في السجن.

وفي السجن تعرف يوسف عليه السلام على سجينين متهمين بمحاولة تسميم الفرعون وأخبراه بقصتهما، وتقربا منه، وأحب يوسف عليه السلام جميع من في السجن، لأنه كان متخلقاً معهم بالأخلاق الكريمة وملتزماً بالأعمال الحسنة، حيث كان يحسن إليهم بكل ما أمكنه، كما أنه عليه السلام كان يعظهم ويدعوهم إلى عبادة الله ويخبرهم ببعض الغيبيات.

ثم لما انقضى على سجنه 5 سنين، تقدم إليه كل من المتهمين بمحاولة تسميم الفرعون، وأخبراه بأنهما شاهدا بعالم الرؤيا أمراً وطلباً منه عليه السلام أن يفسر ذلك لهما.

وبالفعل قام يوسف عليه السلام بتفسير ذلك، وقال لأحدهما أنك ستعود للعمل عند سيدك، وللآخر أنك ستقتل بعد ثلاثة أيام، وتحقق ذلك كما قاله يوسف عليه السلام، وقبل إطلاق سراح السجين الذي أخبره يوسف عليه السلام بعودته للعمل عند الفرعون، طلب يوسف عليه السلام منه نقل مظلوميته إلى الفرعون، وأن يسعى لديه في خلاصه من السجن، إلا أن السجين بعد خروجه من السجن انشغل بمهامه الجديدة ونسي أمر يوسف عليه السلام الذي بقي في السجن لمدة 7 سنوات إضافية.

ولما انقضت له في السجن اثنتا عشرة سنة، حدث أن أفاق

الفرعون ذات صباح على رؤيا مهولة حلم بها في ليلته واضطرب لها قلبه، فأحضر من في مملكته من العلماء والحكماء والكهنة والمنجمين وغيرهم، وقصّ عليهم رؤياه وطلب منهم تفسيرها، فعجزوا عن ذلك وقالوا للفرعون إنها أضغاث أحلام ولا يستطيعون تفسيرها، وبالأثناء تذكر السجين السابق وهو كان الساقي الخاص للفرعون، أمر يوسف عليه السلام وعلمه بتفسير الرؤى، فأرسل الفرعون الساقي إلى السجن ليسأل يوسف عليه السلام عن هذه الرؤيا، والتي فسّرها له يوسف عليه السلام وعاد بهذا التفسير مسروراً إلى الفرعون، الذي طلب إحضار يوسف إليه، إلا أن يوسف عليه السلام رفض مقابلة الفرعون قبل التحقيق مجدداً في قضيته، وقام الفرعون بذلك وتبينت براءة يوسف عليه السلام، وطلب الفرعون إحضاره لعنده معززاً مكرماً.

ولما دخل يوسف عليه السلام إلى مجلس الفرعون، قام إليه الأخير واستقبله بالبشرى وأكرمه غاية الإكرام، وطلب من يوسف عليه السلام مشورته في أمر هذه الرؤيا، فأجابه يوسف عليه السلام إلى ذلك وأخبره عن الحل وطلب من الفرعون أن يجعله المسؤول عن هذا الأمر، فوافق الفرعون على طلب يوسف عليه السلام وجعله حاكماً على الخزائن ومشرفاً عاماً على تنفيذ الخطة لمواجهة القحط والجوع.

وأقام يوسف عليه السلام في قصر الملك سنة دعاه خلالها إلى الإيمان بالله والتوحيد له، فآمن الفرعون بدعوة يوسف عليه السلام هو وحاشيته وكثير من الناس.

انشغل يوسف عليه السلام في هذه المدة وبالسنوات اللاحقة في عملية

زراعة الأرض وتخزين المحاصيل قبل وقوع القحط والمجاعة، وفي ذات الوقت كانت هذه الفترة مناسبة له عليه السلام لدعوة الناس إلى الإيمان بالله عز وجل .

وفي العام الذي أخبرهم عنه يوسف عليه السلام ببداية القحط فيه، بدأت الناس تأتي من كل حدب وصوب إلى مصر حتى تشتري القمح المخزن بإشراف يوسف عليه السلام ، ومن ضمن هذه الوفود كان إخوة يوسف عليه السلام الذي عرفهم للوهلة الأولى، في حين أنهم لم يعرفوه لاعتقادهم بأنه ميت. فسألهم عن بلادهم وأحوالهم، فأجابوه ثم أمر بإعطائهم القمح وطلب من مساعديه إرجاع أموالهم لهم سراً داخل أكياس القمح، وطلب منهم إحضار أخوهم بنيامين في المرة القادمة وإلا لن يعطيهم القمح مجدداً، فعادوا إلى والدهم وأخبروه بما جرى معهم، وعندما فتحوا أكياس القمح وجدوا أموالهم ردت إليهم، ففرحوا بذلك كثيراً وطلبوا من والدهم يعقوب عليه السلام إرسال بنيامين عليه السلام معهم في المرة القادمة، رفض يعقوب عليه السلام طلبهم هذا وخاصة أن بنيامين هو أخو يوسف عليه السلام من (راحيل) عليها السلام ، وكان يعقوب عليه السلام يأنس به كثيراً بعد حادثة يوسف مع إخوته، فألحوا عليه بالطلب ليلاً ونهاراً، فرضخ لهم بعد أن أقسمهم بالله على رعايته وإرجاعه إليه، فأقسموا له على ذلك.

وعندما عادوا إلى مصر محضرين معهم بنيامين عليه السلام استضافهم يوسف عليه السلام واختلى بأخيه بنيامين وكشف له عن هويته له بأنه هو يوسف عليه السلام ، ثم أعطى إخوته القمح الذي جاؤوا لأجله، ورفض

إعادة بنيامين معهم لأمر دبره، كل ذلك كان يجري وهم لا يعلمون أن هذا الحاكم هو يوسف عليه السلام شقيقهم الذي تآمروا عليه ورموه في البئر.

فلما استيأسوا من إمكانية إرجاع بنيامين عليه السلام، حاروا في أمرهم، فهم من جهة لا يمكنهم تخليصه من الحاكم (يوسف عليه السلام)، كما أنهم لا يستطيعون العودة إلى أبيهم يعقوب عليه السلام بعد تلك العهود والمواثيق التي أعطوها له، ومن جهة أخرى لا يستطيعون البقاء في مصر لشدة انتظار أبيهم لرجوعهم، فرفض شمعون الأخ الأكبر بينهم الرجوع إلى والده، وطلب من الباقين العودة لإخباره بما حدث، والطلب من المسافرين معهم في القافلة الشهادة بما رأوا وشاهدوا من أمر بنيامين مع الحاكم عند أبيهم يعقوب عليه السلام، عسى بذلك أن يصدقهم ويعفو عنهم.

فلما بلغ باقي الإخوة أرض كنعان (فلسطين) أخبروا أباهم يعقوب عليه السلام بما جرى على بنيامين عليه السلام، فظن يعقوب عليه السلام بهم السوء، ثم أخذ في البكاء بشدة، وقال: يا بني كلما خرجتم من عندي نقص بعضكم فلا أشكو همي إلا إلى الله سبحانه، عسى أن يرجعهم الله لي جميعاً (يوسف وبنيامين وشمعون)، ثم هاج به الحزن والغيظ على أولاده التسعة، فأعرض عنهم واختلى بنفسه عليه السلام، ولشدة بكائه على يوسف عليه السلام سابقاً وعلى بنيامين وشمعون لاحقاً، ابيضت عيناه من الحزن الشديد فأصبح كفيفاً لا يبصر بعينيه.

وبعد مدة من الزمن طلب يعقوب عليه السلام من أولاده الذين رجعوا

إليه أن يعودوا إلى مصر والبحث عن يوسف عليه السلام وبنيامين عليه السلام ، ثم دفع لهم كتاباً ليسلموه إلى حاكم مصر يناشده فيه الإفراج عن بنيامين عليه السلام ، كما زودهم بهدايا متواضعة لتسليمها أيضاً لهذا الحاكم.

وأعطاهم بعض المال ليشتروا به القمح. فساروا حتى انتهوا إلى مصر واجتمعوا مع أخيهم الكبير شمعون، وأخبروه بقصة أبيهم وكتابه وهديته للملك، فانصرفوا بأجمعهم إلى قصر يوسف عليه السلام ، فلما دخلوا عليه أخذوا يتوسلون إليه طالبين قبول هديتهم، ثم التصدق عليهم برد أخيهم بنيامين عليه السلام ، فاغرورقت عينا يوسف عليه السلام لتضرعهم وإلحاحهم، ثم ناولوه الرسالة من أبيهم، فلما فتحها يوسف عليه السلام ارتعدت فرائصه واقشعر جلده، وعيل صبره وسالت دموعه واشتد بكاؤه، ولم يتمالك أن عمد إلى تعريفهم بنفسه، فبهتوا حيرة وعجباً، وخجلاً من أنفسهم وماضيهم معه، وأخذوا بالاعتذار منه عما فعلوه به قديماً، وطلبوا منه أن يغفر لهم ولا يعاقبهم، فأمّنهم يوسف عليه السلام حتى عن اللوم والعتاب، فضلاً عن الفضيحة والعقاب، وقال لهم: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فزاد لهم بعد الصفح عنهم الدعاء بالمغفرة لهم. ثم جعل يستوضح عن حال أبيه بعده، فشرحوا له حاله، وأخبروه بذهاب بصره وتقوّس ظهره وانحطاط قواه، وما أصابه من الكبر والضعف وشدة الحزن وكثرة البكاء، فازداد يوسف عليه السلام كرباً وهاجت به الأحزان والأشواق أكثر إلى لقياه.

ثم أذن يوسف عليه السلام لإخوته بالانصراف إلى كنعان، وأعطاهم قميصاً له، وطلب منهم أن يجعلوه على وجه أبيهم حتى يعود بصيراً كما كان في السابق، وأعطاهم من المؤن أكثر مما يحتاجون إليه، وطلب منهم أن يرجعوا إلى مصر جميعاً برفقة أبيهم، وأرسل معهم رواحل كثيرة لحمل جميع أهاليهم إلى مصر.

ثم إن يهودا تناول القميص من يوسف عليه السلام ليسبق إخوته في الوصول إلى أبيه وإيصاله إليه، وقال: أنا الذي أحزنت أبي بحمل القميص الملطخ بالدم إليه، فأفرحه كما أحزنته.

وخرج من مصر حافياً حاسراً نحو كنعان يجد في السير ليله ونهاره حتى انتهى إلى أبيه، وأخرج القميص وألقاه على وجه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً في الحال بعد طول فترة العمي، وزالت عنه أحزانه وانفرجت عنه همومه، وعادت إليه قواه ونشاطه.

ثم قدم بقية الأخوة وهم فرحون مستبشرون، وأخبروا والدهم بكل ما جرى معهم وأن يوسف عليه السلام مع بنيامين عليه السلام بانتظارنا جميعاً في مصر، فحمد الله تعالى وسجد له شاكراً.

ثم إن يعقوب عليه السلام أمر أولاده بالتجهز في يومهم للخروج من فلسطين والتوجه إلى مصر بكل سرعة، فخرجوا يجدون السير حتى قربوا من مصر وكانوا يبلغون 72 نفراً، فبلغ الخبر يوسف عليه السلام فتجهز بجنده وعساكره، وتقدم مسافة طويلة خارج المدينة لاستقبالهم، وخرج معه عدا الجند عظماء البلد ووجوه أهل مصر.

والتقى الحبيبان يعقوب ويوسف عليهما السلام وتعانقا، وارتفعت الزفرات

وأصوات البكاء، وقد ابتدأ يعقوب عليه السلام بالسلام على يوسف عليه السلام فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان، فرد يوسف عليه السلام سلامه وهو يزفر ويبكي مثله شوقاً وسروراً.

ولما دخل يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب عليه السلام وخالته لائقة مربيته بعد أمه راحيل عليها السلام مصر أنزلهما في قصره وأكرمهما غاية الإكرام.

وبعد استراحتهما بمدة أدخلا عليه مع إخوته وهو جالس على كرسي العرش، ولما رأوه على تلك الهيئة المهيبة سجدوا له إكراماً وتواضعاً، كان السجود عندهم تجاه وجه شخص معين دليلاً على احترامهم له لا عبودية له، كما سجدت الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام، ولما رأى يوسف ذلك منهم هاله المنظر واقشعر جلده، وقال لأبيه: هذا تفسير رؤياي التي أوفى بها الله، ثم تواضع لله عز وجل ورفع أبويه عن الأرض وأجلسهما بجانبه.

ثم لاحقاً ومع مرور الأيام تزوج يوسف عليه السلام بزليخا وأحبها حباً شديداً، ويقال إنه كان يعدو خلفها حباً وشوقاً، والتي وبعد إيمانها بالله وبدعوة يوسف عليه السلام، صارت تختلي بنفسها لتتعبد إلى الله سبحانه.

ولما بلغ يعقوب عليه السلام العام 147 من عمره الشريف، جمع أبناؤه وألقى عليهم تعاليمه ووصاياه، وطلب من يوسف عليه السلام أن ينقله بعد الوفاة إلى مدفن جده إبراهيم عليه السلام وأبيه إسحاق عليه السلام في فلسطين. وتنقل كتب التاريخ أن أخاه التوأم (عيص) توفى أيضاً يوم وفاته، ودفنا معاً في مدفن واحد.

أقام يوسف عليه السلام بعد أبيه في مصر مدة 23 عاماً بحسب معظم

الروايات، وقد رزق بأولاد وبنات، أبرزهم كان التوأمان (إفرايم) و(ميشا) وأختهما (رحمة) التي صارت فيما بعد زوجة النبي أيوب عليه السلام.

ولما بلغ يوسف عليه السلام من دنياه غاية ما يريده إنسان، سأل ربه الوفاة مسلماً واللحوق بالصالحين من آبائه وأجداده عليهم السلام، وما تمنى الموت نبي غيره قبله ولا بعده. ثم أوصى إخوته وأولاده بوصاياه، ومنها دفنه إلى جوار أبيه يعقوب عليه السلام وأجداده إسحاق وإبراهيم عليهم السلام.

وبعد وفاته عليه السلام منع أهل مصر نقل جثمانه الطاهر من عندهم، وتنازعوا في ذلك واختلفوا في ما بينهم، إلى أن اتفقوا على أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ومنه يصل إلى جميع مصر، فيكون كلهم في بركاته.

وتم دفن جثمانه الشريف في النيل حيث جعلوا له ضندوقاً من مرمر ووضعوا هذا التابوت الحجري في تابوت حديدي وثبتوه في أرض نهر النيل، وبعد 400 سنة أمر الله سبحانه موسى عليه السلام أن يستخرج جثمان يوسف عليه السلام، وينقله إلى أرض كنعان، فتعرف موسى على مكان جثمان يوسف عليه السلام واستخرجه، ثم نقله فدفنه قرب آبائه في فلسطين.

وبناءً على ما تقدم يكون النبي يوسف عليه السلام هو أول نبي مبعوث لبني يعقوب عليه السلام أي لبني إسرائيل عليه السلام [1].

(1) إن هذه التوليفة السريعة الخاصة بنا لا تغني عن كتاب الله شيئاً، كما أن هنالك العديد من التفاصيل والأحداث أشار إليها المفسرون في تفاسيرهم التي لا غنى عن =

وبناء على كل تقدم يظهر معنا أماكن دفن هؤلاء السادة من الأنبياء والأولياء على الشكل الآتي[1]:

1 - يعقوب عليه السلام في الحرم الإبراهيمي إلى جوار والده إسحاق عليه السلام وجده إبراهيم عليه السلام كما هو واضح في الصور المرفقة.

2 - أما لائقة زوجة يعقوب عليه السلام ومربية يوسف عليه السلام وخالته فهي مدفونة إلى جوار يعقوب عليه السلام في الحرم الإبراهيم كما هو واضح في الصور المرفقة.

3 - وراحيل عليها السلام زوجة يعقوب عليه السلام ووالدة يوسف وبنيامين عليهما السلام فمقامها موجود على الطريق الواصل بين القدس والخليل، بالقرب من المدخل الشمالي لمدينة بيت لحم في فلسطين، وكان هذا المقام الشريف يعرف باسم مسجد بلال بن رباح الصحابي المعروف رضي الله عنه بعد الفتح الإسلامي بالإضافة إلى مقام راحيل عليها السلام، ويعرف حالياً باسم قبة راحيل عليها السلام. أنظر الصورة الخاصة بها عليها السلام.

4 - أما مقام النبي يوسف عليه السلام فإن الآراء حوله ثلاثة وهي:

= مراجعتها للاستزادة في معرفة دقائق حياة النبي يعقوب والنبي يوسف عليهما السلام، وللتوسع حول هذا الأمر أنظر: تاريخ ابن الأثير، ج1، ص96 وما بعدها. وتاريخ الطبري، ج1، ص231 وما بعدها. تواريخ الأنبياء، ص148 وما بعدها. قصص الأنبياء، ص260 وما بعدها. ومعظم كتب التفاسير للقرآن الكريم، وغيرها من المصادر والمراجع.

(1) بحسب المصادر والمراجع التاريخية.

أ - ما ذكره ابن بطوطة الرحالة المشهور من أنه دخل إلى الغار في الحرم الإبراهيمي حيث ذكر وجود مقام سارة عليها السلام إلى جانب إبراهيم الخليل عليه السلام وأيضاً مقام يوسف عليه السلام [1].

ب - ما ذكره الهروي وياقوت الحموي من بعده، أن مقام النبي يوسف عليه السلام موجود في نابلس على أرض مرتفعة في قرية (بلاطة)[2].

ج - ما تقوله بطريركية الروم الأرثوذكس إلى أن مقام يوسف عليه السلام موجود في مصر وتنفي نقل عظامه إلى فلسطين. وهذا الرأي شاذ لأن الإجماع اليهودي والمسيحي من باقي المذاهب، والإجماع الإسلامي، أنه تم نقل رفاته الشريفة مع موسى عليه السلام إلى فلسطين[3].

وعليه، فإن ما ذكره أصحاب الرأي الثاني هو الأكثر شهرة والله أعلم بحقائق الأمور.

4 - أما شقيق النبي يوسف عليه السلام بنيامين عليه السلام فقد ذكر له عدة مقامات، أشهرها الموجود في الجليل الأعلى (جنوب لبنان حالياً)، في قرية محيبيب، وهذا المقام عامر ومشهور ومعروف، كما أن له مقام آخر يحظى بشيء من الشهرة والموجود في قلقيلية في فلسطين،

(1) رحلة ابن بطوطة، مصدر مذكور، ص33.
(2) معجم البلدان، مصدر مذكور، ج1، ص377. وانظر أيضاً: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص43.
(3) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص45، وانظر: مقام النبي يوسف عليه السلام على موقع ويكيبيديا.

بالإضافة إلى مقام آخر له في قرية ظهر حمار القريبة من نابلس[1] والأشهر كما قلنا الموجود في لبنان حالياً[2].

5 - **بنات يعقوب عليه السلام**

يوجد هناك العديد من الأماكن التي تنسب إلى بنات يعقوب عليه السلام في فلسطين وخارجها، إلا أن الصحيح والله أعلم أن أحداً من أولاد يعقوب عليه السلام لا سيما البنات لم يدفنوا في فلسطين، لأنه وبحسب كتب التاريخ فإن يعقوب عليه السلام نزل إلى مصر بجميع أهل بيته عام 1656 قبل الميلاد وبقوا هناك طوال عهد يوسف عليه السلام ومن بعده أحفاده وأحفادهم لمدة تزيد عن 400 سنة، ولم يخرجوا من مصر إلا مع موسى عليه السلام عندما حررهم من طغيان الفرعون وتوجه بهم إلى فلسطين، وعلى هذا فإن معظم هذه الأماكن التي تحظى باحترام وتقدير من أبناء الجوار والمحيط لها، يحتمل أنها كانت أماكن زارها أبناء يعقوب عليه السلام وبناته قبل ترحالهن إلى مصر والله أعلم[3].

(1) معجم البلدان، مصدر مذكور، ج5، ص282.
(2) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص53.
(3) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص38 - 41.

صورة فنية قديمة للحرم الإبراهيمي الشريف من الخارج

صورة لشباك الضريح الشريف

صورة اقرب للضريح الشريف

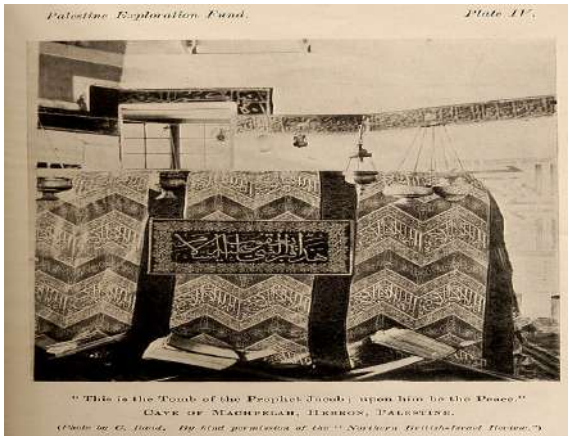

صورة للضريح الشريف من
الأرشيف الانجليزي

صورة فنية قديمة لمقام النبي يوسف عليه السلام
من الخارج

أيضاً صورة قديمة

صورة قديمة للضريح الشريف

صورة من الأرشيف العثماني

صورة لمدخل مقام النبي يوسف عليه السلام
في نابلس قرية بلاطة

صورة للضريح في نابلس قرية بلاطة تظهر
اللحظات الأولى لإستيلاء المستوطنين عليه

صورة تظهر الجنود الصهاينة
في المقام الشريف

أيضاً صورة لبعض الصهاينة واليهود في
المقام الشريف بعد كسوته على الطريقة اليهودية

أيضاً صورة أخرى لبعض اليهود
في المقام الشريف

صورة لقوات الاحتلال في المقام الشريف

صورة لجندي إسرائيلي يزور ضريح النبي يوسف عليه السلام

صورة من القناة العبرية

صورة لبعض الزوار على باب
مدخل الضريح الشريف في الخليل

صورة للضريح الشريف
لنبي الله يوسف عليه السلام في الخليل

صورة اقرب للضريح الشريف في الخليل

صورة اقرب للضريح الشريف في الخليل

صورة لمسجد بنات يعقوب عليه السلام

صورة أخرى للمسجد

صورة لما يقال انه مقام لبنات يعقوب عليه السلام

صورة لمقام بنيامين في قرية
محيبيب من الخارج في الجنوب اللبناني

صورة لمدخل مقام بنيامين في قرية
محيبيب في الجنوب اللبناني

صورة على مدخل المقام

صورة للضريح الشريف من الداخل

صورة للضريح الشريف لبنيامين عليه السلام

صورة للحرم الإبراهيمي من الخارج

صورة لمدخل الضريح الشريف

صورة لقبة الضريح الشريف من الداخل

صورة لضريح السيدة لائقة عليها السلام
في الحرم الإبراهيمي الشريف

صورة اقرب لضريح السيدة لائقة عليها السلام

صورة أخرى للضريح الشريف

صورة فنية قديمة لمقام السيدة راحيل عليها السلام/صورة فنية من الأرشيف الانجليزي للمقام الشريف

صورة فنية أخرى للمقام الشريف

أيضاً صورة قديمة للمقام الشريف

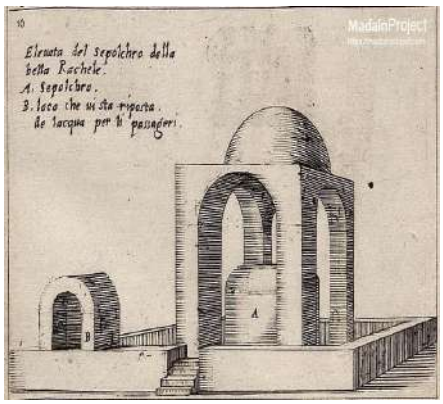

صورة هندسية لمخطط توسيع المقام
من الأرشيف الانجليزي

صورة قديمة للمقام بعد التوسعة

صورة حديثة للمقام من الخارج

صورة لمدخل المقام الشريف

صورة لمدخل الباب الجانبي للمقام الشريف

صورة للرواق المؤدي للضريح الشريف

صورة لزوار الضريح الشريف من اليهود

صورة أخرى لزوار الضريح الشريف من اليهود

النبي أيوب عليه السلام

هو أيوب بن أموص بن رازخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. وبهذا النسب يكون جدّه الأعلى عيص توأم يعقوب عليه السلام ولد إسحاق عليه السلام، ومصطلح (الروم) يعني الشعوب والقبائل التي انحدرت من ذرية روم بن عيص بن إسحاق عليه السلام.

والدته كانت إحدى بنات نبي الله لوط عليه السلام لذا فهو سبط النبي لوط عليه السلام. وزوجته كانت رحمة بنت يوسف النبي عليه السلام.

والنبي أيوب عليه السلام هو مضرب المثل في الصبر على البلاء، وقد مدحه المولى عزوجل في العديد من الآيات لا سيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1].

وسيرته عبرة لمن يعتبر، وعظة لكل متأفف ضعيف أمام الامتحانات الإلهية، ودرس في الثبات على الإيمان والرجولة أمام النكبات الجسام.

وقد منحه الله سبحانه كل ما يريده ويتمناه الإنسان في الدنيا

(1) سورة ص، الآية: 44.

والآخرة: جسماً كاملاً، وحسباً عريقاً، ومالاً وفيراً، وإيماناً عميقاً، وزاده الله على ذلك كله بأن اصطفاه وجعله نبياً، فسبحانه تعالى على حكمته وكرمه.

وهذا الاصطفاء لأيوب عليه السلام والمدح من المولى عز وجل له، أزعج بشدة إبليس اللعين الذي أدركه البغي والحسد لما لأيوب عليه السلام من شأن عند الله سبحانه، فطلب إبليس اللعين من الله أن يسلّطه على أيوب عليه السلام ليمتحن إيمانه وصبره، فأذن الله سبحانه وتعالى بذلك ما عدا عقله ودينه، وذلك لعلمه المسبق سبحانه بمدى إيمان أيوب عليه السلام وصبره.

بعد ذلك أمر إبليس اللعين بعض جنوده بقتل وإحراق جميع الماشية والبهائم التي يمتلكها أيوب عليه السلام، وشاع الخبر بذلك، فازدحم الناس وقوفاً عليها متعجبين قد غلبهم البهت والدهشة، وتمثل اللعين إبليس بشكل أحد الرعاة، وانطلق إلى أيوب عليه السلام يخبره الخبر، فوجده قائماً يصلي ويعبد ربه، فقال اللعين: هل تدري يا أيوب ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته ببهائمك؟، قال عليه السلام: صه، إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به، إن شاء تركه وإن شاء نزعه، وقديماً وطنت نفسي ومالي على الفناء، قال اللعين: إن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها، وترك الناس وقوفاً عليها مبهوتين يقولون كذا وكذا، قال عليه السلام: الحمد لله حين أعطاني، والحمد لله حين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى التراب، وعرياناً أحشر إلى الله تعالى، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله، ولا أن تجزع حين يقبض عاريته، فالله أولى بما أعطاك.

عند ذلك خاب ظن إبليس اللعين في أيوب عليه السلام، ورجع عنه خاسئاً من تضجر أو انزعاج لأيوب عليه السلام بذهاب الأموال.

ثم عاد اللعين ليسأل المولى عز وجل أن يسلطه على ولده وأهله، فأجابه المولى إلى ذلك، وسلطه على ولده وأهله، لأنه سبحانه وتعالى هو أعلم بمن خلقه وسواه، وعدله وهداه، وهو العليم الحكيم.

فانقض عدو الله هابطاً إلى الأرض، وأقبل على أولاد أيوب عليه السلام وهم مجتمعون في قصرهم، فزلزل بهم القصر حتى هدمه عليهم، وأهلكهم عن آخرهم، ثم ركض نحو أيوب عليه السلام متمثلاً بصورة رجل جريح مخدوش الوجه يسيل دمه، وأخبره بالفاجعة قائلاً: يا أيوب لو رأيت بنيك كيف قتلوا، تسيل دماؤهم من أنوفهم وأشفارهم، ولو رأيت كيف شقّت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم وأجوافهم، إذاً لتقطع قلبك!، ولم يزل اللعين يقول أمثال تلك الكلمات ويثيره حتى رقّ أيوب عليه السلام وبكى، ثم قبض قبضة من التراب ونثرها على رأسه علامة للتفجع والحزن الشديد، ففرح اللعين بذلك وظن أنه نال من أيوب عليه السلام، إلا أن فرحته هذه سرعان ما ذهبت وذلك بعدما ندم أيوب عليه السلام واستغفر الله مما بدر منه، فرجع اللعين خاسئاً مجدداً، وحائراً في أمر هذا العبد الصابر كيف يغويه ويفتنه عن دينه وطاعته لله سبحانه.

فسأل الله مجدداً أن يسلطه على جسد أيوب عليه السلام، على اعتبار أنه سينجح بجعل أيوب عليه السلام يجحد بنعم الله عليه إن ابتلي في جسده بعد ماله وأهله وولده، فأجابه الله تعالى وسلطه على جسد أيوب عليه السلام، عدا لسانه وقلبه وعقله، وليعطي الله أيوب عليه السلام المزيد من الأجر

والثواب والكرامة، وليكون عبرة للعابدين، وقدوة للصابرين في كل ما ينزل بهم من البلايا، ليتأسوا به رجاء الثواب والمغفرة من عنده تعالى.

فلما تمكن اللعين إبليس من جسد أيوب عليه السلام، ونفخ في منخريه نفخة ظهر على إثرها تآليل كبيرة من رأسه إلى قدمه، مع الشعور بالحكة بشكل كبير، جعلت من أيوب عليه السلام يعمد إلى حكها حتى وقعت أظافره، وتقطع لحمه وتغير وانتن بدنه، فأعرض عنه الناس ورفضه القريب والبعيد، عدا زوجته رحمة بنت النبي يوسف عليه السلام، حتى اجتمع عليه أهل البلدة وحملوه وأخرجوه منها خوفاً من عدوى مرضه، ورموه في مكان خارج البلدة، وجعلوا له ما يشبه الخيمة ليبقى فيها. وبقيت زوجته الوفية تتردد عليه لإطعامه وخدمته، وهو عليه السلام في كل ذلك لا يزداد إلا صبراً وشكراً لربه تعالى، ولا يفتر عن ذكر الله والثناء عليه، على الرغم مما أصابه، إذ لم يبق له مال ولا أولاد ولا صديق، ولم يعد بقربه أحد خوفاً من عدوى مرضه وفقره الشديد.

وهذا الفقر الذي أصابه جعل زوجته الوفية تأتي إلى أهل البلدة فتخدمهم بالنهار، ثم تأخذ أجرتها عند الليل قوتاً لنفسها ولزوجها، وتأتي إليه وتطعمه وتحمد الله تعالى معه، ولبثوا على هذا الحال مدة طويلة من الزمن يقال إنها بحدود 8 سنوات والله أعلم.

وهذا الصبر والشكر من نبي الله أيوب عليه السلام المبتلى، جعل إبليس اللعين يشرف على الهلاك والدمار، حسداً وجزعاً وغضباً لفشله في فتنة أيوب عليه السلام.

فأراد اللعين أن يفتن أيوب عليه السلام من جهة زوجته رحمة عليها السلام،

حيث أتى إليها في هيئة رجل ثري راكباً على مركب عظيم ذي بهاء وجلال لا يشبه مركب الناس، وطلب منها أن تجعل زوجها أيوب عليه السلام يذبح ذبيحة ولا يذكر اسم الله عليها، فإن فعل ذلك يبرأ من مرضه، وأعطاها شاة لتقوم بذلك.

فأتت رحمة عليها السلام إلى أيوب عليه السلام وأخبرته ما جرى معها، وطلبت منه أن يذبح الشاة ولا يذكر اسم الله عليها، عسى بذلك أن يشفى من مرضه، فغضب أيوب عليه السلام وقال لها: أتاك عدو الله ونفخ فيك فأجبته؟ ويلك أرأيت ما كنا فيه من المال والولد من الذي أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: منذ كم ابتلانا الله بهذه البلايا؟ قالت: منذ ما يقارب 8 سنوات، قال: ويلك ما عدلت ولا أنصفت ربك! هلاّ صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله عزوجل لأجلدنك مائة جلدة إذ أمرتني أن أذبح لغير الله، ثم طردها من عنده. بعد ذلك حدثت نفسها تقول: أرأيت إن كان طردني، فإلى من أدعه؟ أأتركه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السباع، لا والله؛ لأرجعن إليه.

وهذا الموقف الشريف من هذه السيدة الكريمة ابنة نبي الله يوسف عليه السلام، وزوجته نبي الله أيوب عليه السلام، هو درس وعبرة لكل بناتنا وأخواتنا ونسائنا، حيث أنها قدّمت طاعة الله وطاعة زوجها على حساب بعض الاعتبارات والمشاعر الدنيوية الخاصة.

أما أيوب عليه السلام فبعد أن طردها وبقي بلا طعام ولا شراب ولا من يزوره ويسأل عنه، ضاق صدره وهاجت به أحزانه وهمومه، فخرّ لله

ساجداً يبكي وينادي ربه: إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فأجابه الله تعالى ونودي: إرفع رأسك فقد أستجيب لك، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[1]، ولما رفع رأسه من السجود نودي ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ﴾ فضرب برجله الأرض، فنبعث بقدرة الله تعالى عين ماء باردة صافية، وأمره الله تعالى بالاغتسال فيها والشرب منها وقال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[2]، فلما اغتسل فيها وشرب منها، أذهب الله عنه كل ألم وسقم وداء في جسده وجوفه، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن وأفضل مما كان عليه، وجعل يمشي في كل صحة وأحسن عافية، حتى جلس على ربوة مشرفة على الطريق.

فأقبلت زوجته رحمة عليها السلام نحو الكناسة فلم تره فيها، فاستوحشت وتغير حالها، وجعلت تبكي وتطوف يميناً وشمالاً تطلب زوجها، إلى أن رآها أيوب عليه السلام وناداها، ولما أقبلت نحوه قال لها: ما تريدين يا أمة الله؟ فازدادت في البكاء وقالت: أريد ذلك المبتلى الذي كان منبوذاً على الكناسة، وما أدري ما الذي جرى عليه، قال: ما كان منك؟ بمعنى ما الذي يربطك به؟ قالت: بعلي؛ فهل رأيته؟، قال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟، قالت: وهل يخفى على امرأة بعلها؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي خائفة وقالت أما أنه كان أشبه خلق الله بك حين كان

(1) سورة الأنبياء، الآيتان 83 - 84.
(2) سورة ص، الآية: 42.

صحيحاً، قال: فإني أنا أيوب الذي أمرتيني أذبح لإبليس، وإني أطعت الله تعالى، وعصيت الشيطان، ودعوت الله فردّ علي ما ترين؟، ففرحت المرأة وشكرت ربها، وشكرها الله تعالى على حسن تبعلها ووفائها لزوجها وصبرها على ما أصابها، وأرجع عليها وعلى زوجها كل ما ذهب وتلف منهما من الأموال، وأحيا لهما أولادهما، وضاعف لهما مثل ذلك في الدنيا، عدا أجرهما في الآخرة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

ثم هم أيوب عليه السلام أن يبرّ بيمينه بضرب امرأته مائة جلدة، فخفف الله تعالى عنها ورحمها بصبرها، وأمر أيوب عليه السلام أن يأخذ مئة قضيب خفيف ناعم ويضربها بها ضربة واحدة خفيفة كي لا يحنث بيمينه، وقال تعالى له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2].

هذا وبعد أن أحيا الله أولاده ووهب له مثلهم، أقام في بلاد الشام بعد البلاء بقية عمره الشريف في كل حبور، ونعمة وسرور وعافية، إلى أن أتاه الأجل، فانتقل إلى رحمة ربه مرضياً سعيداً، وكريماً ووجيهاً في الدنيا والآخرة، صلوات الله على نبينا محمد وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما نبي الله أيوب عليه السلام، وعلى زوجته الوفية الصابرة رحمة ابنة يوسف عليهم جميعاً السلام ورحمة من الله وبركاته.

(1) سورة ص، الآية: 43.
(2) سورة ص، الآية: 44.

أين دفن نبي الله أيوب عليه السلام ؟

قبل الجواب على هذا السؤال استوقفني أمر لطيف في كتب التاريخ، وهو أن معظم الذين كتبوا في التأريخ لا سيما القدامى منهم توقفوا كثيراً عند العديد من الأماكن التي يعتقد أنها هي عين الماء التي اغتسل وشرب منها أيوب عليه السلام ، حتى يخال المرء أنهم يبحثون عنها ليستعيدوا شبابهم وقوتهم، أكثر من تحديد مكان دفن أيوب عليه السلام ، وهذا الأمر يمكن ملاحظته بقوة وبوضوح، فسبحان الله الذي جعلني ألتفت إلى هذه العبرة، وهي أن الإنسان يتمنى البقاء والقوة ولو ادعى خلاف ذلك، أو أظهر زهده في هذه الحياة الدنيا الفانية.

وبالعودة إلى الجواب، فإن هناك ثلاثة أماكن تنسب إلى النبي أيوب عليه السلام أنه دفن فيها، وهي:

1 - أنه عليه السلام دفن في قرية بحوران من نواحي دمشق كان أيوب عليه السلام بها، وبها ابتلاه الله، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كانت عليها، وبها قبره الشريف[1].

2 - أنه عليه السلام عاش وأقام بالشام، وقبره الشريف في قرية كفل حارس من أعمال نابلس في فلسطين[2].

3 - بالإضافة إلى موقعين آخرين يقال عن كل واحد منها أن

(1) معجم البلدان، مصدر مذكور، ج4، ص334. وانظر: مسالك الأبصار، مصدر مذكور، ج1، ص268.

(2) الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص73.

أيوب عليه السلام له مقام فيه، الأول: في منطقة بطنا في محافظة السلط، في المنطقة التي أطلق عليها مؤخراً اسم خربة أيوب، والمقام على تلة ترابية فيها معالم أثرية قديمة. وهذه المنطقة هي ضمن حدود المملكة الهاشمية الأردنية الحالية.

الثاني: في قرية نيحا في أعالي الشوف اللبناني حيث يقال إن للنبي أيوب عليه السلام له هناك مقاماً، هذا مع العلم أن هذا الضريح والبناء عليه جديد ولم يكن معروفاً قبل العام 1978م بحسب الدكتور شكري عراف[1].

وعليه، وبحسب الاعتبارات العلمية فإن الأرجحية هي في حوران بالشام، وذلك لأن ياقوت الحموي في توثيقه للمقام المذكور بدير أيوب أقدم من مجيد الدين الحنبلي، بالإضافة إلى الشهرة الشعبية القديمة.

كما أن القول في كفل حارس في فلسطين فيه أيضاً نسبة من الصحة، أما باقي الآراء فلا أعتقد بصحة أي منها، والله تعالى أعلم.

وأتركك عزيزي القارئ مع بعض الصور لموضوعنا هذا.

(1) طبقات الأنبياء، مصدر مذكورن ج2، ص66.

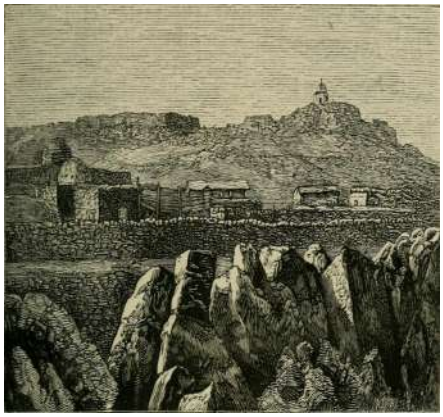

صورة قديمة تظهر دير النبي أيوب عليه السلام عن بعد في حوران

صورة للعمارة القديمة في دير النبي أيوب عليه السلام

صورة حديثة لمنطقة دير النبي أيوب عليه السلام

بئر ومغتسل نبي الله أيوب عليه السلام

صورة لمدخل مقام نبي الله أيوب عليه السلام من القرن الماضي

صورة داخلية لمقام النبي أيوب عليه السلام

ضريح مقام نبي الله أيوب عليه السلام في حوران

صورة لمقام نبي الله أيوب عليه السلام
في جبل لبنان وقد قلنا انه غير صحيح

صورة لمدخل مقام النبي أيوب عليه السلام
في لبنان والغير صحيح

صورة لما يزعم انه ضريح النبي أيوب عليه السلام في جبل لبنان

النبي شعيب عليه السلام

هو نبي الله شعيب بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهو عليه السلام ابن بنت لوط عليه السلام النبي، أي سبط لوط عليه السلام.

كما أن صهره زوج ابنته (صافوراء) عليها السلام هو نبي الله موسى عليه السلام كما سيمر معنا بإذن الله.

ويقال له خطيب الأنبياء عليهم السلام لحسن بيانه، وقد ذكره الله تعالى في العديد من السور القرآنية المباركة، كما أنه عليه السلام كان ضرير البصر.

وكان في قومه منذ صغره موحداً يخفي إيمانه بالله تعالى وهم مشركون، وقد أرسله المولى عز وجل مرتين، مرة إلى (مدين)، ومرة إلى أصحاب (الأيكة)، أما مدين فهي قرية في طريق الشام من ناحية الشرق، وأما الأيكة فهي قرية أخرى قريبة من مدين، ومعنى اسم الأيكة مأخوذ من كثرة الشجر المتكاثف.

وكان لأهل مدين ملك غاشم لا يطيقه أحد من ملوك عصره،

وكانوا في سعة من العيش، فأمرهم ملكهم باحتكار الطعام، ونقص المكيال والميزان، وإغلاء الأسعار، فأطاعوه وبخسوا الناس أشياءهم، وأفسدوا في الأرض كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

فأرسل الله إليهم شعيباً عليه السلام يعظهم ويذكرهم بنعمة الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وأقام بينهم مدة يدعوهم خلالها إلى الله تعالى، فلم يؤمن به إلا شرذمة قليلة.

وبلغ خبره الملك، فبعث إليه ينهاه ويحذره، فأجابه شعيب عليه السلام: إن الله أوحى إلي أنه إذا صنع ملك مثل ما صنعت، فإنه يقال له ملك فاجر، ثم هدد الملك بنزول النقمة والعذاب من الله عليه، فغضب الملك وأمر قومه بإخراجه من القرية، فاجتمعوا إليه وقالوا له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾[3]، فلم

(1) سورة الأعراف، الآية: 86.
(2) سورة الأعراف، الآية: 85.
(3) سورة الأعراف الآية 88.

يزده تهديدهم إلا تمسكاً وإصراراً، ووعظاً ونصيحة، ولكنهم ردّوا عليه ساخرين مستكبرين: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1].

ومع كل ذلك، استمر شعيب عليه السلام بالنصح لهم شفقة عليهم من نزول العذاب، كما نزل على أمم الأنبياء والسابقين بتكذيبهم لهم، فلم يؤثر فيهم شيء من مواعظه وإرشاده، بل إزدادوا طغياناً وكفراً و﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ﴾[2]، فغضب عليه السلام وقال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[3]، ثم بالغوا بعدئذ في إيذائه وضربه، حتى اجتمعوا عليه ليخرجوه من قريتهم، عندئذ يئس عليه السلام من هدايتهم عن ضلالهم، وقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾[4]، فلم ينفعهم كل ذلك وأصروا على نفيه من بلادهم، فأرسل الله عليهم حراً شديداً أخذ بأنفاسهم وتستروا منه في بيوتهم، فلم ينفعهم ظل ولا ماء، وصارت مياههم ساخنة جداً لا يستطيعون شربها، ولبثوا على هذه الحالة مدة تسعة أيام خرجوا من بعدها إلى البرية هاربين، فبعث الله سحابة أظلتهم

(1) سورة هود، الآية: 87.
(2) سورة هود، الآية: 91.
(3) سورة هود، الآية: 92.
(4) سورة هود، الآية: 93.

من الشمس، ووجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا كلهم تحتها، فأرسل الله تعالى عليهم منها ناراً أحرقتهم عن آخرهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وأما أصحاب القرية الثانية (الأيكة) فإنهم بغوا على شعيب عليه السلام وكذبوه أيضاً، فكان هلاكهم وعذابهم بالرجفة (أي الزلزلة) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾[2]. أو كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[3].

أما عن شعيب عليه السلام والذين آمنوا معه، فيقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[4].

وكان خروج شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين باتجاه مكة المكرمة، حيث أمضى فيها ردحاً من الزمن قبل عودتهم إلى بلاد الشام ويقال إلى مدين.

وتوفى نبي الله شعيب عليه السلام عن عمر يناهز 242 سنة أمضاها في

(1) سورة الشعراء، الآية: 189.
(2) سورة الحجر، الآيتان: 78 - 79.
(3) سورة الشعراء، الآيات: 176 - 179.
(4) سورة هود، الآية: 94.

طاعة وعبادة الله سبحانه، والدعوة إلى توحيده والإيمان به[1].

مقام ومكان دفن نبي الله شعيب عليه السلام هو شبه مورد إجماع لدى أصحاب السير والتأريخ، وهو بمنطقة (حطين)، وهي قرية بين عكا وطبرية في بلاد الشام[2]، وهي تقع حالياً ضمن أراضي المملكة الأردنية الهاشمية. والله أعلم بحقائق الأمور.

(1) للتوسع حول حياة نبي الله شعيب عليه السلام أنظر: تاريخ ابن الأثير، وتاريخ الطبري، وقصص الأنبياء، وكتب التفاسير، وغيرها.

(2) أنظر مثلاً: معجم البلدان لياقوت الحموي، وسفرنامة لناصر خسرو، وتواريخ الأنبياء للوساني، وطبقات الأنبياء لشكري عراف، ومسالك الأبصار لابن العمري، والأنس الجليل، لمجير الدين. وهي بأجمعها من المصادر المذكورة والمعتمدة في بحثنا هذا.

صورة عن بعد لمقام النبي شعيب عليه السلام في حطين

صورة أخرى للمقام عن بعد في حطين

صورة لمدخل مقام نبي الله شعيب عليه السلام في حطين

صورة لباحة مقام النبي شعيب عليه السلام في حطين

صورة أخرى لباحة المقام

صورة لضريح نبي الله شعيب عليه السلام
بشكل جانبي

صورة أخرى للضريح الشريف

صورة لمجموعة من زوار الضريح الشريف
في حطين

نبي الله الخضر عليه السلام

هو (إلياس) أو (باليا) بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . بينما يعتبره بنو إسرائيل أنه: أرميا بن حلقيا سبط هارون بن عمران عليه السلام .

وإنما سمي (الخضر) عليه السلام لأنه حيّ إلى ما شاء الله، فهو كشجرة دائمة الخضرة لا تعرف اليبس، وقيل بل لأنه كان إذا جلس على أرض جافة أو خشنة يابسة، اخضرت وأزهرت.

وهو عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف، كما جاء ذكر لعلمه الذي منحه الله إياه من لدنه وتميزه فيه على بني البشر، حتى أنبياءهم كموسى عليه السلام الذي سنتحدث عنه تالياً، فقد كان هذا النبي الكريم (الخضر) ممن أتوا الحكمة وشرف الرسالة وطول العمر معاً.

وهو عليه السلام ابن ملك كان من كبار الملوك في عصره، وقد كتب الله تعالى له حياة طويلة دائمة إلى حين لا يعلم إلا الله، فهو أطول الآدميين أعماراً وأعمرهم حياة، وهذا الأمد متفق عليه في الرسالات السماوية الثلاث، كما يقال إنه سيرافق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عند ظهوره والذي

هو حي أيضاً، كما سيرافقهما السيد المسيح عليه السلام بعد نزوله الثاني حتى يعمل على إخماد نقمة الروم على الإمام بعد خروجه وتوجهه نحو بيت المقدس. وقد شاء الله سبحانه أن يولد الخضر عليه السلام لأبيه الملك بعد حرمانه من الولدان الذكور، مما زاد شغف والده به وحبه له، لأنه كان ابنه الوحيد من جهة، وولي عهده ووارث عرشه من جهة ثانية.

إلاّ أن مشيئة الله لا تتعلق بمشيئة الأفراد، فلئن كان الأب جهد في إعداد ابنه لتسلم العرش وولاية أمور الناس، فإن الابن كان من طينة تختلف عن طينة من هم لمثل هذه المناصب، حيث أنه نشأ زاهداً في الملك وزخارف الدنيا، ومنصرفاً عن بهارج الحياة المادية، ميالاً إلى التعبد والتهجد لله سبحانه، حتى بلغ به الأمر أنه اعتزل أباه ومجتمعه، وانفرد بعيداً عن الناس في بيت يعبد الله فيه. ولما أراد والده الملك تزويجه، رفض الخضر عليه السلام ذلك، فغضب والده عليه وأمر بحبسه، وزوجه امرأة لها أدب وعقل وجمال، فتزوجها الخضر عليه السلام ولم يقرب منها المقاربة الزوجية، فلما علم والده بذلك أمر يردّها إلى أهلها، وأغلق الباب عليه ومنعه من الخروج، ولكن الخضر عليه السلام بقدرة الله وحكمته خرج من مكان احتجازه، وغادر مدينة والده، وغاب ما شاء له الله ذلك.

وقد عاش ويعيش في أقطار الأرض أينما أراد وفق مقتضيات الحكمة الإلهية، يرى الناس ويعرفهم وهم لا يعرفونه. وهو معروف بالأدبيات المسيحية باسم مار جرجس الحي.

ويكفي هذا النبي الكريم شرفاً أنه كان معلماً لنبي الله موسى عليه السلام

وذلك في اللقاء الذي جمعهما معاً، والذي سيأتي ذكره في تفصيل حياة موسى عليه السلام.

وبما أنه عليه السلام من الأحياء المعمرين، فإنه تكاد لا تخلو مدينة أو منطقة من وجود أماكن تحمل اسمه الشريف في الساحتين الإسلامية والمسيحية[1].

ولأننا نتحدث عن فلسطين أرض الأنبياء، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين، فإننا سنذكر أهم الأماكن المباركة التي تحمل اسمه الشريف، لا سيما المكان الأثري في القدس والذي يعتبر مسجداً وديراً في آن واحد، وهذه بعض الصور له من الخارج والداخل وأثناء ترميمه عام 2016.

فالسلام على من قال المولى بحقه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

(1) نهج البلاغة، الجامع لخطب ورسائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الإمام محمد عبده، دار الأندلس، بيروت، ص476/ 477.

(2) سورة الإسراء، الآية: 85.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت، ج6، ص444.

صورة لمدخل المسجد

صورة للدير من الخارج

صورة لمعالم الدير من الداخل

صورة أخرى لمعالم الدير

صورة من الداخل أيضاً

نبي الله موسى عليه السلام وهارون عليه السلام

هو عليه السلام: موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

وأمه عليها السلام هي: يوخابد أو يوكايد بنت أشموئيل من وُلد إبراهيم الخليل عليه السلام.

واسم زوجته: صفورة أو صفوراء بنت النبي شعيب عليه السلام.

والمشهور بين المؤرخين أن موسى عليه السلام لم تكن له ذرية بخلاف الطبري الذي ذكر أنه عليه السلام ولد له (جرشون) و(إيليعازر)، ويبدو أن رواية الطبري من الإسرائيليات.

أما الفرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام، فاسمه بحسب المصادر التاريخية (الوليد بن مصعب)، وقيل: قابوس بن مصعب بن معاوية.

وأما زوجة الفرعون التي آوت موسى عليه السلام وحضنته وربته في بيت زوجها الفرعون الطاغي هي: آسية بنت مزاحم عليها السلام أولى سيدات نساء العالمين الأربعة، وهن عليهن السلام: مريم بنت عمران والدة

السيد المسيح عليه السلام، خديجة بنت خويلد زوجة النبي الأكرم محمد ﷺ، وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وتختلف المصادر التاريخية لجهة تحديد مدة حياة النبي موسى عليه السلام ما بين 120 عام إلى 240 عام.

أما أخوه هارون عليه السلام فهو كان أكبر من موسى عليه السلام سناً، وتوفي قبل موسى عليه السلام.

وكان لهارون ولدان يسميان (شبّر) و(شُبير).

ولما بعث الله موسى عليه السلام إلى الفرعون، سأل موسى الله أن يرسل معه أخاه هارون لحسن منطقه وفصاحة لسانه، وكان الوحي ينزل من الله على موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام يوحي إلى أخيه هارون عليه السلام، وكان إذا غاب موسى عليه السلام عن قومه جعل فيهم هارون عليه السلام خليفته عليهم.

وهارون عليه السلام هو أخو موسى عليه السلام من أبيه وأمه.

وقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى ملوك ثلاثة من أعتى الخلائق وأطغاهم على الله سبحانه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وأما قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر، فتتلخص بأن

(1) سورة غافر، الآيتان: 23 - 24.

يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة، جمع شيعته وأهل بيته وفيهم ثمانون رجلاً من ولد يعقوب عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم حدثهم بما ينالهم بعده من الشدائد والمصائب من القبط أتباع فرعون الذي يتسلط على أهل مصر وبني إسرائيل، ثم بشرهم بالنجاة على يد رجل أسمر طويل القامة، اسمه موسى بن عمران، وذكر لهم صفاته، وأمرهم بطاعته والتمسك به.

ولما توفى يوسف عليه السلام تولى الحكم على مصر الفرعون (الوليد بن مصعب) الذي كان جباراً ظالماً وفاجراً، وامتدت أيام ملكه وقيل زهاء 400 عام.

وعلى الرغم من أن بني إسرائيل كانوا قد كثروا بعد يوسف عليه السلام ، إلا أنهم كانوا تحت سلطة ذلك الفرعون المتجبر في أضيق حال وأسوأ عيشة، لتمسكهم بشريعة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام .

وكانوا ينتظرون الفرج لهم كما وعدهم يوسف عليه السلام ببعثة موسى عليه السلام ، وكانوا يتوسلون لربهم في هذا الأمر ليلاً ونهاراً وسائر أوقاتهم.

وقد ظلوا مترقبين قدوم موسى وبعثته، حتى جعل الكثير منهم يسمي ابنه عند ولادته عمران، ويسمي حفيده موسى، على أمل أن يكون هو الموعود. وبالفعل قام كثير من أصحاب الاسم بادعاء النبوة، ولم يخرج نبي الله موسى عليه السلام حتى كان قد خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل يدعون النبوة.

هذا ولم يزل يملك مصر الفراعنة، وكل منهم ينزل من العذاب

ببني إسرائيل أشد ممن سبقه، إلى أن انتهى الأمر إلى فرعون موسى عليه السلام، فكان أشد ممن سبقوه وأطغى منهم، فجعل يعذب بني إسرائيل أشد العذاب، ويستعبدهم ويكلفهم بالأعمال الشاقة، حتى ضاقت صدور بني إسرائيل، وصاروا بأسوأ حال.

ثم حدث أن فرعون رأى ليلة في منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس، وأشتعلت في بيوت مصر فأخربتها، وأحرقت القبط وتجنبت بني إسرائيل، فلما أفاق من نومه مرعوباً، جمع الكهنة والمنجمين وقصّ عليهم رؤياه وسألهم عن تفسيرها، فأجابوه: يولد في بني إسرائيل غلام يغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك، فسألهم قائلاً: هل ولد هذا الغلام أم بعد؟ قالوا: لم يولد بعد ولكن اقترب زمانه الذي يولد فيه، ففزع فرعون من هذا الخبر، وأمر بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، كما أخذ يعذب الحوامل حتى تسقط ما في بطونها.

واشتد الأمر على بني إسرائيل، وأشرفوا على الفناء، حتى دخل على فرعون كبار القوم من القبط وقالوا له: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل، وأنت تذبح صغارهم، وكبارهم يموتون، فيوشك أن لا يبقى من يخدمنا، ويوشك أن يقع العمل والاستخدام علينا، فأجابهم فرعون بأنه سوف يكفّ عن ذبح المواليد من بني إسرائيل سنة، على أن يستأنف الذبح في السنة التي تليها، فولد هارون عليه السلام في سنة الإعفاء، وترك بأمان وسلامة. أما موسى عليه السلام فإنه ولد في سنة ذبح المواليد، فحزنت أمه عليه واشتد غمّها، وخاصة أن ولادتها كانت

تحت إشراف قابلة معينة من قبل الفرعون. إلا أن المشيئة الإلهية جعلت لموسى عليه السلام حباً في قلب كل من ينظر إليه أو يراه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، فأحبت القابلة موسى عليه السلام ورقّت عليه، وكانت تكرر النظر إليه وفي كل مدة تزداد حباً له، فساعدت القابلة أم موسى وأخفت أمره عن الحرس الذين كانوا يرافقونها، وأنجى الله تعالى بذلك موسى عليه السلام من الذبح.

ويقال إن الفرعون ذبح من المواليد لبني إسرائيل ما يقارب 70 ألف غلام، كل ذلك خوفاً من ولادة موسى عليه السلام!! ومع كل ذلك ولد موسى عليه السلام بإذن الله، وسلم من الذبح، وتربى ي قصر فرعون كما سيأتي، فسبحان الله.

وفي هذه الأثناء كانت أم موسى تربي وترضع وليدها سراً، وبقي في حجرها مدة من الزمن قبل أن يفتضح أمرها من خلال صوت بكاء موسى عليه السلام، فألهمها الله سبحانه بصنع صندوق خشبي، وأن تضع فيه ابنها وتلقيه في النيل كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[1].

وبالفعل قامت أمه عليه السلام بهذا الأمر وألقته وهو في داخل الصندوق بالنهر، وبقي موسى عليه السلام في النهر ثلاثة أيام كما ذكر في المصادر، حتى انتهى به الأمر أن تقاذفته الأمواج إلى داخل بستان قصر الفرعون

(1) سورة طه، الآيتان: 38 - 39.

الذي تجري إلى داخله مياه النهر، فرأته آسية رضوان الله عليها، والتي كانت جالسة على ضفاف المجرى المائي داخل البستان، فالتقطته عليه السلام وفتحت الصندوق، فإذا فيه غلام هو من أجمل الناس وأحسنهم، فوضعته في حجرها وأحبته حباً شديداً لدرجة أنها عبّرت لمن حولها بالقول: هذا ابني.

ثم حملت آسية عليها السلام الطفل إلى زوجها الفرعون وقالت له: إني أصبت غلاماً طيباً حلواً فاتخذه ولداً، قال: ومن أين الغلام؟، قالت: لا والله ما أدري إلا أن الماء جاء به، فنظر إليه الفرعون وقال: هذا إسرائيلي، وهمّ بقتله ولكن آسية عليها السلام صرخت في وجه زوجها وتوسلت إليه لإبقائه على قيد الحياة، وهو يقول: إني أخاف أن يكون هذا الغلام هو الذي يكون على يده هلاكنا وزوال ملكنا، فأجابته: كيف ذلك وهو سيكون ابنك وينشأ في حجرك واستمرت بمخاطبته إلى أن وافق على طلبها ووهبه لها. ثم أن الفرعون بعد النظر إليه عليه السلام أحبّه حباً شديداً وتبناه، ثم طلب له مرضعة حتى يرتضع منها.

ولما سمع الناس بذلك تهافتوا إلى قصر الفرعون من أجل نيل الحظوة والشرف لديه، من خلال إرضاع ابنه الذي تبناه، إلا أن الحكمة الإلهية شاءت أن لا يتقبل هذا الطفل ثدي أي من المرضعات، فاغتم لذلك الفرعون، ووصل الخبر إلى أم موسى عليه السلام التي أرسلت أخته الكبرى والتي كانت تدعى (كلثم أو كلمة) وطلبت منها التحقق من كون هذا الطفل هو ابنها موسى عليه السلام، فلما رأته كلثم عرفت أنه موسى عليه السلام، حينئذ تقدمت منهم وقالت لهم بأنها تعرف من يستطيع

إرضاعه ورعايته، فاستقبلوا عرضها استقبالاً حسناً، ووعدوها بجزاء حسن إن هي أتت بمرضعة يلتقم ثديها، فرجعت أخته كلثم مسرعة إلى أمهما وأتت بها إليه، ثم تناولت أم موسى ولدها في حجرها وألقمته ثديها، فالتقم الطفل الثدي بكل حرص وأخذ يمتصه ويعبّ منه وسكت عن البكاء، وفرحت بذلك آسية عليها السلام وفرعون وأمروها بحضانته وتربيته، ووعدوها بجزاء حسن، فقرّت بذلك عينها وزالت أحزانها.

وقد ذكر المولى عز وجل هذه الأحداث في محكم كتابه في العديد من السور القرآنية لا سيما في سورة القصص قال تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ

عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

وهكذا نشأ موسى عليه السلام على يد عدوه فرعون وفي بيته، وهو لا يدري أن هلاكه سيكون على يد هذا الطفل عليه السلام. فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

وتذكر المصادر جملة من الروايات عن موسى عليه السلام أثناء نشأته في قصر الفرعون، معظمها تدور حول العناية الإلهية الخاصة به عليه السلام، وهذا ما جعل الفرعون يشك فيه حيث أنه بدأ يتساءل إذا ما كان هو الغلام المقصود بالرؤية التي تتحدث عن هلاكه وزوال ملكه، لدرجة أنه وضع موسى عليه السلام تحت الاختبار ليتأكد من صحة ظنونه، على الرغم من أن موسى عليه السلام كان ما يزال طفلاً وقتذاك، ويقال إن الفرعون عمد في إحدى المناسبات إلى وضع جمرة ملتهبة من النار بالإضافة إلى حبة تمر قرب موسى عليه السلام لينظر هل سترعاه العناية الإلهية وتمنعه من تناول الجمرة أم لا؟

هذا بالإضافة إلى امتحان موسى عليه السلام حول إمكانه من التمييز بين الخير والشر؛ وعلى كل حال فإن جبرائيل عليه السلام حوّل يد موسى عليه السلام بأمر من الله عن التمرة إلى الجمرة، فتناولها موسى عليه السلام بيده وحاول وضعها في فمه، فالتهبت كفّه ولذع لسانه

(1) سورة القصص، الآيات: 3 - 14.

بنارها، وخلّفت تلك الجمرة عقدة في لسانه على شكل تأتأة بسبب تلك اللذعة منها. وهذه العقدة في لسانه هي التي سأل عنها موسى عليه السلام وطلب من المولى عز وجل أن يحلّها له كما في قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾[1].

وبعد هذا الاختبار اطمأن فرعون على أن موسى عليه السلام هو طفل مثل بقية الأطفال، لأنه لو كان هو النبي الموعود لمنعته العناية الإلهية من تناول الجمرة وأبعدته عن الأذى، وبعد هذه الحادثة عاش موسى عليه السلام في قصر فرعون كابن له، ولقي كثيراً من العز والرخاء حتى بلغ مبلغ الرجال، وطوال هذه المدة كان يعرف عليه السلام بموسى بن فرعون، وكان يركب مراكب فرعون ويلبس ملابسه، ويعيش معه في قصره، إلا أنه هو عليه السلام كان يعرف حقيقة هويته الإسرائيلية حتى والدته، كما أنه عليه السلام تربى ونشأ تحت رعاية السيدة آسية بنت مزاحم عليها السلام، وعليه فإنه كان قبل بعثته مؤمناً بالله وموحداً له على دين يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام.

وحدث في ذات يوم أن موسى عليه السلام دخل إلى مدينة (منف أو المنوفية حالياً) وهي قريبة من عاصمة الفرعون وقت الظهيرة، وكان من عادة الناس النوم في هذا الوقت، وهو ما يعرف (بالقيلولة)، وفراراً من شدة حرارة الشمس في منتصف النهار، لذا كانت الطرقات والأسواق خالية من الناس، فأخذ موسى عليه السلام يتمشى بين الأزقة ويعاين أماكن

(1) سورة طه، الآيتان: 27 - 28.

وأوضاع الناس فيها، وإذ به يلتقي برجلين يتعاركان ولا يوجد غيرهما في الطريق، ولما اقترب موسى عليه السلام منهما وجد أن أحدهما قبطي من أتباع الفرعون والآخر إسرائيلي على دين يوسف ويعقوب عليهما السلام، والسبب في هذا العراك أن القبطي كان يريد تسخير الإسرائيلي لحمل الحطب في حرّ الظهيرة بالقوة وبالمجّان، فاستغاث الإسرائيلي بموسى لنجدته من الرجل القبطي، فتقدم موسى عليه السلام نحو القبطي ووكزه أي دفعه بقبضته المضمومة، فوقع الرجل ميتاً، فاضطرب موسى عليه السلام وحار في أمره، وتوجه إلى ربه يسأله الخلاص من هذه الورطة التي وقع فيها، وخاصة أن الذي قتل هو قبطي من أتباع الفرعون وبالتالي تعتبر هذه الحادثة الغير مقصودة من موسى عليه السلام موجهة ضد الفرعون ذاته ولن تمرّ من دون عقاب، فابتعد موسى عليه السلام والرجل الإسرائيلي عن جثة القبطي وتفرقا خشية أن يراهما أحد من الناس، وفي أثناء ابتعاده كان موسى عليه السلام يدعو الله أن يستره ويغفر له، فغفر الله له ذلك لأنه كان ينصر مظلوماً على ظالمٍ ولم يكن يتعمد قتله.

وانتشر الخبر لاحقاً في المدينة: أن إسرائيلياً قتل قبطياً، وهاجت الناس لذلك، ووصل الخبر إلى فرعون الذي أمر بإيجاد القاتل فوراً لينال عقابه الشديد، فانتشر رجال الشرطة من القبط، في الأزقة والأسواق، وأغلقوا الطرقات، وأخذوا يسألون ويعنّفون الإسرائيليين لمعرفة هوية القاتل منهم.

وفي هذه الأثناء كان موسى عليه السلام متوارياً داخل المدينة، حيث لم يستطع الخروج منها للحراسة المشددة عليها، وفي صباح اليوم التالي

للحادثة خرج موسى عليه السلام من مخبئه وأخذ يمشي في الأزقة وهو خائف ويترقب إلقاء القبض عليه، وإذ به يجد نفس الرجل الإسرائيلي الذي استصرخه بالأمس يتعارك مع رجل قبطي آخر، واستنجد بموسى على القبطي، فقال له موسى عليه السلام إنك لغوي مبين، أي إنك رجل تسعى خلف المشاكل، وتقدم موسى عليه السلام لينقذ الإسرائيلي من يدي القبطي، فاعتقد الإسرائيلي أن موسى يريد أن يبطش به بعد قوله له ذلك، فصرخ الإسرائيلي بوجه موسى قائلاً له: تريد قتلي الآن كما قتلت القبطي بالأمس، وسمع القبطي مقالة الإسرائيلي فتركه وأخذ يعدو حتى يعلم الفرعون بهوية القاتل، وعندما علم فرعون بالخبر وبهوية القاتل بأنه موسى عليه السلام استشاط غضباً وأمر جنده بإلقاء القبض عليه فوراً وذبحه مباشرة.

وعرف بهذا الأمر رجل يدعى (حزقيل)، والمعروف بمؤمن آل فرعون، فسبق الجنود وأخذ يبحث عن موسى عليه السلام، ووجده في نواحي المدينة، فأخبره بالأمر الفرعوني القاضي بقتله، ونصحه بالخروج الفوري من المدينة والابتعاد عن أرض مملكة الفرعون.

فازداد خوف موسى عليه السلام، وحار في أمره، ولم يدر أين يذهب، وأخذ بالمسير للخروج من المدينة على غير الطرق الرئيسية وهو يتلفت خائفاً يميناً وشمالاً، وكان يدعو الله تعالى أن ينجيه منهم. وكان موسى عليه السلام يسير جهد طاقته ليله ونهاره وهو لا يعرف الطريق، وليس له إلا حسن ظنه بربه، إذ أنه خرج بغير زاد ولا راحلة، فألهمه الله تعالى نحو طريق (مدين)، والتي كانت تبعد عن مصر مسافة ثمانية

أيام، ومدين هذه تقع حالياً ناحية الأردن، وكان السير والجوع قد أخذا منه وأنهكاه من التعب، ويقال إن عمره كان يومئذ ثماني عشرة سنة.

ولما انتهى إلى أرض مدين وهو في غاية الضعف والتعب، نزل تحت شجرة قريبة من باب المدينة بجوار بئر ماء حولها جماعة من الناس يسقون مواشيهم، وقرب هؤلاء الناس فتاتان واقفتان تحاولان سقاية أغنامهما ولا يسمح لهن بذلك قبل انتهاء الرعاة من سقاية مواشيهم، فتقدم إليهما موسى عليه السلام وسألهما عن أمرهما، فأخبرانه بأن والدهما رجل كبير في السن ولا يستطيع القدوم لسقاية الأغنام، كما أنهما امرأتان لا تستطيعان مزاحمة الرعاة، وعليهما الانتظار حتى يفرغ الرعاة من السقاية حتى يستطيعا سقاية أغنامهما، فتأثر بهذا القول موسى عليه السلام، وكان هناك بئر آخر قرب البئر الأول عليه صخرة كبيرة لا يمكن تحريكها أو إزالتها إلا بجهد وطاقة مجموعة من الرجال الأقوياء، فتقدم موسى عليه السلام ورفعها من البئر لوحده، ثم أخذ دلواً لهما وسقى به لهما أغنامهما، ورجعتا سريعاً إلى أبيهما قبل باقي الناس، وكانت المرأتان بنتي شعيب النبي عليه السلام واسمهما (صافوراء) و(صفيراء).

ولما عادتا باكراً، استغرب نبي الله شعيب عليه السلام هذا الأمر، وسألهما عن السبب في عودتهما السريعة، فأجابتاه عما جرى معهما وأخبرتاه عن شهامة وقوة موسى عليه السلام، فقال شعيب عليه السلام لإحداهما: اذهبي فادعيه إلي لعلي أكرمه وأوفيه جزاء خدمته، فرجعت صفوراء إلى

موسى عليه السلام والتي أصبحت زوجته في ما بعد، تمشي على استحياء أي وهي خجلة وقالت لموسى: إن والدي يدعوك إليه حتى يجزيك أجر السقاية لنا، فتردد موسى عليه السلام بقبول دعوتها، إلا أنها ألحّت عليه بحسب طلب والدها، فقبل موسى عليه السلام وسار معها يتقدمها وهي ترشده من خلفه حتى وصلا إلى منزل أبيها شعيب عليه السلام.

ودخل موسى عليه السلام إلى المنزل واستقبله نبي الله شعيب عليه السلام بأحسن ما يكون، وبعد تناول الطعام أخبره بقصته مع فرعون، فقال له شعيب عليه السلام: لا تخف من فرعون وقومه فإنهم لا سلطان لهم بأرضنا، ولسنا في مملكته، فاستبشر خيراً موسى عليه السلام.

وبعد ذلك تقدمت صفوراء من أبيها وقالت له: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي والأمين، بمعنى إنك محتاج إلى المساعدة وهو خير مساعد وأجير في القوة والأمانة، فتوجه شعيب عليه السلام إلى موسى عليه السلام بالقول: إنني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي على أن يكون مهرها أن تعمل لدي ثماني سنوات وإن شئت أن تزيدها إلى عشرة فمن عندك تفضلاً، فوافق موسى عليه السلام على ذلك وتزوج ابنته صفوراء كما تقدم معنا سابقاً.

فلما انقضت المدة المتفق عليها مع شعيب عليه السلام، أراد موسى عليه السلام الرجوع إلى وطنه مصر بأهله شوقاً إلى أخيه هارون وأمه وأخته كلثم عليهم السلام، فطلب من شعيب عليه السلام عصا لأغنامه لسفره الطويل، فاختار له شعيب عصا من بين عدة عصي كانت عنده.

ثم خرج موسى عليه السلام وسار بأهله وما معه من ماشية مبتعداً عن

مدين باتجاه مصر، وجعل يسير في البراري بعيداً عن المدن والعمران وكان لا يعرف الطريق، فقاده المسير إلى الجانب الأيمن الغربي من الطور أي الجبل، وكان ذلك الطور في منطقة سيناء بين فلسطين ومصر، وكان الوقت مساء والسماء ممطرة والبرد شديد والظلمة حالكة، فضلّ موسى الطريق وحار في أمره لا يدري إلى أين يتوجه، وبينما هو كذلك ظهر له من جانب الطور نور مرتفع إلى عنان السماء، فحسبه ناراً ملتهبة، فقال لأهله إبقوا هنا لأنني رأيت ناراً عسى أن أستدل ممن يوجد حول النار على الطريق، وآتيكم ببعض الجمرات حتى نوقد النار للتدفئة، لأن الزناد الذي يشعل النار معي أصبح رطباً من الماء ولا يعمل.

فلما اقترب من مكان النار وجدها تشتعل من جوف شجرة وليس لها دخان، بينما الشجرة لا تزال خضراء نضرة، فدهش من ذلك وتهيّب وارتعدت فرائصه خوفاً وفزعاً، ورجع عنها مستدبراً ليعود إلى أهله، ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها، وعند ذلك: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، فنظر موسى إلى جوانبه ولم ير أحداً، فازداد حيرة وعجباً، ثم دنا من النار ليقتبس منها شيئاً، مالت النار إليه وأقبلت عليه، ففزع منها وتركها ورجع عنها، ثم التفت إليها فإذا هي قد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها ثانية ليأخذ منها شيئاً، وحصل

(1) سورة القصص، الآية: 30.

نفس الأمر معه ففرّ هارباً، وأعاد ذلك في المرة الثالثة وقبل فراره منها سمع صوتاً مهيباً من جميع الجهات: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾﴾[1]، أي إخلع نعليك احتراماً فإن هذا الوادي هو موضع الوحي والرسالة، وبذلك هو مبارك ومقدس، ثم سمع من الشجرة قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[2] - ثم أراد الله سبحانه أن يزيل دهشة موسى عليه السلام، فناداه وهو عالم: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[3].

ولما سكنت جوارح موسى عليه السلام وزالت عنه الوحشة والخوف، نودي من الشجرة بعد جوابه عن العصا أن ألقِ بعصاك، فألقاها، فإذا العصا تهتز بشدة وتتحرك بسرعة فائقة، امتلأ قلبه منها رعباً وخوفاً وجعل يرتعد فهرب ولم يلتفت خلفه من شدة خوفه، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[4].

وعند سماعه لقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ

(1) سورة طه، الآيتان: 11 - 12.
(2) سورة طه، الآيات: 13 - 16.
(3) سورة طه، الآيات: 17 - 18.
(4) سورة النمل، الآية: 10.

ٱلْأَمِنِينَ﴾[1] أي من ضررها ومن كل خوف، تجرأ موسى عليه السلام وعاد، فإذا الأمر يأتيه بأن يتناولها بيده، فمد يده المرتعشة إليها، وما أن بلغتها حتى عادت في يده عصا خشبية عادية لا خوف منها ولا ضرر، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾[2]. وكان هذا العمل كله آية من آيات الله، ودليلاً على عظيم مقدرته جلّ جلاله.

وبعد أن شهد موسى عليه السلام هذه الآية والمعجزة، جاءه نداء ثان يقول له: ضع يدك داخل فتحة ثوبك لناحية تحت الإبط ثم أخرجها، فإذا هي تلتهب نوراً ساطعاً أبيضاً، ثم أدخلها وأخرجها ثانية، فإذا هي عادت إلى لونها الطبيعي من لون بدن موسى عليه السلام الذي كان لونه أسمراً. ثم أمره الله تعالى أن يضم يده إلى صدره كلما أصابه الخوف، وهذا في قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ . . .﴾[3].

ثم أمره الله سبحانه بالذهاب إلى فرعون مصر، لدعوته وقومه إلى عبادة الله وتوحيده، والكفّ عن ظلم العباد بقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾[4]،

(1) سورة القصص، الآية: 31.
(2) سورة طه، الآيات: 19 - 21.
(3) سورة القصص، الآية: 32.
(4) سورة النازعات، الآيات: 17 - 19.

وأوصاه باعتماد المعجزتين اللتين شهدهما، وهما العصا وانقلاب يده من لونها العادي إلى نورانية بيضاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[1]، فحار موسى عليه السلام في أمره، وفكر في قتله المصري القبطي وفي طلب الفرعون وقومه دمه عليه السلام ثأراً لمواطنهم، فتخوف وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[2]، ثم أردف قائلاً وطالباً من الله تعالى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[3]، فأجابه المولى عزوجل وطمّنه بقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[4]، عندئذ عزم موسى عليه السلام على إطاعة أمر ربه وتنفيذه، ولكنه رجع أولاً إلى زوجته ليدبر أمرها، وأرجعها إلى أبيها شعيب عليه السلام، وأقامت عنده حتى بلغهم خبر غرق فرعون، فأرسل موسى عليه السلام في طلبها حتى تنضم إليه.

وكان موسى عليه السلام قد بقي في الطور مع زوجته يهيء أمورها لتعود إلى أبيها مدة سبعة أيام، وكان الوحي في هذه المدة قد انقطع عنه، وفي اليوم السابع من هذه المدة نودي أن أجب داعي ربك إلى ما دعاك إليه، وأخرج إلى فرعون وقومه، فطلب موسى من الله أن يقويه ويمنحه

(1) سورة القصص، الآية: 32.
(2) سورة القصص، الآية: 33.
(3) سورة القصص، الآية: 34.
(4) سورة القصص، الآية: 35.

الجرأة، ويهبه حسن البيان والمقدرة على الوعظ والإقناع، كما طلب أن يؤازره أخيه في مهمته هذه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[1]، فأجابه الله تعالى إلى ذلك و﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾[2].

بعد ذلك نزل موسى الكليم عليه السلام عن الطور (الجبل) وتوجه نحو مصر، وفي الأثناء وعند وصول موسى عليه السلام إلى مصر ألهم الله سبحانه هارون عليه السلام الخروج إلى شاطئ النيل، حيث التقى بأخيه موسى عليه السلام وتعانقا طويلاً وغمرهما فرح عظيم، ثم مضى موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام إلى أمهما وأختهما ليبشرنهما بنجاة موسى عليه السلام، وعمّت الفرحة والسرور هذه الأسرة الشريفة، وبعد الراحة والطعام، أخبر موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام برسالته وطلب منه مرافقته إلى فرعون، فوافق هارون عليه السلام من فوره وقال: سمعاً وطاعة، وعند سماع والدتهما بذلك وجلت وخافت وطلبت منهما عدم الذهاب، إلاّ أن موسى عليه السلام هدأ من روعها وطمأنها وذكّرها بفضل الله عليهم، فهدأت.

انطلق موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام إلى قصر فرعون،

(1) سورة طه، الآيات: 25 - 35.
(2) سورة طه، الآيتان: 36 - 37.

فاستوقفهما الحارس على الباب وقال لهما: من أنتما؟ فأجابه موسى عليه السلام: أنا رسول ربّ العالمين، فنقل الحارس هذا الخبر إلى كبير الحراس الذي دخل على فرعون وهو يقول: أيها الملك إن على الباب رجلاً مجنوناً يدعي أمراً عجيباً، إذ يزعم أن له إلهاً غيرك، ويدعي أنه رسول رب العالمين، فقال الفرعون: عليّ به، فأدخلوه مع أخيه. ثم نظر فرعون إلى موسى عليه السلام باستهزاء وقال له: من أنت؟ قال: أنا رسول رب العالمين، فغضب فرعون غضباً شديداً وطلب إحضار الأسود لافتراسهما، وعندما جاءت الأسود انحنت بوداعة بين أيديهما، وجعلت تشمشم قدميهما كالجرو الصغير، فدهش فرعون ومن عنده عجباً وحيرة، ثم أخذ فرعون يحدق بموسى عليه السلام حتى تذكره فازداد استغراباً ودهشة، والتفت إلى جلسائه محاولاً تفسير استسلام الأسود لموسى عليه السلام بأنها عرفته لأنه تربى في القصر، وكان يلعب معها وهي صغيرة. ثم توجه إلى موسى عليه السلام يعاتبه على كفران نعمته وقتله للقبطي من قبل، و﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[1] أي بنعمة فرعون؟ فأجابه موسى عليه السلام ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا - أي حينئذ - وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2] أي غير قاصد قتله، وإنما وقع ذلك مني خطأ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 18 - 19.
(2) سورة الشعراء، الآية: 20.

عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، أي أتمُنّ علي بأن ربيتني مع استعبادك قومي؟ وإن اتخاذك بني إسرائيل عبيداً أحبط مِنّتك علي، وهو الذي أوجب بعثتي إليك.

وبما أن موسى وهارون عليهما السلام كانا مأمورين من الله تعالى بالسياسة واللين في دعوتهما لفرعون، وأن يخاطباه بالكناية والحسنى، لأن فرعون كان يدعي الربوبية ويدعو الناس إلى عبادته هو، وذلك بقوله: أنا ربكم الأعلى أو قوله: ما علمت لكم من إله غيري، لذلك جاءت المحادثة مع فرعون والحوار معه وفق الأمر الإلهي القائل: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[2]، وبدأ الحوار والمحاججة بين موسى عليه السلام والفرعون، فقال فرعون: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾، أجابه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فالتفت فرعون إلى من حوله و﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فأكمل موسى عليه السلام استعراض الأدلة والشواهد على وحدانية الله سبحانه و﴿قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾، فقال فرعون استهزاء بموسى وأخيه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾﴾ أي كيف لمن يدعي أنه رسول لإله لديه هذه القدرة وهو على هذه الحالة من الثياب الرثة!! فلم يعره اهتماماً موسى عليه السلام و﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي أراد توجيه أنظارهم وعقولهم إلى قدرة الله وعظمته من خلال

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 21 - 22.
(2) سورة طه، الآية: 44.

الإشارة إلى خلق السماوات وكواكبها والأرض وما فيها، وهذا النظام البديع في أرجاء الوجود مما يرى أو لا يرى، كل ذلك دليل على أنه إله حكيم عاقل جبار رحيم، خلق فرعون وقوم فرعون وآباء فرعون، وهو رب العالمين، فخشي فرعون بالغ الخشية، ورأى أن مناقشته لموسى عليه السلام ستنتهي بهزيمته، وبالتالي سيسقط من أعين الناس أنه هو الإله، لذا عمد إلى لغة الحزم والتهديد مع موسى عليه السلام و﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

هنا، وعندما رأى موسى عليه السلام أن الوعظ لم يجد مع فرعون، وأن الحجة العقلية لم تقنعه، رأى أن يلجأ إلى المعجزة، إلى برهاني ربه: العصا ويده، لعل فرعون المدعي للألوهية يرضخ لقوة خارقة لا يستطيع الإتيان بمثلها، فتوجه بالقول إلى فرعون ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي بمعجزة تريك أنني أملك قدرة لا يملكها بشر، وقوة لا تكون إلا من عند إله حقيقي قادر، أفهل تؤمن؟ فأجابه فرعون ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾، عندها عمد موسى عليه السلام ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾[2] أي ضخم ومخيف اتجهت نحو فرعون، الذي دهش من هذا الأمر وتملكه الذعر والخوف، وأخذ يركض في الغرفة كالمجنون، وهو يصرخ ويستغيث بموسى عليه السلام أن يكفّها عنه، فمد موسى عليه السلام يده وتناولها، فإذا هي تعود عصا من خشب.

ولما رأى موسى عليه السلام أثر المعجزة الأولى فيهم، اغتنم الأمر

(1) سورة الشعراء، الآيات: 23 - 29.
(2) سورة الشعراء، الآيات 31 - 32.

فرصة ليزيد الأثر رسوخاً بالمعجزة الثانية، وليزيدهم يقيناً بقدرته النبوية الموهوبة له من الله سبحانه، وتشجيعاً على التصديق برسالته، فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها، فإذا هي بيضاء فوق بياض الثلج، وإذا هي مشعة نوراً فكأنها شمس تضيء، وتملأ المكان بشعاعها القوي، فدهش فرعون ورهطه، فأرجعها موسى إلى جيبه، ثم أخرجها ثانية، فإذا هي يده العادية نفسها، فغلب على المكان الصمت والهول، وقام هامان وزير الفرعون الخاص وقال له: إن ما أتى به موسى لا يعدو كونه سحراً، واقنع فرعون بهذا الأمر، فتوجه فرعون للحضور و﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ فأجابوا الفرعون بالقول: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[1] أي أخرّهم لموعد معين وابعث في طلب كبار السحرة من كل مدينة ليعارضوا سحر موسى بسحرهم، وليعلم الناس إن ما فعله هو سحر ووهم، وينتفي أمر الشك بألوهيتك، فاستحسن فرعون هذا الرأي، واستمهل موسى عليه السلام وهارون عليه السلام، واتفقا على تاريخ معين.

فلما خرج موسى وهارون عليهما السلام من عند فرعون، أخذ يستشير أصحابه في قتلهما، و﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾[2]، وكان بين

(1) سورة الشعراء، الآيات 34 - 37. وقبل ذلك في سورة الأعراف، الآيات: 109 - 111.

(2) سورة غافر، الآية: 26.

الحضور مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل عليه السلام ، والذي كان يكتم إيمانه بالله ووحدانيته منذ مدة طويلة، ويعاشر فرعون وقومه على سبيل التقية، لا سيما أنه أي حزقيل عليه السلام ابن عم الفرعون وولي عهده، وقد جاء ذكر حزقيل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾[1]، ولكن هذا العبد الصالح حزقيل عليه السلام ظل يدافع على عدم التعرض لموسى عليه السلام وأخيه بسوء، حتى صرف فرعون عن عزمه على قتلهما.

وقد مرّ معنا أن حزقيل عليه السلام هذا، هو الذي نصح موسى عليه السلام بالخروج من المدينة في بداية الأمر. ثم إن فرعون بعث بشرطته إلى سائر النواحي من مملكته، فلم يتركوا ساحراً في سلطانه إلا أحضروه، وبعد أن اختار فرعون سحرته من مجموع من أحضر منهم، جمعهم لديه باجتماع خاص وأمرهم بمعارضة وتحدي موسى عليه السلام في الوقت الذي حدد بين موسى عليه السلام وفرعون، فقالوا له: أيها الملك، أنت تعلم أنه ليس في الدنيا من هو أقدر منا على السحر، فإذا كانت الغلبة لنا على موسى فما الذي يكون لنا عندك من الجزاء؟

(1) سورة غافر، الآيتان: 28 - 29.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1]، أي نعم وأجعلكم من خاصتي وأنعم عليكم بالنعم الكثيرة، قالوا: وإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا، علمنا أن ما جاء به ليس من السحر، وعندئذ لا حيلة لنا إلا أن نصدقه ونؤمن به، فقال لهم فرعون: إن غلبكم موسى صدّقته أنا أيضاً معكم، ولكن كيدوا كيدكم ودبروا حيلتكم حتى تغلبوه.

وهذا في قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾[2]، وسيتضح هذا المعنى في السياق أيضاً.

أخيراً حان يوم الموعد المحدد بين الفريقين: موسى وهارون عليهما السلام، وفرعون وسحرته، وكان هذا الموعد يوم عيد عندهم يحتفلون فيه صباحاً بعد شروق الشمس، وهذا في قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾[3]، وقيل إن الميعاد كان بأرض الإسكندرية، فاجتمع ألوف من الخلائق في البلدة وساحتها الكبرى على اتساعها.

ولما ارتفع النهار أقبل فرعون مع خواصه وصعدوا المنصة المشرفة على الساحة ليشاهدوا ما يجري بين موسى والسحرة، وأقبل السحرة

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 41 - 42.
(2) سورة الشعراء، الآية: 49.
(3) سورة طه، الآيتان: 58 - 59.

بعصيهم وحبالهم على ظهور البعير، ثم أقبل موسى عليه السلام متكئاً على عصاه ومعه أخوه هارون عليه السلام، وبعد أن توقف هنيهة أخذ ينظر إلى السماء، فأخذ الناس يتساءلون عن معنى ذلك، ولما تقابل موسى عليه السلام مع السحرة قال لهم: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾[1]، فأخذ السحرة يتباحثون في قوله هذا، بين مشكك ومتخوف، وبين متعجرف طامع، اعتقاداً بأن موسى عليه السلام وهارون عليه السلام ليسا سوى ساحرين، و﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾، ثم وحّدوا كلمتهم وأقبلوا على موسى عليه السلام و﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾، فأجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ﴾[2] عندها قالوا ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[3] وألقوا ما في جعبتهم من حبال وعصي فانقلبت بشكل خادع كأنها حيّات وأفاعي عظيمة، وارتعبت قلوب الناس منها كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[4]، ففزع موسى عليه السلام من ذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ

(1) سورة طه، الآية: 61.
(2) سورة طه، الآيتان: 62 - 66.
(3) سورة الشعراء، الآية: 44.
(4) سورة الأعراف، الآية: 116.

أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[1].

وبعد هذا الوحي من الله تعالى إلى موسى عليه السلام ووعده له بالنصر والغلبة، زال عنه ما يعتريه من الخوف، واطمأنت نفسه ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[2]، والمفسرون ينقلون تفاصيل كثيرة جداً عن شكل وهيئة هذا الثعبان الضخم، والذي يعنينا هنا الإشارة فقط إلى أنه ثعبان ضخم حقيقي ابتلع كل حبالهم وعصيهم، ولم يترك منها شيئاً على الإطلاق، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، وأمام هول ما حدث انهزمت جموع الناس وأفواج الخلائق هاربين، وعمّ الفزع الجميع، وخاصة حين اتجه الثعبان نحو الناس وقصد منصة فرعون الذي كان يحاول الهرب أيضاً، فتقدم موسى عليه السلام بوحي من الله ووضع يده في فم الثعبان، فعاد عصا خشبية عادية.

أما السحرة فلما عاينوا ما جرى، علموا أن هذا الأمر ليس بسحر، بل هو آية ومعجزة من رب موسى وهارون عليهما السلام، و﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ

(1) سورة طه، الآيات 66 - 69.
(2) سورة الأعراف، الآية: 107.
(3) سورة الأعراف، الآيات: 117 - 119.

سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1]، أي أنهم آمنوا بالله وبدعوة نبيه موسى عليه السلام.

أما فرعون فإنه بعد أن ذهب عنه الخوف بعودة الثعبان إلى عصا، أصرّ على عناده بقوله: إن هذا كله لم يكن إلا سحراً، وأن موسى هو زعيمكم الذي علمكم السحر، وقد اتفقتم على فضحي أمام الناس، وآمنتم بالله وبدعوته قبل أن أئذن لكم بحسب اتفاقنا، وأخذ يهددهم بالعذاب الشديد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾[2]، إلا أن السحرة بعد تيقنهم بصحة دعوة موسى عليه السلام وإيمانهم به بعد المدة الطويلة التي قضوها في الشرك والدجل، أرادوا أن يجعلوا من باقي أعمارهم في الإيمان بالله وطاعته، واتباع نبيه موسى عليه السلام، لذا قالوا لفرعون بكل جرأة ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾[3]، ثم خرجوا ولحقوا بموسى عليه السلام مع سائر من آمن به وصاروا جنداً له، ولم يستطع فرعون منعهم خوفاً من موسى عليه السلام وعصاه.

وازداد المؤمنون مع الأيام حول موسى عليه السلام حتى بلغوا كما قيل

(1) سورة الأعراف، الآيات 120 - 122.
(2) سورة طه، الآية: 71.
(3) سورة طه، الآيتان: 72 - 73.

670 ألف، فأخذ فرعون يهدد الناس ويتوعدهم ويأمرهم بعدم اللحوق بموسى تحت طائلة القتل وسبي النساء والأطفال، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾[1]، فأرسل جنوده وأخذوا يقبضون على المؤمنين من بني إسرائيل وغيرهم، وأخذ يحبس الرجال، ويسبي النساء ويقتل الأطفال، عندها توجه موسى عليه السلام إلى قومه الذين ضجوا بالشكاية إليه مما يجري قائلاً لهم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فأجابوه بقولهم: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ - ، فأجابهم عليه السلام: - قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3].

ولما اشتد بهم الأمر وضاقت نفوسهم، أقبل موسى عليه السلام حتى دخل على فرعون، وسأله أن يخلي عن بني إسرائيل ويخرجهم من السجون ويرفع عنهم العذاب، ثم هدده إن لم يطيعه ينزل عليه البلاء من السماء، فغضب فرعون ومن معه على موسى عليه السلام وأبوا ذلك وأصروا على الكفر والعناد و﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]، فأصابهم الله سبحانه بالطاعون، فهلك من قوم فرعون

(1) سورة الأعراف، الآية: 127.
(2) سورة الأعراف، الآية: 128.
(3) سورة الأعراف، الآية: 129.
(4) سورة الأعراف، الآية: 132.

الآلاف ولم يمت به أحد من بني إسرائيل، فضج فرعون وقومه إلى موسى عليه السلام أن يسأل ربه تعالى دفع المرض عنهم، ووعدوه بإطلاق بني إسرائيل، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾، فدعا موسى عليه السلام الله سبحانه، فكشف عنهم المرض امتحاناً لعهدهم، إلا أنهم نكثوا ما تعهدوا به كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1]، فازداد غضب الله عليهم، فابتلاهم الله ببلايا متتالية إتماماً للحجة عليهم ولعلهم يؤمنون، وفي كل مرة وعند كل ابتلاء كانوا يهرعون إلى موسى عليه السلام ليدعو ربه برفع العذاب ويتعهدون بإطلاق سراح بني إسرائيل، وبعد رفع العذاب عنهم كانوا ينكثون كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾[2].

ولما عجز فرعون عن معالجة أمر موسى عليه السلام وقومه بكل حيلة، عمد إلى قتل كل من يقبض عليه منهم، فقتل بالصلب والأوتاد كثيراً من بني إسرائيل وغيرهم، وفيهم حزقيل عليه السلام الذي كان قد أظهر إيمانه بعد آيات موسى عليه السلام، فصلبه فرعون مع جمع من السحرة، وصلب أيضاً زوجة حزقيل عليه السلام التي جاهرت بإيمانها بالله سبحانه كما صلب

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 134 و135.
(2) سورة الأعراف، الآية: 133.

أولادهما، ثم عمم الصلب والتقتيل بالمؤمنين بموسى عليه السلام من الإسرائيليين والمصريين، حتى أفنى منهم خلقاً كثيراً.

ثم أن آسية عليها السلام زوجة الفرعون قامت وتصدت له لتنهاه عن هذا الظلم والكفر، وجاهرت بإيمانها بالله وبموسى عليه السلام، فدهش فرعون من سماع ذلك منها، فأمر فرعون بقتلها بالأوتاد، فاستبشرت سلام الله عليها بذلك لأنها كانت تدعو الله سبحانه بقولها: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فانتقلت سلام الله عليها وعلى سيدات نساء العالمين فاطمة وخديجة ومريم، إلى ربها راضية مرضية. ثم إن فرعون بعد قتله جماعات من المؤمنين بموسى عليه السلام وفيهم زوجته آسية وابن عمه حزقيل وزوجته وأولاده، ورهط كبير من قومه، خاف من أن يلحق بقية قومه بهم في الإيمان، وأنه لا يمكنه إفناء الكل، فأجمع رأيه على الكيد والمكر، وأمر وزيره هامان أن يبني له وبكل سرعة صرحاً (بناء عالياً) كثير الارتفاع في الجو حتى يصعد عليه وعند عودته منه يكذب على قومه ويقول لهم إنه قتل إله موسى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]، فبادر هامان إلى عمل ذلك، ولما فرغ العمال وأتموا البنيان، زلزل الله أرض الجبل المبني فوقه هذا الصرح، فانهار البناء

(1) سورة التحريم، الآية: 11.
(2) سورة القصص، الآية: 38.

من أساسه وقتل عدداً كبيراً من أتباع فرعون، فلم يزد هذا الأمر فرعون إلا عتواً وغيظاً وعناداً، حيث أنه بعد هذا الأمر استفحل طغيان فرعون وجوره، فراجع المؤمنون موسى عليه السلام وطلبوا منه الدعاء إلى الله سبحانه أن يهلك فرعون ويجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، فتوجه موسى عليه السلام إلى الله و﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾، وشاركه أخوه هارون عليه السلام في الدعاء، فأوحى الله تعالى إليهما أنه تعالى استجاب لهما بقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1]، ورغم آية الطمس هذه لم يرتدع فرعون ومن معه، بل استكبروا وعتوا عن أمر ربهم ولم يعودوا إليه تأئبين.

ثم إن فرعون لما رأى أن قتل الكثيرين من المؤمنين بموسى عليه السلام لم يردع البقية منهم، وأن حيلة الصرح فشلت، عزم على إبادتهم جميعاً، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بذلك، وأمره أن يخرج بقومه من المؤمنين شرقاً نحو البحر، فخرج موسى عليه السلام بهم بعد أن كان قد استخرج تابوت يوسف عليه السلام من الماء ليدفنه في الأرض المقدسة، يتقدمهم وأخوه هارون عليه السلام، وبلغ الخبر فرعون أنهم هربوا من مصر قبل أن يتمكن منهم، فغاظه ذلك بشكل كبير، وتخوف سقوط هيبته عند أتباعه، فأرسل الرسل حتى ينشروا تحذير للناس بعدم

(1) سورة يونس، الآيتان: 88 - 89.

مساعدتهم بأي شكل من الأشكال، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[1].

وأمر قومه وجنوده بركوب الخيل واللحوق بموسى وقومه سريعاً، وركب هو وهامان وتقدما المسير الذي بلغ بحسب الروايات قرابة 600 ألف جندي.

وأخذ فرعون وهامان يجدون السير حتى ظهر سوادهم لقوم موسى عليه السلام من بعيد.

ولما انتهى قوم موسى إلى البحر ورأوا أنهم حوصروا بين الماء أمامهم وفرعون وجنوده وراءهم، غلب عليهم الجزع والفزع وثاروا بموسى عليه السلام يقولون له: إنك قد غررت بنا وأهلكتنا، فليتك تركتنا في مصر يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج منها إلى الموت، فإنهم قد دنوا منا والآن يقتلوننا شرّ قتلة، فأجابهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2]، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]، فحمد موسى عليه السلام الله سبحانه على هذه النعمة والآية، ثم دعا قومه لسلوك الطريق في وسط البحر قبل وصول فرعون وجنده إليهم.

(1) سورة الشعراء، الآيات 52 - 58.
(2) سورة الشعراء، الآية: 62.
(3) سورة الشعراء، الآية: 63.

ولما انتهى فرعون بقومه إلى البحر وشاهدوا انفلاقه وقيام المياه جدراناً مائعة دون ساند، والأرض جافة يابسة، وكانت هذه هي الآية التاسعة إلى فرعون ومن معه، قال لمن حوله: أدركوا أعدائي وعبيدي، فترددوا بالنزول إلى الطريق في البحر، فتقدمهم حتى يشجعهم ويظهر لهم بأنه غير خائف أو وجل، ولما رأى أتباع فرعون تقدمه سالماً، تشجعوا وتبعوه بأجمعهم. ولما أصبحوا كلهم في داخل البحر، وكان بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام قد خرجوا منه من الناحية المقابلة، أطبق الله جدران الماء في ثوان على فرعون وهامان وأتباعهم، فهلكوا عن آخرهم ولم ينجُ منهم أي أحد حتى بجثته، إلا فرعون الذي كان يدعي الربوبية فعند غرقه قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، فأجابه الله سبحانه بواسطة جبرائيل عليه السلام بالقول: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[1]، ليكون عبرة لبني إسرائيل وغيرهم، لا سيما الطغاة والمتجبرين في الأرض الذين يعتبرون أنفسهم آلهة أو أنصاف آلهة والعياذ بالله، ولقد زرت المتحف الوطني المصري وعاينت جثة هذا الفرعون، والتي ما تزال معالمه شبه واضحة، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أني قد جعلت مستقركم

(1) سورة يونس، الآيات 90 - 92.

بأرض الشام، وكان يسكنها يومئذ العمالقة الكنعانيون، فلما قرب موسى عليه السلام بقومه من ديار العمالقة هؤلاء، بعث بمستطلعين له وكان من بينهم يوشع بن نون عليه السلام، والذين عادوا وأخبروه بما رأوا وشاهدوا من قوة بدنية لدى هؤلاء العمالقة، فأمرهم موسى عليه السلام بعدم ذكر ذلك أمام الناس، إلا أن بعضهم أخبر بما رأى من أحوال أولئك الجبابرة، فلما سمع بنو إسرائيل بالأمر انخلعت قلوبهم فزعاً ورعباً، وأخذوا يبكون ويصرخون وهم يقولون: يا ليتا متنا في أرض مصر، ويا ليتنا نموت في هذه البرية، ولا يدخلنا الله هذه القرية فستكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم، فأقبل موسى عليه السلام يعظهم وينصحهم بدخول البلدة، ويعدهم بالنصر وهم لا يقبلون منه وامتنعوا من ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[1]، فقال لهم موسى عليه السلام: إن الذي أنجاكم من فرعون وفلق البحر سينصركم على أولئك الجبارين، وتقدم إليهم أيضاً يوشع بن نون عليه السلام ابن أخت موسى عليه السلام ووصيه من بعده، وأخذ يشجعهم على الدخول وعلى الالتزام بأمر موسى عليه السلام، كذلك تقدم (كالب) زوج أخت موسى عليه السلام وقال بالذي قاله يوشع عليه السلام، وأخذا يلحان عليهم بكل وسيلة وهم لا يزدادون إلا عناداً، وقد ذكر الله تعالى يوشع وكالب بقوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟

(1) سورة المائدة، الآية: 22.

عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَۖ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، ومع ذلك رفض بنو إسرائيل قولهما وهموا أن يرجموهما و﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[2]، عندئذ غضب موسى عليه السلام وهمّ بأن يفارقهم و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾[3]، فظهرت آثار العذاب مباشرة عليهم، وارتفعت فوق رؤوسهم غمامة، فأخذ موسى عليه السلام بيد أخيه وأراد أن يخرج من بينهم، فأحس القوم بذلك وخافوا على أنفسهم وقالوا: إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب، فاجتمعوا لديه وتضرعوا إليه أن يسأل ربه تعالى التوبة لهم، فناجى موسى عليه السلام ربه بذلك، وجاءه الوحي يقول له: إني قد غفرت لهم بكلمتك، ولكن بعدما دعوت عليهم حرّمت عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبديّ يوشع وكالب، ولأجعلهم يتيهون في هذه البرية أربعين سنة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[4]، وهكذا لما بلغوا نهر الأردن وكان بينهم وبين أرض الشام فراسخ قليلة، تاه العاصون منهم، وهم يومئذ أربعون ألف نسمة، فكانوا يسيرون كل يوم إلى الماء، وعندما يصبحون في اليوم التالي يجدون أنفسهم في المكان الذي انطلقوا منه، وأقاموا على ذلك أربعين سنة، طعامهم المن والسلوى، وسراجهم في الليالي المظلمة عمود من

(1) سورة المائدة، الآيات: 23 - 26.

السماء يضيء لهم، وظلهم غمامة بالنهار تحجب عنهم حرارة الشمس وبالليل عن البرد، وشرابهم كان من الصخرة التي فجرها الله بالماء لموسى عليه السلام وقومه، إلى أن ماتوا في التيه وانقضى ذلك الجيل الجحود، وما بقي إلا نفر قليل مثل يوشع عليه السلام وكالب عليه السلام، أما هارون عليه السلام فإنه كان قد توفاه الله وهم في التيه، وصلى عليه ودفنه موسى عليه السلام وسيأتي الكلام عن الموضع الذي دفن فيه عليه السلام.

فلما انقضت السنون الأربعون، نشأ جيل جديد على غير ما نشأ عليه السلام آباؤهم، وساروا إلى حرب الجبارين في الشام، ففتحها الله لهم وأهلك الجبارين بأيديهم، وتم النصر لبني إسرائيل بعون الله سبحانه، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[1].

ثم إن الله تعالى اوحى إلى موسى عليه السلام بعد أن استقر المقام ببني إسرائيل، أن يمضي إلى طور سيناء (أي جبل الطور المعروف)، ويقيم هناك من أول شهر ذي القعدة مدة ثلاثين ليلة، ووعده أن ينزل عليه التوراة وألواحاً فيها التعاليم والأحكام، فأخبر موسى عليه السلام قومه بذلك، وجعل عليهم أخاه هارون عليه السلام، ثم ذهب إلى الميقات، فأقام هناك تمام ذي القعدة يناجي ربه تعالى ويكلّمه، ولما انتهى الشهر أمره الله تعالى بالبقاء عشر ليال أخرى، إلى أن كان نهار عيد الأضحى،

(1) سورة الأعراف، الآية: 137.

فنزل عليه من السماء كتاب التوراة، وألواح فيها من السنن والأخبار والأحكام ما تحتاج إليه بنو إسرائيل، وجاء ذلك ذلك في القرآن الكريم في سورة الأعراف[1]، وأما بنو إسرائيل فلما تأخر عنهم موسى عليه السلام ولم يرجع إليهم بعد نهاية الشهر، غضبوا وهمّوا أن يقتلوا خليفته هارون عليه السلام، وقالوا: إن موسى أخلف الوعد وكذّب علينا وهرب منا، فقام من بينهم رجل يقال له (السامري)، وكان من أكابرهم يعمل في صياغة المجوهرات ولديه معرفة بعلم الكيمياء، وكان قبل اتباعه موسى عليه السلام من قوم يقدسون ويعبدون البقر، فطلب من بني إسرائيل أن يجمعوا ما لديهم من حلي وذهب حتى يجعل لهم إلهاً يعبدونه، فلما فعلوا ذلك، قام السامري بتذويب هذه المصوغات الذهبية وصاغ منها شبه عجل أجوف من الداخل بحيث يتردد فيه صدى الصوت، فافتتن به من بني إسرائيل سبعون ألفاً وخروا له سجداً، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾[2]، وهـــــارون عليه السلام يصرخ فيهم ويعظهم ويناديهم ويقول: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾[3]، وهم لا يسمعون إليه ولا يعبأون به، بل همّوا بأن يقتلوه، وأخذوا يغنون ويرقصون حول العجل.

(1) سورة الأعراف، من الآية 138 حتى الآية 147.
(2) سورة الأعراف، الآية: 148.
(3) سورة طه، الآية: 90.

وأخبر الله سبحانه موسى عليه السلام وهو في الطور بارتداد قومه وعبادتهم للعجل، فرجع موسى عليه السلام إلى قومه وهو في حالة الغضب الشديد عليهم، وألقى الألواح من يديه لشدة غضبه، وأخذ برأس أخيه هارون عليه السلام ولحيته وسأله عن سبب ذلك، فأجابه عليه السلام بأنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه ولم يلتفتوا أو يسمعوا له، وأن الذي صنع هذه الفتنة هو السامري، فهم موسى عليه السلام بأن يقتل السامري، إلا أن الله أوحى له بأنه سيجعل له عقوبة شديدة في الدنيا غير عقوبة الآخرة.

وكانت عبارة عن مرض وحمى تصيبه وتصيب كل من يمسه أو يحتك به جسدياً، بحيث جعلته يعيش منعزلاً عن الناس وإذا ما اقترب منه أحد يقول له: لا مساس لا مساس.

ثم عمد موسى عليه السلام إلى العجل فقطّعه قطعاً وأذابها في النار حتى أضحت كالرماد، وبعدها رمى هذه البقايا منه في الماء في نواحي مختلفة، فعلم عندئذ بنو إسرائيل خطأهم وندموا على عبادته، وأخذوا يتضرعون إلى موسى عليه السلام في قبول توبتهم، فوبخهم موسى عليه السلام على عملهم القبيح، وأكد لهم أن قتلهم أنفسهم أفضل لهم مما فعلوا، وبالفعل تقاتل الفريقان، الفريق الذي عيد العجل والفريق الذي لم يعبده، فقتل منهم عدداً كبيراً، وقام موسى عليه السلام وهارون عليه السلام يدعوان الله حتى يعفو عنهم، فاستجاب الله لهما وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم.

بعد ذلك عرض موسى عليه السلام عليهم التوراة التي جاء بها من عند ربه تعالى، فلما رأوا الأحكام والمواثيق التي فيها استصعبوها وقالوا:

يا موسى هذا عظيم يثقل علينا ولا نقبله، وإنما نقبل من هذه الشرائع ما يخفف علينا ولا يرهقنا، فحثهم موسى عليه السلام على طاعة أوامر الله سبحانه، وذكّرهم بنعمه عليهم، ونصحهم بالامتثال لأوامره تعالى، ولكنهم رفضوا واستكبروا، فغضب الله عليهم وأمر جبرائيل عليه السلام بأن يقتطع جبلاً ويجعله فوق رؤوسهم ليتقبلوا أوامر الله ونواهيه بالقوة والإكراه، ما داموا لم يتقبلوها طوعاً.

فلما رأوا آثار العذاب وإشراف الجبل عليهم، مُلِئوا خوفاً وفزعاً، وأخذ موسى عليه السلام يحذرهم من وقوعه عليهم إن رفضوا الطاعة لله عز وجل، فأخذوا يصرخون هلعاً وجزعاً، وأظهروا التوبة والقبول، وتوسلوا بموسى عليه السلام في دفع العذاب والجبل عنهم، فأمرهم موسى عليه السلام أن يسجدوا لله على جباههم ويعفروا الخدود في التراب، ففعلوا إلا أن أكثرهم كان منافقاً، وقد ذكرت هذه الأحداث في سورة البقرة والنساء والأعراف وغيرها من السور القرآنية المباركة[1].

ثم إنهم بعدما آمنوا بالتوراة كرهاً وخوفاً، أنكر المنافقون منهم أن يكون ذلك من الله تعالى، وحتى أنهم شككوا وأنكروا أن الله تعالى كلم نبيه موسى عليه السلام فقال لهم موسى عليه السلام: اختاروا منكم من يذهب معي إلى الطور حتى يسمع كلام الله عز وجل، فاختاروا سبعين من أخيارهم، ومضوا مع موسى عليه السلام إلى الطور. ولما انتهى

(1) سورة البقرة، من الآية 63 حتى 93، النساء الآية 154، الأعراف، الآية: 150 حتى 154، وطه، الآيات من 83 حتى الآية 98.

موسى عليه السلام بهم إلى الموضع، أبقاهم في سفح الجبل وصعد هو عليه السلام وحده إلى الطور، وسأل ربه عز وجل أن يكلمه ليسمع القوم كلامه، فأجابه الله إلى ذلك، وأحدث الكلام في شجرة وجعله منبعثاً منها، حتى سمعه القوم من جميع الاتجاهات، لكنهم لم يؤمنوا مع ذلك، بل قالوا لموسى: لن نؤمن لك ونصدق أن هذا الذي سمعناه هو كلام الله، حتى نرى الله جهرة، فاسأله أن يظهر لنا حتى نشاهده عياناً، فوعظهم موسى عليه السلام كثيراً ووبخهم على ذلك السؤال العظيم، إلى أن بدلوا سؤالهم ذلك بطلب ظهوره تعالى لشخص موسى عليه السلام وحده، حتى يشاهده ويصفه لهم، وألحوا عليه بذلك حتى اضطر موسى عليه السلام إلى إجابتهم و﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] وذلك بأن الله سبحانه أظهر نوراً في الجبل حتى انهدّ وساوى الأرض، فوقع موسى عليه السلام على الأرض مغمى عليه، ولما ألأفاق قال أنا أول المصدقين بأنك لا تشاهد وتستحيل رؤيتك بالأبصار، أما القوم الذين كانوا معه عليه السلام فإنهم أصروا على طلبهم برؤية الله سبحانه، عندها نزلت عليهم صاعقة من السماء فأحرقتهم عن آخرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾[2]، ولما أفاق موسى عليه السلام ورأى ما نزل بهم، جعل يناشد

(1) سورة الأعراف، الآية: 143.
(2) سورة البقرة، الآية: 55.

الله سبحانه إحياؤهم، لأنه لا يستطيع الرجوع إلى بني إسرائيل وقد هلك كبارهم، ولم يزل متوسلاً حتى أجابه الله تعالى وأحياهم واحداً بعد واحد حتى ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيا، حتى قاموا بأجمعهم أحياء كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، فلما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما حصل معهم. فلما سمع بنو إسرائيل كل ذلك آمن كثير منهم، وأقام الكثير أيضاً على الكفر والجحود، فدعا عليهم موسى عليه السلام وأجابه الله فأهلك المكابرين والكافرين من قومه، ولم يبق معه عليه السلام إلا المؤمنين بالله سبحانه وبنبيه موسى عليه السلام.

ولما أراح الله تعالى موسى عليه السلام من فرعون وهامان وقومهما، ومن الكفار من بني إسرائيل وبقي في جماعة من المؤمنين، إبتلي بقارون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾[2].

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام أو ابن خالته، وكان يقرأ التوراة في جملة المؤمنين، ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسمى الحنون لحسن صوته، وكان موسى عليه السلام يحبه كثيراً، وكان من أعلم بني إسرائيل من بعد موسى وهارون عليه السلام، وبالإضافة إلى هذه النعم المعنوية كان الله تعالى قد آتاه من الأموال ما لا يحصى، فتكبّر واستطال على بني إسرائيل، واستفحلت غطرسته لدرجة أنها جعلته

(1) سورة البقرة، الآية: 56.
(2) سورة غافر، الآيتان: 23 - 24.

يخسر دينه ودنياه وآخرته. فلما نزلت الزكاة على الأغنياء ليدفعها موسى عليه السلام إلى الفقراء، رفض قارون ذلك وأخذ يحرّض بني إسرائيل على عدم دفع الزكاة، كما أنه أراد أن يشوه سمعة موسى عليه السلام من خلال نسبة أمور مشينة إليه، فلما لم يتمكن قارون من تحقيق غايته، وافتضح هو وكشف أمره، غضب موسى عليه السلام ودعا عليه، فخسف الله الأرض بقارون وداره وكنوزه حتى كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً قبل ذلك، وقد جاء ذكر هذه الأحداث في سورة القصص وسورة العنكبوت[1].

ثم إن بني إسرائيل وجد بينهم ذات ليلة قتيل، وكان هذا القتيل شاباً يدعى (عاميل) وهو حديث الزواج بابنة عم له كانت في غاية الحسن والجمال، وكان له إبنا عم حسداه على زواجه بابنة عمهم فعمدا إلى قتله، ثم حملا جثته وألقياه في قرية أخرى غير قريتهم.

ولما أصبح الناس وانتشر بينهم خبر المقتول، اجتمعت القبائل والوفود عند موسى عليه السلام يشتكون إليه ويسألونه أن يطلب من ربه تعريفهم بالقاتل، أو يلزم أهل القرية بدية القتيل. وكان من بين هذه الوفود القاتلان أولاد عم المغدور به.

فاستحضر موسى أهل القرية التي وجد فيها القتيل، وسألهم عن الأمر فأنكروا قتله أو معرفة من قتله، فأمرهم موسى عليه السلام بأن يحلفوا على ذلك ويدفعوا الدية لأنه وجد في قريتهم، فرفضوا ذلك، عندها أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يطلب منهم ذبح بقرة، فأخذوا يتململون

(1) سورة القصص، من الآية 76 حتى 83. سورة العنكبوت، الآيتان: 39 - 40.

ويكثروا بالكلام إلى أن فعلوا أخيراً، ثم أمرهم موسى عليه السلام أن يضربوا القتيل ببعض عظم هذه البقرة ففعلوا، وما أن قاموا بفعل ذلك حتى أحيا الله القتيل عاميل وتوجه بالكلام إلى موسى عليه السلام وقال: يا نبي الله قتلني ابنا عمي هذان حسداً على ابنة عمي، وألقياني في قرية هؤلاء ليأخذوا منهم ديتي، فطارت عقول بني إسرائيل دهشة مما رأوا وسمعوا، وقبضوا على القاتلين فقتلهما موسى عليه السلام. وقد ذكر الله تعالى هذه الأحداث في محكم كتابه في سورة البقرة[1].

ولقد كان من الأحداث المهمة في سيرة حياة نبي الله موسى عليه السلام ملاقاته للخضر عليه السلام، وذلك من أجل أن يُعلم موسى مزيداً من الحكمة بأمر وإيحاء من الله تعالى.

وكان السبب في هذا اللقاء، أن موسى عليه السلام قام يوماً خطيباً في بني إسرائيل فألقى خطبة بليغة فتن بها سامعيه، وسأله بعضهم بعد خطبته تلك: هل تعلم أحداً أعلم منك؟، فأجاب موسى عليه السلام: لا. فنزل عليه جبرائيل عليه السلام ونبّهه إلى ما جاء في جوابه من العجب والغرور، فانتبه موسى عليه السلام لذلك وأخذ يناجي ربه على ما صدر منه نادماً على ذلك ومتواضعاً لله سبحانه، فخاطب موسى عليه السلام المولى عز وجل: إن كان في عبادك أعلم مني فادللني عليه حتى أتعلم منه، قال تعالى: أعلم منك عبدي الخضر، قال موسى عليه السلام: أين أجده؟ قال تعالى: على الساحل عند الصخرة، قال موسى عليه السلام كيف لي به؟ قال تعالى: تأخذ حوتاً (أي سمكة) فحيث فقدته فهو هناك.

(1) سورة البقرة، من الآية 67 حتى الآية 73.

وخرج موسى عليه السلام فأرسل لفتاه أي وصيه من بعده، وهو يوشع بن نون عليه السلام، وأخبره الخبر، وأمره أن يصنع طعاماً يحمله معه ليخرجا في طلب الخضر، فاشترى يوشع عليه السلام حوتاً مشوياً ومملحاً وحمله في سلّة، فانطلقا يمشيان حتى عجزا عن المشي، وموسى عليه السلام مصرّ على أن لا يتوقف عن السير ولو لثمانين سنة أي (حقب) حتى يلقاه، فاستمرا يسيران في الأرض حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين، فوجدا هناك رجلاً مستلقياً وكان الخضر عليه السلام ولم يعرفاه، فجلسا مكانهما وأخرج يوشع عليه السلام الحوت من السلة ووضعه على صخرة هناك، ثم قام موسى عليه السلام ليصلي، وبعد أن أنهى عليه السلام صلاته، قام ووصيه يوشع عليه السلام وأخذا في السير ليلتهما إلى الغد، وكان يوشع عليه السلام قد نسي الحوت على الصخرة، وقطرت عليه من السماء قطرة فعاد حياً بقدرة الله تعالى وانتفض ثم دخل البحر، فلما أحس موسى عليه السلام بالجوع طلب من يوشع عليه السلام أن يخرج الحوت ليأكلانه، فأخبره يوشع عليه السلام بالذي حدث وكيف دخل الحوت إلى البحر، فعند ذلك عرف موسى عليه السلام أن الرجل النائم عند الصخرة هو الخضر عليه السلام، لأن الله تعالى أخبره عن مكان اللقاء حيث يفقد الحوت. فعزما على الرجوع إلى الصخرة لملاقاة الخضر، وأخذا في السير راجعين على الطريق الذي جاءا منه، متتبعين آثار أقدامهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فلم يجدا الحوت، ووجدا الرجل الخضر عليه السلام يصلي فجلس عنده موسى عليه السلام حتى فرغ من صلاته، ثم سلم عليه فرد

الخضر عليه السلام عليه التحية وسأله عن اسمه، فقال: أنا موسى بن عمران، قال الخضر: أنت الذي كلّمه الله تكليماً؟ قال موسى: نعم، قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمني مما عُلّمت رشداً، فقال الخضر عليه السلام: نعم لكن بشرط أن لا تنكر علي شيئاً حتى أخبرك بخبره، فقال موسى عليه السلام: نعم لك ذلك علي. وترافقا في المسير ومعهما يوشع عليه السلام، وحصلت الحوادث الثلاث التي كان موسى عليه السلام بعد كل واحدة منها يستنكر فعل الخضر عليه السلام معها، وكان الخضر عليه السلام يقول له: ألم أخبرك أنك لن تستطع الصبر معي، واشترطت عليك عدم استنكارك لفعلي قبل أن أخبرك عنه؟ فكان يجيبه موسى عليه السلام: نعم أنت محق ولن أعود إلى ذلك، ولكنه كان عليه السلام ينسى وعده ويستنكر فعل الخضر عليه السلام، وبعد انقضاء الحادثة الثالثة أخبر الخضر عليه السلام موسى عليه السلام عن الحكمة من وراء قيامه بهذه الأفعال، والتي لم تكن من اختياره بل تنفيذاً لأمر الله تعالى.

فعلم موسى عليه السلام عندها أنه لا يستطيع الإحاطة بالحكمة الإلهية، وأن ما لديه من علم فهو من فضل الله عليه، وأن في الخلق من هو أعلم منه، وأن هذا التفاوت في العلم والمعرفة لحكمة إلهية لا يستطيع أي مخلوق الإحاطة بها. وقد جاء ذكر هذه الأحداث وما جرى بين موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف في القرآن الكريم[1].

ثم إن موسى عليه السلام ودّع الخضر عليه السلام وانصرف مع يوشع عليه السلام

(1) سورة الكهف، من الآية 60 حتى الآية 82.

إلى قومه من اليهود، والذين كانوا في هذه الفترة التي غاب عنهم موسى عليه السلام قد شاع بينهم ارتكاب المعاصي والبدع في دين الله.

فمكث موسى عليه السلام المدة المتبقية من عمره الشريف وهو يعظهم وينصحهم وهم لا يستمعون إليه إلا على مضض مرغمين، فكان موسى عليه السلام يكثر الانفراد بنفسه ليناجي ربه عز وجل. ثم أن موسى عليه السلام دعا يوماً يوشع بن نون عليه السلام وأوصى إليه بوصاياه، وأمره يكتمان ذلك، وأن يوصي هو أيضاً إلى من يقوم بالأمر بعده، ثم خرج موسى عليه السلام عن قومه في التيه، فوجد مجموعة من الملائكة يحفرون قبراً، فسألهم لمن هذا؟ فأجابوه لعبد كريم، وقالوا له: أتحب أن يكون لك؟ قال: نعم، فاضطجع فيه موسى عليه السلام وقبض الله روحه الشريفة عن عمر ناهز 120 من السنين.

أين دفن هارون وموسى عليهما السلام؟

وقبل الجواب على ذلك فإنني أحب أن أذكر ما نقل عن أماكن أضرحة السيدة آسية بنت مزاحم عليها السلام، ووالدة النبي موسى عليه السلام، وكلثم أخت النبي موسى عليه السلام.

1 - أما آسية سلام الله عليها، فإنه قد تقدم معنا أن الفرعون عذّبها وقتلها قبيل خروج موسى عليه السلام من مصر مع بني إسرائيل، وبالتالي فإنها دفنت في مصر وليس لها ضريح أو مقام معلوم في الأرض، وإن كان معلوماً أنها في جنة الخلد في السماء سلام الله عليها.

2 - أما السيدة يوكابد والدة النبي موسى عليه السلام فإن أغلب الظن

أنها توفيت في مصر قبل خروج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، وأيضاً لم تذكر المصادر ضريحاً أو مقاماً لها رضوان الله عليها.

3 - أما السيدة كلثم أخت النبي موسى عليه السلام فهي أيضاً يظهر أنها توفيت في مصر أو في الصحراء في التيه وليس لها مقام معلوم أو مشهور، والله أعلم.

4 - أما السيدة صفوراء زوجة النبي موسى عليه السلام فإنه وكما تقدم معنا في مقالة النبي شعيب عليه السلام، مدفونة إلى جانب والدها نبي الله شعيب عليه السلام في حطين عليهما السلام.

5 - أما نبي الله هارون عليه السلام، فإنه توفى في حياة أخيه موسى عليه السلام في التيه، ودفنه موسى عليه السلام، في منطقة جبل هور، كما جاء في سفر التثنية[1]، أي في منطقة جبال سيناء.

6 - أما نبي الله موسى عليه السلام، فإنه توفى ولم يدخل الأرض المقدسة (فلسطين)، حيث ورد في العهد القديم أنه توفى في جبل (نبّو) قبالة أريحا وعلى تلة (رأس الفسحة) والتي هي من رمل أحمر، ودفن هناك ولا يعرف أحد مكان قبره[2].

وهناك مقام مشهور للنبي موسى عليه السلام يقع في الطريق من القدس إلى أريحا، وهو يقابل جبل (نبو) المذكور في العهد القديم، كما أن الهروي في كتابه (الإشارات)، ذكر أن في أريحا قبر النبي

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم، مصدر مذكور، سفه التثنية، الفصل 32، الفقرة 50.
(2) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الفصل 34، الفقرة 1 -6.

موسى عليه السلام، كما ابن فضل الله العمري في كتابه (مسالك الأبصار) نقل عن أحدهم أن المقام الموجود في أريحا هو لموسى عليه السلام، وينقل الدكتور شكري عراف في (طبقات الأنبياء) عن ابن شاكر، أن الظاهر بيبرس المملوكي هو الذي بنى على أرض الدير قبة ومسجداً وأوقف عليه، وهذا ما أكد عليه لاحقاً مجير الدين الحنبلي في (الأنس الجليل)[1]. وعليه فإن هذا المقام الموجود حالياً في أريحا هو منسوب للنبي موسى عليه السلام وليس مؤكداً بشكل كبير، ولكن لا بأس بزيارته على نية اسم النبي موسى عليه السلام.

وفي الختام أحب أن أشير إلى أن هذه السردية المختصرة جداً عن حياة النبي موسى عليه السلام وهارون عليه السلام، مذكورة وبشكل مطول في جميع كتب التفسير القرآني، وقصص الأنبياء، بالإضافة إلى المصادر والمراجع التي ذكرتها في محله، كابن الأثير، والطبري، واللواساني، والعلامة المجلسي، والأنس الجليل، ومسالك الأبصار، وخطط الشام، وانظر أيضاً: ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص280 - 367.

(1) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص69.

صورة لمقام النبي موسى عليه السلام من الخارج

صورة جانبية للمسجد والمقام من الخارج

صورة لمدخل المسجد والمقام الشريف

صورة أخرى لمدخل المقام

صورة لجدارية فوق مدخل المقام الشريف
تؤرخ سنة تجديد العمارة

باحة المسجد والمقام من الداخل

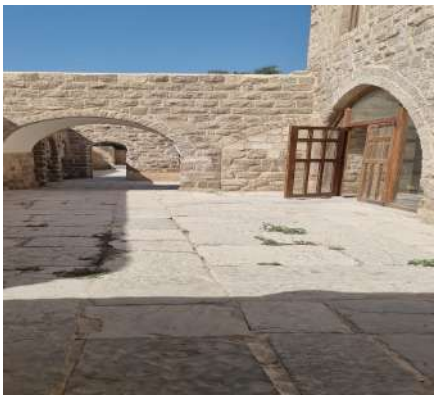

صورة لاحد مداخل المقام والمسجد

الرواق الداخلي في المسجد

لوحة على باب مدخل الضريح الشريف

جدارية تؤرخ تجديد العمارة في زمن الظاهر بيبرس

صورة للضريح الشريف

صورة أخرى للضريح الشريف

وأيضاً صورة أخرى للضريح الشريف

صورة تظهر المقبرة الشريفة حيث يعتقد وجود قبر نبي الله هارون فيها

صورة لقبة الضريح الشريف

لوحة صخرية قديمة تشير إلى مكان دفن نبي الله هارون عليه السلام

صورة اقرب للّوحة الصخرية

نبي الله يوشع بن نون عليه السلام

هو: يوشع بن نون بن إفرائيم من ذرية يوسف الصديق بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

وهو عليه السلام وصي موسى عليه السلام، وصهره على أخته مريم بن نون ويبدو أنها غير ابنة شعيب عليه السلام.

وهو الذي أشار المولى إليه في سورة الكهف عند الحديث عن موسى عليه السلام أثناء بحثه عن الخضر عليه السلام ليتعلم منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[1].

وهو من الذين أنجاهم الله من التيه الذي حلّ ببني إسرائيل عندما رفضوا الانصياع لأوامر نبيهم موسى عليه السلام بقتال الجبارين في أرض كنعان.

(1) سورة الكهف، الآيات 60 - 62.

ويقال بأن صافوراء زوجة موسى عليه السلام وبنت النبي شعيب عليه السلام خرجت عليه حسداً وذلك بعد وفاة زوجها موسى عليه السلام، فغلب عليها يوشع عليه السلام وأسرها، وقال لها عندما واجهها: قد عفوت عنك في الدنيا، إلى أن نلقى نبي الله موسى فأشكو إليه ما لقيته منك ومن قومك، فصرخت وقال: والله لو أبيحت لي الجنة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيه بعده.

وعلى كل حال، فإنه لما اشتد أمر يوشع عليه السلام، أمره الله بالمسير في قومه من بني إسرائيل إلى مدينة الجبارين وقتال أهلها، فسار بجنوده إليها وهي أريحا، ولما أبى أهلها إجابة دعوته في الإيمان بالله وطاعته، حاصرهم ستة أشهر، ولما كان الشهر السابع فتحها الله له فدخلها بمن معه، فأدركهم المساء وكان مساء جمعة، أي بداية ليلة يوم السبت، وفيه يجب عليهم الامتناع عن أي عمل طبقاً لشريعة بني إسرائيل، فدعا يوشع عليه السلام ربّه تعالى حتى ردّ الشمس له، وزاد في طول نهار الجمعة حتى قبضوا على أعدائهم من الجبارين وأنزلوا الهزيمة بهم.

وإلى مسألة ردّ الشمس ليوشع عليه السلام، أشارإلى ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، في قصيدته التي يذكر فيها مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يقول فيها:

يا من له رُدت ذكاء ولم يفز بنظيره من قبل إلا يوشع

و(ذكاء) اسم من أسماء الشمس، إذ أن الشمس قد ردت للإمام علي عليه السلام في حادثة ذكرت في المصادر والمراجع الإسلامية العريقة، يمكن الاطلاع عليها في المصادر التي سنذكرها وغيرها.

ثم اجتمع بعد ذلك ملوك الشام واتفقت كلمتهم على قتال يوشع عليه السلام، خوفاً من اتساع سلطانه، فخرجوا بجنودهم إليه يتقدمهم ملكهم (سميدع بن هزير بن مالك)، فقاتلهم يوشع عليه السلام أشد قتال، حتى قتل ملكهم سميدع، وانهزمت جيوشهم، ودخل يوشع عليه السلام أرض الشام وبسط سلطته عليها، وطار صيته في الآفاق حتى مُلئت القلوب رعباً منه عليه السلام.

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل عابد مستجاب الدعوة، يقال له (بلعم بن باعور) وكان على دين موسى عليه السلام وكان أهل قريته كفاراً، فاجتمع إليه من بقي من الجبارين وسألوه أن يدعو ربه في دفع جنود بني إسرائيل عنهم، وألحوا عليه في ذلك، فأبى بلعم ذلك وامتنع امتناعاً شديداً قائلاً: كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟، إلى أن يئسوا من إجابته لهم.

وكانت زوجة بلعم امرأة منافقة، فأتوا إليها وأهدوها هدية وسألوها أن تقنع زوجها في طلبهم، فأجابتهم إلى ذلك وأخذت تلح على زوجها وتكثر عليه الخداع حتى وافق على ذلك. وركب حماره يريد جبلاً مشرفاً على بني إسرائيل، ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه إلا قليلاً حتى توقف الحمار عن المسير، فنزل عنه وأخذ يضربه حتى تحرك الحمار، فركب عليه وسار قليلاً ثم توقف الحمار مجدداً، وأعاد ضربه كما في المرة الأولى وبقسوة، عندها تحرك الحمار فركبه وسار قليلاً ثم توقف عن المسير، فنزل عنه بلعم وأخذ يضربه بشدة إلى أن قتله. وعلى الرغم من أن بلعم هذا كان من أتباع موسى عليه السلام ومن

الزهاد والعبّاد، فإنه لم يلتفت إلى الحكمة من وراء التوقف المتكرر للحمار.

واستمر بالسير على قدميه صعوداً على الجبل حتى أصبح مشرفاً على بني إسرائيل، فلما وقف وهمّ بالدعاء عليهم لم يتمكن من ذلك وانعقد لسانه، وكرر المحاولة عدة مرات ولم ينجح بل اندلع لسانه من فمه على صدره، عندها أيقن بالخيبة وبأنه خسر الدنيا والآخرة، وجاء خبر بلعم هذا في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾[1]. ثم إن بلعم بعد خيبته في دعائه ويقينه بانسلاخ وذهاب الإيمان منه، تحول إلى شيطان إنسي، حيث أنه أشار على زواره من الجبارين بأن يرسلوا النساء إلى بني إسرائيل لغوايتهم وممارسة الرذيلة معهم، وذلك من أجل طردهم من رحمة الله وتشتيت جمعهم، وتمزيق وحدتهم حتى يسهل القضاء عليهم، وبالفعل قاموا بإرسال النساء اللواتي مارسن الزنى مع العديد من بني إسرائيل، فأوحى الله تعالى إلى يوشع عليه السلام أنه سبحانه سيسلط عليهم الطاعون الذي حلّ عليهم وقضى على ألوف منهم في ساعات قليلة. وبعد القضاء على أتباع الرذيلة الشيطانية ارتفع عنهم الطاعون، وسار يوشع عليه السلام بالمؤمنين من بني إسرائيل إلى مدائن الشام وفتحها مدينة تلو الأخرى، إلى أن توفاه الله

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 175 - 176.

تعالى، وكان يوشع عليه السلام قبل ذلك قد استخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمره الشريف يوم وفاته 126 سنة. وقام كالب عليه السلام بعده يعلم الناس أحكام الله تعالى ويبلغهم أوامره، إلى أن قبضه تعالى إليه، وقام بالأمر من بعده النبي حزقيل عليه السلام [1].

أين دفن النبي يوشع بن نون عليه السلام ؟

هناك العديد من الأماكن التي تنسب إلى النبي يوشع عليه السلام، سأذكرها بشكل متتالي بحسب الوثاقة التاريخية العلمية، وهي:

1 - العهد القديم أو (التوراة) من أقدم النصوص التي تحدثت عن مكان دفن يوشع بن نون عليه السلام وذلك في سفر يشوع الإصحاح 24 الفقرة 29، والتي جاء فيها أنه عليه السلام دفن في تمنة حارس على جبل أفرايم، وبحسب موقع سان تكلا فإنه من المرجح أن تكون هي قرية تبنة القريبة من مدينة اللد في فلسطين.

(1) إن المصادر والمراجع التي استقينا منها معلومات هذا البحث هي أكثر من أن تحصى أو تذكر في هامش المقالة، لذلك سنورد بعض أسماء المصادر أو المراجع على سبيل المثال وليس الحصر: تاريخ الطبري، الجزء الأول، تاريخ ابن الأثير، الجزء الأول، البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الأول، تواريخ الأنبياء للواساني، معجم البلدان لياقوت الحموي، طبقات الأنبياء للدكتور عراف، الجزء الثاني، الكتاب المقدس العهد القديم، قصص الأنبياء لنعمة الله الجزائري، مسالك الأبصار الجزء الأول، لابن فضل الله العمري، سفر نامه لناصر خسرو علوي، الأنس الجليل الجزء الأول، لمجير الدين الحنبلي... وغيرها الكثير، كما أن هذه المصادر والمراجع ذكرت بالتفصيل معنا سابقاً، بالإضافة إلى العديد من كتب التفسير القرآني.

2 - ناصر خسرو في كتابه (سفرنامه) يقول: إن قبر يوشع بن نون عليه السلام موجود في الرواق بالجانب الشرقي في مسجد الياسمين في طبرية بفلسطين، وأن تحت ساحة المسجد قبور سبعين نبياً قتلهم بنو إسرائيل.

3 - ينقل الدكتور شكري عراف في كتاب (طبقات الأنبياء) عن الكتاب العبري (قبور الآباء) أن قبر يوشع عليه السلام هو في منطقة كفل حارس في فلسطين كما ذكر هيروتيموس.

وهذا ما ذهب إليه النابلسي في كتابه (الحضرة الأنسية) لاحقاً.

4 - ما نقله مصطفى مراد الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين) عن صاحب كتاب (خطط جبل عامل) أن قبر ومقام النبي يوشع عليه السلام هو في القرية التي تحمل اسمه والقريبة من قرية الحولة في جبل عامل والتي تقع في منطقة الجليل الأعلى، وقرية النبي يوشع عليه السلام هي إحدى القرى السبع المحتلة من قبل الصهاينة، والست الباقية من هذه القرى هي: تربيخا، وصلحا، والمالكية، وقدس، وهونين، وآبل القمح.

كما أنه ذكر أن أول من بنى على القبر قبة هو الشيخ ناصيف نصار، كما أنه تحدث عن الاحتفالات الدينية التي كانت تجري موسمياً في النصف من شعبان، حيث كانت تجتمع الحشود من كافة المناطق الفلسطينية والعاملية لإحياء هذه المناسبة عند المقام ومحيطه.

5 - ما ذهب إليه الهروي في كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) أن مقام النبي يوشع عليه السلام هو في قرية (عورتا) التي تقع على طريق

القدس من نابلس في فلسطين، وهذا ما تبناه ياقوت الحموي في (معجم البلدان) أيضاً.

6 - مقام وضريح النبي يوشع بن نون عليه السلام في مدينة السلط في الأردن، وهذا المقام حديث ليس له عراقة تاريخية، إلا أن الهروي في (الإشارات) تحدث عن مقام ليوشع في قرية (صرفة) من أعمال (مآب) والتي هي الأردن حالياً.

7 - ما ذكرته جمعية (قبس) اللبنانية والتي تعنى بحفظ الآثار الدينية، عن وجود مقام ليوشع بن نون عليه السلام في قرية (رسم الحدث) البقاعية، والقريبة من قرية (شعث)، وهذا المقام ليس له عراقة علمية تاريخية كحال المقام الموجود في الأردن.

8 - المسجد المهجور في منطقة صفد في فلسطين والذي يحمل اسم يوشع عليه السلام.

وبناء على كل ما تقدم، فإن القطع بصحة مقام دون الآخر هو نوع من الافتراء العلمي بمعنى الترجيح بلا مرجح، وإن كان الحل هو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنما الأعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى، وعليه تكون الزيارة إلى أي مقام يحمل اسم النبي يوشع عليه السلام هي زيارة محبة واحترام لهذا النبي الكريم، بغضّ النظر عن صحة وجوده في الضريح أم لا، فالنية هنا زيارة النبي يوشع عليه السلام لا غيره.

وبالختام أتوجه بالسلام إلى نبي الله يوشع بن نون عليه السلام أينما كان مقامه الشريف، وبالقول: اللهم صل على محمد وآل محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في العالمين إنك سميع مجيب.

صورة قديمة لمقام النبي يوشع عليه السلام
المهمل وللأسف الشديد

صورة أخرى تظهر الخراب
والاهمال للمقام الشريف

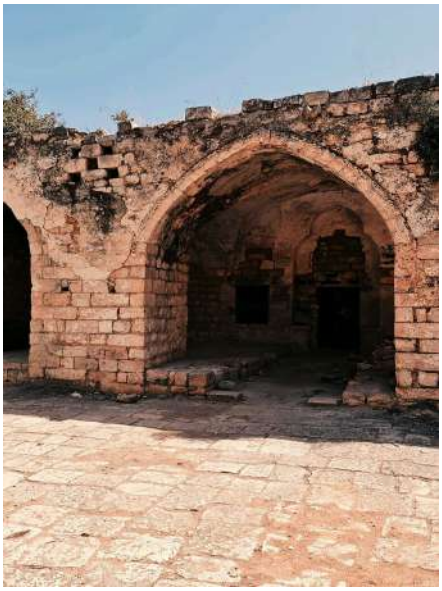

صورة لمدخل المقام

صورة لمدخل الرواق

صورة من الداخل للمقام

صورة لقبة المقام

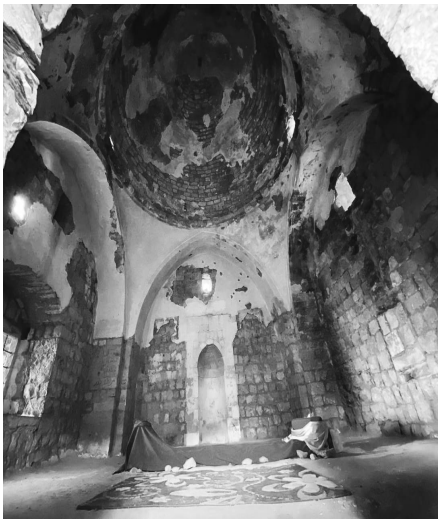

صورة لقبة المقام
ويبدو تحتها الضريح الشريف قبل كسوته

صورة لضريح النبي يوشع عليه السلام
بعد تجديده مع الغرفة الموجود فيها

نبي الله حزقيل عليه السلام

وهو عليه السلام ثالث الأنبياء بعد موسى عليه السلام في بني إسرائيل، وكان أولهم يوشع بن نون عليه السلام، وثانيهم كالب بن يوفنا عليه السلام، وثالثهم حزقيل بن نوري (أبو بوذي) عليه السلام.

وكان يقال لحزقيل عليه السلام ابن العجوز، لأن أمه كانت عقيماً إلى أن كبرت وصارت عجوزاً، فتوسلت إلى الله تعالى وسألته ولداً، فأجابها الله تعالى إلى ذلك ورزقها حزقيل عليه السلام وعندما كبر حزقيل عليه السلام منحه الله سبحانه نعمة النبوة، وجعله خليفة في بني إسرائيل، يدعوهم إلى الله تعالى، وقائماً بأمرهم.

وأشار القرآن الكريم إلى هذا النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

وبحسب كتب التفاسير فإن حزقيل عليه السلام خرج في بعض أسفاره إلى ناحية من نواحي الشام، فمرّ في طريقه على مدينة من مدائنها كانت

(1) سورة البقرة، الآية: 243.

خربة وفيها عظام كثيرة بالية، فعلم أنهم ماتوا دفعة واحدة، وإلا لدفن أحياؤهم أمواتهم.

وقد جاء في قصتهم أنهم كانوا حوالى 70 ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كل سنة، فكانوا إذا أحسوا به خرجوا من المدينة هرباً من الموت، وحدث أنهم خرجوا ذات مرة بأجمعهم، وساروا إلى أن انتهوا إلى مدينة خربة قد جلا عنها أهلها، فنزلوا بها، ولما حطوا فيها رحالهم واطمأنوا، نزل بهم أمر الله تعالى فماتوا كلهم بأجمعهم في ساعة واحدة ولم يبق منهم متنفس، وبقيت جثثهم على الأرض إلى أن صارت رميماً، وكانت على قارعة الطريق، فكنسهم المارة عن الطريق وجمعوهم في موضع، وبقوا كذلك مدة 60 سنة، إلى أن مرّ بهم حزقيل عليه السلام.

ولما رأى حزقيل عليه السلام عظامهم بكى واستعبر، ثم أقبل على ربه تعالى يناجيه قائلاً: يا رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم، فعمروا بلادك وولدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله تعالى إليه: أفتحب ذلك؟ قال: نعم رب، فأوحى الله تعالى إليه أن يناديهم باسمه الأعظم، فناداهم حزقيل عليه السلام وقال: أيتها العظام البالية، قومي بإذن الله عز وجل، فلم يتم حزقيل عليه السلام كلامه حتى رأى العظام البالية يطير بعضها إلى بعض وتتركب الأجزاء بقدرة الله تعالى، ونبت عليها اللحم إلى أن صاروا أحياء، وقاموا من مواضعهم ينظر بعضهم إلى بعض، ويسبحون الله تعالى ويكبرونه، فدهش حزقيل عليه السلام عجباً، وقال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وعاش هؤلاء بعد ذلك دهراً طويلاً.

ثم إن حزقيل عليه السلام لما انتهت أيامه، أوصى إلى ابنه إسماعيل عليه السلام الذي ذكره الله تعالى مادحاً له في قوله عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[1]، وهو غير إسماعيل الذبيح ابن إبراهيم الخليل عليه السلام، فإن إسماعيل الذبيح عليه السلام أسبق من هذا النبي الكريم ومات قبله بكثير[2].

وعلى كل حال، فإن النبي حزقيل عليه السلام توفى ودفن في بيت المقدس، وهناك عدة آراء حول مكان دفنه الشريف:

1 - أنه دفن في الشمال الغربي لمدينة القدس خلف مقام النبي داوود عليه السلام حالياً[3].

2 - أنه في قرية الرامة قضاء جنين في فلسطين[4].

3 - أنه عليه السلام في البقاع اللبناني غربي كرك نوح، وبقربه قبر شيبان الراعي[5].

والذي نستقربه بحسب ما مرّ معنا، أنه عليه السلام في بيت المقدس بجوار النبي داوود عليه السلام، والله تعالى أعلم.

---

(1) سورة مريم، الآية: 54.

(2) للتوسع أنظر مثلاً: المؤتلف والمختلف في التفسير، أحمد قيس، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص50 وما بعدها. وأيضاً: تاريخ الطبري، وابن الأثير، وابن كثير في البداية والنهاية، وتواريخ الأنبياء للواساني، وغيرهم.

(3) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الأيام 2، فقرة 32 و33.

(4) طبقات الأنبياء، ص103.

(5) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، ص268.

صورة لمسجد مقام نبي الله حزقيل عليه السلام

صورة لمدخل المقام

صورة أخرى لمدخل المقام

صورة أخرى لمدخل المقام

صورة اوضح لمدخل المقام

جدارية على مدخل المقام

الضريح الشريف لنبي الله حزقيل عليه السلام

نبي الله إلياس عليه السلام

بعد وفاة نبي الله حزقيل عليه السلام كثرت الأحداث في بني إسرائيل، إذ تركوا عبادة الله وعهده وعبدوا الأوثان، لا سيما ذلك الصنم المسمى (بعل)، والذي عبده بنو إسرائيل في أرض بعلبك حالياً، والتي تقع في البقاع اللبناني، أو السهل البقاعي لبلاد الشام قديماً.

فبعث الله إليهم نبيه (إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هارون عليه السلام)، وكان الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام يبعثون لأجل إعادة إحياء المفاهيم التوراتية أو الشريعة الموسوية بينهم.

وكان الياس في بني إسرائيل من أعبد عبّادهم لله سبحانه، فبعثه الله تعالى نبياً إليهم، في وقت كان عليهم ملك يعبد مع زوجته السيئة صنماً يقال له (بعل)، ولما أتى إلياس عليه السلام إلى الملك وقومه ووعظهم ونصحهم ودعاهم إلى عبادة الله وطاعته سبحانه، كذّبوه وطردوه وأهانوه وهددوه بالقتل، ولكنه عليه السلام صبر على أذاهم واستمر في دعوته، إلا أنهم كانوا لا يزدادون إلا طغياناً وكفراً، إلى أن أوصى الله تعالى إليه أن يخبر الملك وزوجته أنه تعالى سيهلكهما إن لم يتوبا إليه، وسينزل العذاب على قومهما.

ولما أخبرهم إلياس عليه السلام بذلك اشتد غضبهم عليه وهمّوا بقتله وتعذيبه، فهرب عليه السلام منهم إلى جبل بعيد عنهم صعب المرتقى، فصعده واختفى في غار فيه وحيداً سبع سنين يأكل من نبات الأرض وثمار الأشجار القريبة منه، وأخفى الله تعالى مكانه عن القوم، ولم يمكّنهم من ارتقاء ذلك الجبل ووصولهم إلى إلياس عليه السلام بعد علمهم باختفائه فيه.

فلما رأى الياس عليه السلام أن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر والظلم دعا عليهم، فأمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، فهلكت الماشية والطيور والشجر والكثير من الناس، حتى وصلت النوبة إلى داخل قصر الملك وزوجته.

ولإلياس عليه السلام قصة طويلة مع هذا الملك الطاغي وزوجته الباغية، نكتفي منها بالإشارة إلى أنه مرض ولد لهما مرضاً شديداً، فأشار عليهما إلياس عليه السلام أن يدعو الله لشفاء ولدهما، فامتنعا عن ذلك ومات الغلام، فغضبا عليه أشد الغضب وسعيا في قتله، إلا أن الله سبحانه نجاه منهما، وعاد إلياس عليه السلام إلى الجبل.

وبعد وفاة ابن الملك وزوجته واستفحال القحط والجدب في مملكتهما، بعثا إليه برجل صالح ليطلب منه أن يدعو الله ليفرّج عنهما وقومهما، ويبلغه أنهما تابا إلى الله توبة نصوحة، فنزل إلياس عليه السلام إليهم، ودعا لهم بالفرج، فاستجاب الله تعالى لنبيه وأمطرهم وأخصب أرضهم، وأصلح أحوالهم، فانقلبوا وأصبحوا قوماً صالحين.

ولبثوا على ذلك مدة من الزمن، ثم عادوا إلى سيرتهم الأولى من

البغي والبطر وعبادة الأوثان. فسلّط الله سبحانه عليهم ملكاً آخر داهمهم بخيله وقاتلهم ومزقهم شرّ ممزق، ورمى بجثتي الملك وزوجته في بستان كانت الملكة قد اغتصبته من رجل صالح مجاور لقصرها. وكان إلياس عليه السلام بعد أن رأى أنهم عادوا إلى الكفر والبغي والضلال، سأل الله سبحانه أن يقبضه إليه ويريحه منهم.

ومما قيل حول نهاية هذا النبي الصالح عليه السلام إنها اختلفت عن نهاية غيره من الأنبياء، بحيث أن الله رفعه إليه، وأنه كسمّيه الخضر عليه السلام حي أيضاً[1].

هذا وقد خص الله سبحانه هذا الرسول الكريم بالذكر في محكم كتابه بقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[3]، وأخيراً الوسام الإلهي له عليه السلام في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾[4].

وقبل الختام أحب أن أشير إلى مسألة وهي: أن معظم كتب التراث

---

(1) للتوسع أنظر: تاريخ الطبري، الجزء الأول، تاريخ ابن الأثير، الجزء الأول، البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الأول، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، سورة الصافات، قصص الأنبياء، لنعمة الله الجزائري، تواريخ الأنبياء للواساني، وغيرها من الكتب التفسيرية والمصادر التاريخية.

(2) سورة الأنعام، الآية: 85.

(3) سورة الصافات، الآيات: 123 - 126.

(4) سورة الصافات، الآية: 130.

والتفاسير قد ذكرت نهاية وختام حياة نبي الله إلياس عليه السلام بالشكل الذي مرّ معنا، من أنه رفع إلى السماء وأنه حي والله أعلم، إلا أنه ومع ذلك نجد له مقام وضريح في قرية النبي إلياس شرقي مدينة قلقيلية في الضفة الغربية من فلسطين، ويعود تاريخ بناؤه إلى الفترة المملوكية، كما أنه في التراث المسيحي يعرف بالنبي إيليا أو مار الياس الحي، ويقال إنه سيعود ثانية إلى الأرض قبل نزول السيد المسيح عليه السلام [1].

فهل هذا المقام للنبي (أليسع) عليه السلام خليفة النبي إلياس عليه السلام وتلميذه كما يظهر من الأدبيات المسيحية أم غير ذلك؟

وعلى كل حال هذه بعض الصور الفوتوغرافية عن هذا المقام المذكور.

(1) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر ملا خي، الإصحاح الرابع.

صورة لمقام رمزي ومسجد لنبي الله الياس عليه السلام

صورة للمسجد من الخارج

صورة لقبة المسجد من الداخل

صورة لمحراب المسجد

صورة اقرب للمحراب

النبي يونس عليه السلام

وهو عليه السلام يونس بن متى، و(متى) هذه هي والدته وكانت امرأة فاضلة مؤمنة بالله على ملة مومسى عليه السلام . وهو يعرف باسم (يونان) في اليهودية والمسيحية. لهذا فإنه لم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى ابن مريم عليهما السلام ، ويونس بن متى عليهما السلام .

وقد كان من قصته كما ذكر في كتب التاريخ والتفسير، أنه عليه السلام توفى طفلاً، فتوسلت أمه له بالنبي إلياس عليه السلام الذي دعا له، فأحياه الله تعالى برحمة منه، وببركة دعاء نبيه إلياس عليه السلام .

وشبّ وترعرع يونس عليه السلام على طاعة الله في حجر وحضن هذه الأم المؤمنة على سنة موسى عليه السلام وشريعته، وعلى منهج نبي الله إلياس عليه السلام .

فلما بلغ الأربعين من عمره، بعثه الله سبحانه رسولاً إلى قرية من قرى الموصل في العراق يقال لها (نينوى)، كان أهلها من عبدة الأصنام، فبعثه الله إليهم لينهاهم عن هذا السفه والشرك، وليدعوهم إلى طاعة الله وعبادته وتوحيده. فأقام فيهم 33 سنة يدعوهم، فلم يؤمن به غير رجلين، عندها آيس منهم ومن إجابتهم له للإيمان بالله ونبذ

عبادة الأصنام، فدعا عليهم، وقال لهم إن العذاب سيحل بكم بعد ثلاثة أيام، وأن بدايته ستكون بتغيّر ألوانكم.

فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم، فقالوا: قد نزل بكم ما قال يونس ولم نعهده كاذباً، فانظروا أين يونس، لأنه إن كان بيننا لن يحلّ العذاب علينا وهو معنا، أما إذا كان قد غادرنا فاعلموا أن العذاب واقع حتماً علينا، ولما لم يجدوه أيقنوا بالهلاك وحاروا في أمرهم ولم يدروا ما العمل، فألهمهم الله تعالى التوبة، فخرجوا من القرية إلى مكان واسع في الأرض يحملون معهم أولادهم ونساءهم وماشيتهم وكل ما يعولون من بهائم، وأخذوا يتضرعون إلى الله تعالى بأن يرفع العذاب عنهم، فكشف الله برحمته العذاب عنهم وتقبّل توبتهم. في هذه الأثناء كان يونس عليه السلام ينتظر الخبر عن القرية وأهلها، حتى رأى رجلاً آتياً من ناحية القرية، فسأله يونس عليه السلام عن أحوالهم وعن عذاب الله بهم، فأجابه بالقول: إنهم تابوا إلى الله فقبل المولى منهم ذلك وأخّر عنهم العذاب.

عندها غضب يونس عليه السلام، لأنه في هذه الحالة (أي عدم وقوع العذاب بهم)، سيبدو في نظر أهل القرية كأنه كاذب، فخرج من المنطقة وهو بحالة من الغضب وسار حتى ركب سفينة يريد أن يسافر على متنها، وبعدما أبحرت السفينة أصابها عاصف من الريح، وأمواج عاتية، ومن عادة البحارة في هذه الحالة تخفيف حمولة المركب بإلقاء كل ما يمكن إلقاؤه، وبعدما فعلوا ذلك وجدوا أنهم يحتاجون إلى تخفيف الحمولة بمقدار وزن رجل واحد، فأجروا القرعة في ما بينهم

وخرج سهم يونس عليه السلام، عندها ألقوه في الماء فابتلعه الحوت وسكنت الرياح وهدأت العاصفة.

وأوحى الله إلى الحوت أن يلتقمه ولا يخدش له لحماً ولا يكسر له عظماً، فأخذه الحوت وعاد إلى مسكنه في البحر، عندها أيقن يونس عليه السلام أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فأخذ يسبّح المولى عز وجل ويستغفره وهو في الظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة عمق المياه في البحر، وظلمة الليل، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1]، وبقي على هذه الحالة من الاستغفار والتسبيح لمدة من الزمن أقلها ثلاثة أيام حتى أدركته الرحمة الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، أو كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[3]، عندها أمر المولى عز وجل الحوت أن يلقيه على الشاطئ، فألقاه وهو بحالة من الضعف الشديد، بالإضافة إلى تضرر جلده وتقرحه نتيجة لوجوده في بطن الحوت والمياه المالحة طوال هذ المدة كما في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[4]، وبما أن الله سبحانه هو الشافي

(1) سورة الأنبياء، الآية: 87.
(2) سورة الأنبياء، الآية: 88.
(3) سورة الصافات، الآيتان: 143 - 144.
(4) سورة الصافات، الآية: 145.

والمعافي قال: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾[1] لتكون له غذاء ودواء.

وهذا الأمر أي (اليقطين) استوقفني كثيراً، فراجعت في تركيبه وخصائصه فوجدته من أغنى المركبات بالفيتامينات التي يحتاجها الجلد البشري للنمو، كما أنه يحتوي على نسبة عالية جداً من المركبات التي تحمي الجلد من الأشعة الشمسية الضارة، بالإضافة إلى أنه غذاء لطيف على المعدة وبارد، كما أنه مشبع بالمياه والرطوبة التي يحتاجها الظمآن ومن هو بحالة يونس عليه السلام.

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

وبعد تماثله للشفاء، أمره الله تعالى أن يأتي قومه فيخبرهم أنه سبحانه قد تاب عليهم. وانطلق يونس عليه السلام إلى قومه، فلما رأوه قبّلوا يديه ورجليه وأدخلوه المدينة معززاً مكرماً، وبقي يدبّر أمرهم مدة أربعين سنة وهم في رغد من العيش برحمة من الله وببركة وجود نبيه يونس عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾[2].

وعلى كل حال، أين توفي ودفن نبي الله يونس عليه السلام؟

هناك العديد من الأماكن التي يقال عنها إنها قبر مقام النبي يونس عليه السلام في العراق ولبنان وفلسطين، على الشكل التالي:

(1) سورة الصافات الآية 146.
(2) سورة يونس، الآية: 98.

العراق:

نظراً لارتباط دعوة النبي يونس عليه السلام بمنطقة نينوى قرب الموصل في العراق، فإننا نجد له ثلاثة مقامات هناك:

الأول: هو أشهرهم والذي يعرف بجامع النبي يونس في الموصل، وقد حظي هذا المسجد بهذه الشهرة بسبب أن ابن بطوطة قد ذكر تلة النبي يونس قرب المسجد حيث يعتقد وجود مقام له هناك، وللأسف فقد تم تدمير هذا المسجد وما فيه من قبل العصابات الإرهابية بحجة عدم جواز بناء مسجد فيه مقام أو ضريح وذلك في العام 2014.

الثاني: وهو في نينوى إلى الشرق من الموصل، وليس له ذكر في كتب الرحالة.

الثالث: في منطقة النخيل والتي تقع ضمن محافظة الكوفة حالياً، وأيضاً فإن هذا المكان لم يرد ذكره في الكتب والسير بحسب اطلاعنا والله أعلم.

لبنان:

مع أن حركة ا لنبي يونس عليه السلام كانت إلى حدٍ ما داخل العراق لا سيما الموصل، فإن أهالي منطقة (الجية) في لبنان يعتقدون بأن الحوت قد لفظ ونبذ النبي يونس عليه السلام على شاطئهم، لذا فإنهم يعتقدون بأن النبي يونس عليه السلام دفن لاحقاً في داخل المسجد الحالي والذي كان في غابر الزمان بحسب بعض التحقيقات كنيسة بيزنطية تم تحويلها إلى مسجد في عهد المماليك، هذا مع العلم بأن الرحالة ناصر خسرو

علوي في كتابه (سفرنامة) والذي دوّن فيه مشاهداته لكل الأماكن والبلاد التي زارها، ما بين العام (437 هـ - 1045م) والعام (444هـ 1052م) لا سيما الساحل الشامي من طرابلس إلى عكا مروراً بجبيل وبيروت وصيدا وصور، فإنه لم يذكر مسجداً أو مقاماً في منطقة الجية والتي تقع قبل صيدا وعلى الشاطئ الساحلي الجنوبي في لبنان. وعلى العكس من ذلك فإنه قد ذكر مقام النبي يونس في قرية (كفركنه) في فلسطين.

فلسطين:

في فلسطين تتشعب الأقوال وتنحصر إلى قولين يمكن التعويل عليهما بنسبة ما وهي:

1 - حلحول، وهي قرية تقع على الطريق الواصل من كفل حارس إلى الخليل، وهذا القول له شهرة كبيرة حيث ذهب إلى ذلك كل من: الهروي في كتابه الإشارات، وابن العمري في كتابه مسالك الأمصار، ومجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل، وعبد الغني النابلسي في كتابه الحضرة الأنسية، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة.

2 - كفركنه، وهي على الطريق الشمالي لمدينة الناصرة وتلقب بعروس الجليل، وكان أول من ذكر وجود مقام للنبي يونس عليه السلام فيها هو ناصر خسرو علي في كتابه سفرنامه، ثم الهروي في كتابه الإشارات وقال بوجود قبر ابن النبي يونس بجواره، وياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان حيث يقول: وبكفركنا مقام النبي يونس عليه السلام وقبر أبيه،

هذا بالإضافة إلى العديد من المراجع الحديثة، لا سيما كتاب طبقات الأنبياء للدكتور شكري عراف.

ومهما يكن الحال فإن الأمر يكاد ينحصر في هذين المكانين والله أعلم[1].

فالصلاة والسلام على نبينا محمد وآل بيته الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما نبي الله يونس عليه السلام.

(1) للتوسع أنظر مثلاً: تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، البداية والنهاية لابن كثير، تفسير الميزان للطباطبائي سورة الأنبياء والصافات، تواريخ الأنبياء للواساني، قصص الأنبياء للجزائري، سفرنامه لناصر خسرو، والإشارات للهروي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومسالك الأمصار للعمري، والأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي، وطبقات الأنبياء لشكري عراف، وغيرها الكثير.

صورة لمسجد ومقام النبي يونس عليه السلام
في منطقة الجية في لبنان

صورة لمدخل ومسجد المقام

صورة لباحة المسجد الخارجية

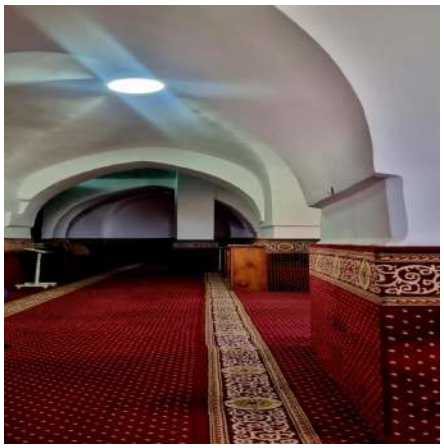

صورة الرواق الداخلي للمسجد في الجية

صورة لمحراب المسجد في الجية

صورة لمقام النبي يونس عليه السلام في كفركنّه

صورة أخرى خارجية للمقام في كفركنّه

صورة الضريح الشريف في كفركنّه

صورة للضريح الشريف بشكل مباشر

صورة لمدخل المقام في حلحول

صورة الضريح الشريف في حلحول

نبي الله ذو الكفل عليه السلام

يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[1].

وهو عليه السلام: (عويديا بن أدريم) ولقبه ذو الكفل لحادثة جرت معه وستمر معنا.

وقد اختلف المفسرون وأصحاب التراجم والسير في اسم هذا النبي الكريم ونسبه، كما في نبوّته وزمن بعثته ولقبه وسبب تلقّبه به، ونحن لا يعنينا في هذا البحث مناقشة هذه الاختلافات، لأنه ومع احترامنا لمن أطنب فيها، فإن ذلك لا يغني ولا يسمن من جوع، لأنه عليه السلام يكفيه شرفاً أن الله قد ذكره في محكم كتابه مع أنبيائه الذين أثنى ربّ العزة عليهم بقوله تعالى: ﴿وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

ونقل الجزائري عن قصص الأنبياء للراوندي بالسند المتصل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن ذا الكفل كان رجلاً من حضرموت واسمه عويديا بن أديم[2].

(1) سورة ص، الآية: 48.

(2) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، نعمة الله الجزائري، دار حبيب، قم، ص481.

وعن الشاه عبد العظيم الحسني رضي الله عنه قال: كتبت إلى محمد بن علي (الجواد) عليه السلام عن ذي الكفل ما اسمه وهل كان من المرسلين؟ فكتب عليه السلام: بعث الله تعالى 124 ألف نبي، المرسلون منهم 313، وإن ذا الكفل منهم عليه السلام وكان بعد سليمان عليه السلام، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داوود عليه السلام، ولم يغضب إلا لله عز وجل، وكان اسمه عويديا[1].

وقال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن الكريم العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور[2].

وينقل الفخر الرازي في تفسيره عن الإمام علي عليه السلام وابن عباس رضي الله عنه السبب من وراء تسميته بذي الكفل: إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل آتاه الله الملك والنبوة ثم أوحى إليه أني أريد قبض روحك، فأعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل حتى يصبح ويصوم بالنهار فلا يفطر، ويقضي بين الناس فلا يغضب فادفع ملكك إليه، فقام ذلك النبي في بني إسرائيل وأخبرهم بذلك والأرجح أنه النبي إليا عليه السلام خليفة النبي أليسع عليه السلام، فقام شاب وقال: أنا أتكفل لك بهذا. وأعاد هذا النبي قوله مرة ثانية وثالثة وفي كل مرة كان هذا الشاب هو من يقوم ويقول: أنا أتكفل لك بهذا، عندها دفع هذا

(1) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، ص482.
(2) البداية والنهاية، ج1، ص267.

النبي لهذا الشاب ملكه وجعله خليفته، ولاحقاً التزم هذا الشاب بقوله وأوفى بما ضمن لذا سمي بذي الكفل عليه السلام [1].

وحول كونه نبياً عليه السلام يقول الرازي: إنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس والغرض ذكر الفضلاء من عباده ليتأسى بهم وذلك يدل على نبوته، كما أن السورة ملقبة بسورة الأنبياء فكل من ذكره الله تعالى فيها فهو نبي[2].

وذكر هذه الرواية التي نقلها الرازي في تفسيره، العلامة الطبرسي في تفسيره أيضاً وأضاف عليها قوله: وسمي ذو الكفل، بمعنى أنه ذو الضعف، فلثه ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله[3].

أما الشيخ مغنية فيقول: أما ذو الكفل فقال الأكثرون: إنه نبي، وقال جماعة: إنه عبد صالح وليس نبي، ونحن نؤمن بأنه من الصابرين الصالحين تبعاً لنص القرآن، ولسنا بمسؤولين عن غير ذلك[4].

وهذه اللطافة من الشيخ مغنية في هذا المورد تسلط الضوء على تهافت العديد من المطولات والإطنابات التي لا طائل تحتها، والتي تضيّع العمر والوقت وتحرق الأعصاب وتقتل لذة البحث والمطالعة.

وعلى كل حال فإن هذا النبي الكريم عليه السلام قد حظي بثناء الله

(1) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج8، ص177.
(2) التفسير الكبير، ص177.
(3) مجمع البيان، العلامة الطبرسي، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج4، ص60.
(4) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ج5، ص295.

عليه، وورد ذكره في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وعلى ألسنة الصحابة والتابعين والعلماء وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وعاش هذا النبي الكريم حتى بلغ الخامسة والتسعين من العمر، وكانت وفاته في الشام حيث كان يدعو إلى الله تعالى.

وحول مكان دفنه ومقامه الشريف عدة آراء وأقوال وهي:

1 - أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في قرية كفل حارس في فلسطين، حيث أن القرية أخذت اسمها من ذي الكفل المدفون فيها، وهذا ما يذهب إليه (الدباغ) المؤرخ[1]، أما ناصر خسرو علوي فإنه يقول بأنه زار المشهد المعروف لذي الكفل في قرية تدعى دامون بعد خروجه من عكا بمدة[2].

2 - ما ذهب إليه محمد كرد علي[3] واللواساني[4] من أن قبر ذي الكفل موجود في الشام وتحديداً في سفح جبل قاسيون.

3 - أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مدفون في قرية (الكفل) في العراق، وأن هذه القرية أخذت اسمها من وجود قبر ومقام النبي (ذو الكفل)، وخاصة مع وجود نصوص منقوشة باللغة العبرية على الحائط وتحت القبة، كما يعتقد بأن هذا المقام هو للنبي حزقيل عند يهود العراق القدامى، وعند

(1) بلادنا فلسطين، مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت، 1965م، ص65 وما بعدها.
(2) سفرنامه، مصدر مذكور، ص62.
(3) خطط الشام، مصدر مذكور، ج6، ص153.
(4) تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص287.

المسلمين يعتقدون بأنه لذي الكفل[1]. ومهما كان الحال فإنني لم أعثر على ذكر لهذا المكان بحسب اطلاعي ومراجعتي للأمر. والله تعالى أعلم. فالسلام على نبي الله ذي الكفل ورحمة الله وبركاته.

(1) موقع ويكيبيديا، قبر حزقيال (ذو الكفل).

صورة لمقام النبي ذي الكفل عليه السلام في منطقة كفل حارس في محافظة سلفيت

صورة لمدخل المقام الشريف

صورة للوحة على مدخل المقام الشريف

صورة الضريح الشريف وتبدو عليه الكتابات العبرية

نبي الله صموئيل عليه السلام

وهو عليه السلام أشمويل بن بالي، ومعنى أشمويل: أي سمع الله دعائي.

هكذا ورد اسمه عليه السلام في الأدبيات الإسلامية، أما اسم (صموئيل) فإنه ورد في الكتاب المقدس العهد القديم في سفري صموئيل الأول وصموئيل الثاني، كما أنه نال من الاهتمام لدى اليهود الشيء الكثير لارتباطه بمسألة النبي داوود عليه السلام لاحقاً.

وملخص أحواله عليه السلام، أن بني إسرائيل بعد يوشع عليه السلام كانوا قد أكثروا الدعاء إلى الله سبحانه والتوسل إليه أن يرسل لهم نبياً ليجمع شمل بني إسرائيل بعدما لقوا من البلاء والعذاب، وذلك كان بسبب أن الأعداء قد أحاطوا بهم وأنزلوا بهم الهزائم الكثيرة والمتتالية، وسبب ذلك أيضاً أن بني إسرائيل كانوا ينسون نعم الله عليهم، فيتمادون في غيّهم ويبتعدون عن الأوامر والنواهي الإلهية، فيرسل الله تعالى عليهم من ينتقم منهم ويتسلط عليهم، فإذا رجعوا إلى التوبة والصراط المستقيم كفاهم الله شرّ أعدائهم.

وكان آخر هؤلاء الأعداء «جالوت» ملك الكنعانيين، وكان ملكه

قريباً منهم لأنه كان مجاوراً لفلسطين، فغزاهم وظفر بهم، وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة أي النصوص المدونة في معابدهم، فأخذوا يدعون الله سبحانه أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه وتحت رايته.

ولما كان سبط النبوة من ذرية هارون عليه السلام قد ماتوا ولم يبق منهم إلا امرأة عجوز عاقر، وكانت هذه المرأة منكسرة القلب لعدم إنجابها، في حين أن امرأة زوجها الثانية كانت قد أنجبت له الكثير من الأولاد، فأخذت هذه العجوز تدعو ربّها سبحانه أن يرزقها ولداً كما رزق سارة عليها السلام زوجة إبراهيم عليه السلام. فاستجاب الله تعالى لها وحملت من زوجها على كبر سنها، ولما عرف بنو إسرائيل بالأمر حبسوها في منزلها بحجة الحرص عليها وعلى وليدها لأنها الوحيدة المتبقية من ذرية هارون عليه السلام.

ولما وضعت حملها استبشروا به خيراً لأن وليدها كان صبياً، وقرت عين أمه به وسمته (أشمويل) بمعنى سمع الله دعائي.

ولما كبر وترعرع أشمويل عليه السلام ألحقته والدته المؤمنة بأحد العلماء الذي اهتم به وعلّمه التوراة، ولما بلغ مبلغ الرجال عليه السلام وهو على أكمل ما يكون خلقاً وتقوى، اختاره الله تعالى ليكون نبياً على قومه، وأمره سبحانه بإنذار بني إسرائيل أن لا ينكثوا بعهدهم مع الله مجدداً على عادتهم، وبالفعل صدّقوه ولكن لم يطيعوه في بداية الأمر، حتى اضطرتهم مظالم (جالوت) وجنوده إلى أن يعودوا إلى أشمويل ويظهروا الندامة والطاعة له.

ثم إن بني إسرائيل لما استفحل فيهم ظلم جالوت وجنوده، توسلوا

بأشمويل عليه السلام إلى الله أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه جنود جالوت وينتقمون منهم، فسألهم أشمويل عليه السلام إن كانوا سيلتزمون بعهدهم مع الله إن كتب عليهم الحرب؟ فأجابوه بأنهم سيلتزمون وسيجاهدون.

فدعا أشمويل عليه السلام ربه تعالى في ذلك، فأجابه الله سبحانه وعين له مواصفات هذا الملك. فأخذ أشمويل عليه السلام يبحث في بني إسرائيل عن مواصفات هذا الملك، ولم يجد بينهم أحداً ممن تنطبق عليه هذه المواصفات، حتى لحظة دخول عبد صالح من بني إسرائيل على مجمعهم يدعى (طالوت) ولم يكن طالوت من ذرية لاوي بل من ذرية بنيامين أخي يوسف عليه السلام، وكان طالوت عبداً صالحاً مؤمناً بالله ومطلعاً على الشريعة وعارفاً بها، وكان يمتهن سقاية الماء ويرتزق من خلالها، وكان يتمتع بمواصفات بدنية قوية وذكاء ومعرفة علمية، إلا أن بني إسرائيل رفضوا أن يترأس عليهم طالوت لأنه ليس من سبط النبوة، ولأنه فقير وليس من وجهائهم أو زعمائهم. فأخذ أشمويل عليه السلام يعظهم ويخبرهم أن الله اختاره لذلك، لشرفه وفضله وتميزه عن غيره في العلم والجسم، وأن عليهم أن يطيعوا أمر الله سبحانه، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، فلم يقنعهم كلامه، إلى أن قالوا له: إن كنت صادقاً في ذلك فأتنا بآية، فقال أشمويل لهم: إن آية ملكه أن يعود إليكم تابوت السكينة[1]، فوافقوا على ذلك. فتوجه أشمويل بالدعاء

(1) حول موضوع تابوت السكينة: فإن الأقوال فيه تعددت، والذي يهمنا معرفته أنه عبارة عن صندوق كان يحتوي على عصا موسى عليه السلام وعلى الألواح الصخرية التي نقشت فيها أحكام الشريعة بالإضافة إلى بعض متعلقات موسى وهارون عليهما السلام، وكان هذا التابوت قد رفع من بينهم في مرحلة سابقة من مراحل عصيانهم.

إلى الله سبحانه بذلك، فأنزل الله تعالى هذا التابوت من السماء إلى طالوت وهم ينظرون ويشاهدون هذه الآية والحجة الإضافية عليهم. عندها أقر بنو إسرائيل بملك طالوت مرغمين واتبعوه مكرهين، وهذه الأحداث ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[1].

ثم إنهم لما رأوا التابوت نزل على طالوت، ووثقوا من نبيهم أشمويل عليه السلام ومن ملكهم طالوت، أيقنوا بالنصر، فاجتمعوا حول طالوت بأعداد غفيرة واستعدوا لقتال جالوت.

ثم أوصى الله تعالى إلى أشمويل عليه السلام أن جالوت لن يقتل إلا بيد محارب قوي يوافق جسمه درع موسى عليه السلام، وهو رجل من ولد لاوي

(1) سورة البقرة، الآيات: 246 - 248.

بن يعقوب، ومن أبناء رجل يدعى (آشي)، وأخبر أشمويل بذلك طالوت، الذي بدوره أرسل خلف (آشي) وطلب منه إحضار أولاده معه، وبعدما حضروا بأجمعهم عند طالوت طلب منهم محاولة ارتداء درع موسى عليه السلام، فلم يناسب أحداً من أولاد آشي سوى أصغرهم وهو داوود عليه السلام.

ثم استعد طالوت بجنوده لقتال جالوت، وكان في طريقهم بين فلسطين والأردن نهر ماء، فنهاهم طالوت عن شرب ماءه امتحاناً لهم قبل مقابلة العدو، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وجاءت نتيجة هذا الامتحان عند التقاء جيش طالوت بجيش جالوت، فالذين شربوا من النهر عصوا أمر طالوت فزعوا من جنود جالوت، وجبنوا عن قتال العدو وقالوا: لا طاقة لنا بهم، كما مرّ معنا في الآية المباركة، أما الذين أطاعوا الله وملكهم طالوت كان جوابهم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وأيضاً كما مرّ في الآية المباركة، وهذا اليقين من هذه الثلة المؤمنة تجلى في دعائهم كما في

(1) سورة البقرة، الآية: 249.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، وبعدما انعزل العصاة من بني إسرائيل وبقي مع طالوت مجموعة قليلة من المؤمنين، تقدم من بينهم داوود عليه السلام ووقف في مقابل جالوت، ثم رماه بحجر من مقلاعه فأصاب رأسه فقتله من فوره، عندها دخل الرعب قلوب جنود جالوت وانهزموا هاربين كما في قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[2]، ولم يكن داوود عليه السلام نبياً يوم قتل جالوت.

ولما قتل جالوت وصفا الملك لطالوت وبني إسرائيل، أقام عنده داوود عليه السلام معززاً مكرماً، وزوجه ابنته، ومال بنو إسرائيل إلى داوود عليه السلام وأحبوه، إلى أن توفى طالوت، فاجتمعت إليه أي داوود عليه السلام بنو إسرائيل تبايعه بالملك كما سيأتي في الحديث عن داوود عليه السلام [3].

وبحسب الكتاب المقدس العهد القديم فإن صموئيل أو أشمويل عليه السلام توفى بعد هذه الأحداث ودفن في بيته في جبل (الرامة)[4].

(1) سورة البقرة، الآية: 250.
(2) سورة البقرة، الآية: 251.
(3) للتوسع حول هذا الأمر، أنظر: تاريخ الطبري، الجزء الأول، تاريخ ابن الأثير الجزء الأول، طبقات الأنبياء، الجزء الثاني، تواريخ الأنبياء، قصص الأنبياء للراوندي، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، المؤتلف والمختلف في التفسير الجزء الثاني، التفسير الكبير للرازي الجزء الثاني وغيرهم.
(4) الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول، الإصحاح 25.

كما أن طالوت ورد اسمه في العهد القديم باسم شاول بن قيس من سبط بنيامين أول ملوك إسرائيل.

وعلى كل حال، فإنه لا خلاف على مكان دفن نبي الله أشمويل أو صموئيل عليه السلام، من أنه في جبل الرامة إلى جوار أمه (حنة)[1].

وهذا ما ذهب إليه الحموي في معجمه أيضاً[2].

(1) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ص107.

(2) معجم البلدان، مصدر مذكور.

صورة لمقام النبي صموئيل عليه السلام من الخارج

صورة أيضاً للمقام من الخارج

صورة أخرى لمقام نبي الله صموئيل من الخارج

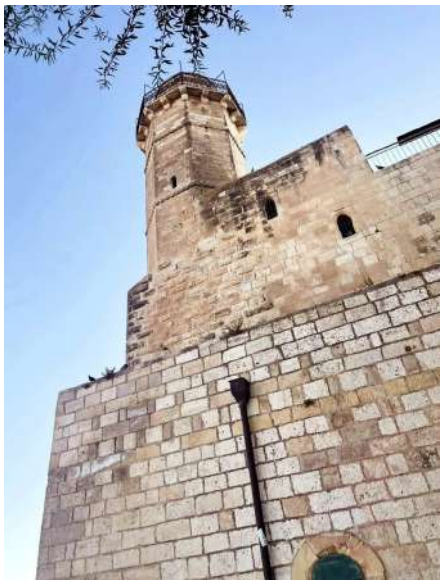

صورة لمئذنة المسجد والمقام من الخارج

صورة لمدخل المقام الشريف

صورة لباحة المسجد والمقام من الداخل

صورة للضريح الشريف عن بعد

صورة اقرب للضريح الشريف

صورة للباحة الداخلية
التي تم تحويلها إلى كنيس يهودي

صورة للضريح الشريف بعد كسوته على
الطريقة اليهودية وتبدو علية الكتابات العبرية

صورة من داخل الكنيس اليهودي

نبي الله داود عليه السلام

هو داود بن إيشا من ذرية يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام .

وهو عليه السلام من الأنبياء الذين حاربوا في سبيل دينهم بالسيف، كما أنه عليه السلام كان من الأنبياء الذين جمعت لهم النبوة مع الملك كما يوسف عليه السلام ، بالإضافة إلى أنه عليه السلام هو والد النبي سليمان عليه السلام الذي سنتحدث عنه لاحقاً بإذن الله.

وكان داود عليه السلام رجلاً متوسط الطول وقليل الشعر في هيئته، وكان ورعاً كثير التقى وشديد الاجتهاد في طاعة الله، حيث كان يقوم الليل متعبداً له ويصوم معظم أيامه، وقد وهبه الله سبحانه خصالاً انفرد بها كالصوت الجميل الذي يضرب المثل به، حيث أنه عليه السلام كان إذا رفع صوته بالحمد أو الدعاء أو التسبيح لله، كانت الطيور والحيوانات تجتمع حوله وتصغي إليه، ومن فضل الله عليه أيضاً أنه ألان له الحديد بين يديه حتى أنه كان يطويه ويجمعه ويفرّقه ويغير أشكاله كأنه شمع طري، فكان عليه السلام يرتزق من خلال صناعة الدروع بعدما كان يأكل من بيت المال إسوة بغيره، فأغناه الله بهذا الفضل عن الأكل من بيت المال.

واصيب الناس في عصره بطاعون شديد فتوسلوا به، فخرج بهم إلى موضع المسجد الحالي في بيت المقدس، لمعرفته أنه مكان مقدس ومبارك، ولم يكن في ذلك المكان عمارة أو بنيان، فوقف على موضع الصخرة ودعا ربه تعالى في كشف الطاعون عن قومه، فاستجاب الله دعوته وكشف عنهم، فأمر داود عليه السلام باتخاذ ذلك الموضع مسجداً لله سبحانه وشرعوا في بنائه، وقد توفى عليه السلام قبل أن يتم البناء، إلا أنه عليه السلام كان قد أوصى ابنه سليمان عليه السلام بإتمام البناء من بعده.

وكان قد تقدم معنا في الحديث عن أشمويل عليه السلام أن داود عليه السلام هو الذي قتل جالوت، لذلك إن بني إسرائيل كانوا يحبونه قبل أن يبعث نبياً فيهم، لأنهم كانوا يعتبرون أنه السبب في انتصارهم على أعدائهم بعد مذلة وهوان لمدة من الزمن.

إلا أنهم وعلى الرغم من محبتهم له، كانوا لا يطيقون الأحكام التي كان يقضي بها داود عليه السلام بينهم، مما أدى إلى تزايد الشكوى في صفوف الإسرائيليين، الذين أخذوا يستنكرون هذه الأحكام ويضجون منها، فشكا داود عليه السلام إلى ربه تعالى هذا الأمر وتمرد قومه عليه. فجاءه الرد الإلهي كما في قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ . . .﴾[1].

وهناك العديد من الروايات والشواهد عن كيفية معالجة العديد من المسائل التي قضى بها داود عليه السلام بين الناس، والتي ذكرت في كتب

(1) سورة ص، الآية: 26.

التفسير القرآني والمصادر التاريخية التي سنذكرها في هامش آخر هذا البحث، لمن يرغب بالتوسع والاطلاع عليها.

ولئن كان بنو إسرائيل قد ضجوا من بعض أحكام نبي الله داود عليه السلام، لقصور عقولهم في فهم الحكمة منها، فإن أحكاماً كثيرة قضى بها هذا النبي الكريم كانت مضرب المثل بدقتها وصلاحها، وقد كانت هذه الحكمة في القضاء بين الخصوم من النعم التي وهبها الله سبحانه له، ومع ذلك فقد لحق بهذا النبي شيء من الاعتزاز حول هذا الأمر، وكما نقل في كتب التفسير أنه عليه السلام تساءل مرة مع نفسه إن كان هناك من هو أعلم منه في مخلوقات الله تعالى، ومثل هذا الخاطر يتنافى مع تواضع النبوة وتصاغر العلماء، ولعل هذه الخطيئة منه هي التي جعلته دائم البكاء والشجن بين يدي الله سحبانه، لأن الإنسان مهما علا مقامه وارتفع شأنه يبقى فقيراً ومحتاجاً دوماً للإلهام والتسديد الإلهي، وقد حصل مع داود عليه السلام حادثة وردت في الكتب الدينية القديمة وجاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم، وهي مسألة زواجه من أرملة أحد جنوده الذي كان يدعى (أوريا بن حنان)، بعدما كان قد استشهد في إحدى المعارك التي كلفه فيها داود عليه السلام، ولم يكن هذا الزواج الذي تم بعد عدة الزوجة الأرملة مباشرة مقبولاً في العرف اليهودي القديم، وخاصة من قائد الجند ورئيسهم الأعلى، وقيل إن زواج المطلقة أو الأرملة لم يكن جائزاً قبل داود عليه السلام، وقد أجيز له مثل هذا الزواج، فكانت مسارعته إلى الزواج من أرملة جنديّه المقاتل مما لا يليق به عليه السلام، ولأنه كانت له تسع وتسعون زوجة بحسب الروايات غير هذه الأرملة.

ولم يكن تأنيب الرب سبحانه لعبده ونبيه بصورة مباشرة، بل جاءه العتاب واللوم بصورة غير مباشرة، فقد أنزل الله عليه في محرابه ملكين من السماء بصورة بشرية، ولم يستأذناه للدخول عليه وظهرا أمامه فجأة، فغضب منهما لطريقة دخولهما عليه وصرخ فيهما سائلاً عن سبب دخولهما عليه، فأجاباه أنهما متخاصمان مختلفان على أمر، وأنهما طالبان لحكمه فيه، وبعدما شرحا له الأمر لا سيما المدعي، تعجل داود عليه السلام بالحكم له حتى قبل أن يسأل خصمه أو المدعى عليه، عندها تبسم المتخاصمان، واختفيا من عنده بشكل غير عادي، ساعتئذ عرف داود عليه السلام أنهما من الملائكة، كما فهم تشابه حاله مع نسائه التسع والتسعين وأرملة (أوريا)، فارتجف قلبه خوفاً من غضب الله، وارتعدت فرائصه هلعاً، ثم خرّ على الأرض ساجداً وهو يتمزق ندماً وألماً وخجلاً من ربه، وانهمرت دموعه استجارة واستغفاراً وإنابة، وبقي كذلك حتى غفر الله له. وقد ذكر المولى في محكم كتابه هذه الحادثة في قوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ

دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[1].

والغريب جداً أنك قد تجد في بعض الكتب لا سيما الدينية منها جملة من الافتراءات الشنيعة بحق نبي الله داود عليه السلام لجهة علاقته بأرملة أوريا!!، وعلى كل حال هذه الجرأة على الأنبياء والأولياء إنما هي جرأة على النار والعياذ بالله.

وفي عهد نبي الله داود عليه السلام وقع العذاب على أصحاب السبت الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم، وهم قوم من بني إسرائيل كفروا وبغوا وتجاوزوا حرمات الله تعالى، فدعا عليهم داود عليه السلام ولعنهم، كما لعنهم أيضاً المسيح عليه السلام في مرحلة لاحقة، ومسخ الله هؤلاء الملعونين وجعلهم قردة، وفي المرة الأخرى خنازير، وفي هؤلاء قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2].

أو كما في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾[3].

أما السبب في هذا الغضب وهذا اللعن من الله سبحانه ومن رسوله، فقصته حسب ما ذكرت المصادر: أن موسى عليه السلام أمر بني إسرائيل

(1) سورة ص، الآيات 17 - 25.
(2) سورة المائدة، الآية: 78.
(3) سورة المائدة، الآية: 60.

بتخصيص يوم الجمعة من أسبوعهم للعبادة، فخالفوه في ذلك وقالوا: إن يومنا هو السبت فلماذا ننقلب منه إلى الجمعة؟ وكالعادة انقسم بنو إسرائيل إلى فريقين أحدهم أطاع موسى عليه السلام، والثاني عصاه، فجازاهم الله على هذا التمرد بأن حرم عليهم العمل يوم السبت، وفي هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]، وقوله تعالى كذلك: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[2].

وعليه، فإنه في عصر النبي داود عليه السلام كانت هناك قرية[3] على ساحل البحر ترتزق من اصطياد السمك، وبما أن نهار السبت كانوا لا يصطادون، كان السمك يتجمع بوفرة ولمسافة قريبة من الشاطئ، إلا أن الناس كانوا لا يصطادونها خوفاً من مخالفة أمر الله، وبعد انقضاء يوم السبت كان السمك يختفي في أعماق البحر بعيداً عن متناول الصيادين، الذين كانوا يتحسرون على ما يعتبرونه خسارة لهم حاقت بهم نهار السبت، فوسوس الشيطان إلى البعض منهم بفكرة احتجاز السمك نهار السبت، واصطيادها نهار الأحد. وأقدموا على تطبيق هذه الفكرة وأعجبوا بها، لأنها تحايل على أمر الله وليست مخالفة صريحة.

إلا أن ثلة من المؤمنين لم يوافقوا على فعلتهم هذه، وأخذوا ينهونهم ويحذرونهم، إلا أن الناس بقيت تفعل ما تفعله من احتجاز

(1) سورة النمل، الآية: 124.
(2) سورة النساء، الآية: 154.
(3) وهي قرية أيلة أو (إيلات حالياً)، انظر مثلاً: طبقات الأنبياء، م.س.، ج2، ص83.

السمك نهار السمك، لذلك ترك المؤمنون هذه القرية لإيمانهم بأن الله سينزل العذاب عليها.

وقد ذكرت هذه الأحداث في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

وبالفعل حصل ما تحدث عنه المؤمنون، فإنه ومن بعد مغادرتهم لتلك القرية بمدة قصيرة، أقبل التجار من المناطق البعيدة والذين كانوا يشترون السمك من هذه القرية، وذلك في الصباح الباكر، إلا أنهم لم يجدوا أحداً وعندما دخلوا القرية وجدوا أعداداً غفيرة من القردة ولم يجدوا فيها أحداً من الناس، وسمع الجيران من أبناء القرى الأخرى هذا الأمر، فأقبلوا يشاهدون معجزة الله سبحانه في قوم خالفوا أوامره واستهانوا بها رغم إنذارهم، وجعلوا يخاطبون القردة، فإذا القردة تفهم وتهز رؤوسها ألماً، وتدمع عيونها حزناً، دون أن تستطيع جواباً أو رداً.

وظل هؤلاء على ذلك ثلاثة أو سبعة أيام، ثم أغرقهم الله تعالى في البحر، ليعودوا طعاماً إلى حياتنه وأسماكه، كما استحلوا ما حرّم من حيتانه وأسماكه طعاماً لهم.

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 163 - 164.

وجاء ذكر هؤلاء في الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1].

أو كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾[2].

وهذا العذاب واللعن والمسخ الذي حلّ بهؤلاء ليس نتيجة صيدهم للسمك، بل لأنهم خالفوا أمر الله واحتالوا بظنهم على الحكم الإلهي، لذلك ذكر المولى ﷻ هذا الأمر في محكم كتابه حتى نتعظ نحن ومن قبلنا ومن بعدنا بأن لا نحاول المعصية المركبة، بمعنى مخالفة الحكم الشرعي والاستهانة بالمشرّع والاحتيال عليه وعلى تشريعه. والعياذ بالله سبحانه ما أحكمه وما أعدله.

وكان داود عليه السلام من الرسل الذين امتازوا بنزول كتب سماوية عليهم، وكان الكتاب الذي أنزله الله عليه هو (الزبور)، وكان باللغة العبرية.

وداود عليه السلام مشهور أيضاً بمزاميره التي هي تسبيحات وابتهالات وحمد وثناء وشكر لله تعالى، كان يترتل بها بصوته العذب والشجي عليه السلام.

وتوفى نبي الله داود عليه السلام عن عمر ناهز 100 عام، وكانت مدة

(1) سورة البقرة، الآيتان: 65 - 66.
(2) سورة الأعراف، الآية: 166.

ملكه أربعين سنة قضاها في الدعوة إلى الله سبحانه، وورثه ابنه الأكبر من بين أولاده وهو سليمان عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[1].

وتولى سليمان عليه السلام جنازة أبيه داود عليه السلام، ودفنه على قمة جبل صهيون[2] بالمكان الحالي المشهور والذي يعرف بمقام النبي داود عليه السلام [3]. فالصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(1) سورة النمل، الآية: 16.
(2) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك1، الإصحاح 10.
(3) للتوسع حول حياة هذا النبي الكريم: أنظر كتب التفسير القرآني والتي ذكرناها في السياق أو في ما مضى.

صورة لمقام نبي الله داود عليه السلام من الخارج

صورة أخرى للمقام من الخارج

صورة للباحة الداخلية للمقام الشريف

جدارية تؤرخ مرحلة تجديد العمارة

صورة من داخل المقام الشريف
والتي تبدو فية الآثار الإسلامية واضحة

صورة للضريح الشريف عن بعد

صورة للضريح الشريف
وتبدو عليه الكسوة اليهودية واضحة

صورة أخرى للضريح الشريف

نبي الله سليمان عليه السلام

هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ولقبه (سليمان الحكيم).

وهو الذي أفاء الله عليه بنعم الآخرة والدنيا معاً، بل آتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين، وجعل له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فقد أكرمه الله سبحانه بالنبوة، وجمع له معها الملك، وزاد عليها الحكمة حتى عرف بلقب سليمان الحكيم عليه السلام، ثم جعل الله مساحة سلطان ملكه أشمل وأوسع من باقي الملوك الذين حكموا أو يحكمون البشر، إذ كان ملكاً على الإنس والجن والشياطين جميعاً، وعلى الحيوانات من وحوش وطيور وزواحف وحشرات، فقد كان يفهم لغتها جميعاً، وكانت كلها تأتمر بأمره، كما كانت له السلطة حتى على الرياح في فضاء السماء. ومع كل هذا الطول وهذا السلطان، ومع كل ما كان له من قوة جسمية ومعنوية وسلطان ونفوذ، فإنه لم يخرج على تواضعه، ولم ينس صغر شأنه وحقارة ملكه أمام عظمة ربه، ولم يغادر خوف الله قلبه، ولم يتعال على المساكين، بل كان يعد نفسه واحداً منهم، وكان يعمل بيده من أجل قوته، رغم ما سخّر له الله سبحانه من وافر النعم وكثير الخيرات.

هذا هو نبي الله سليمان عبدالله وابن عبده داود عليه السلام، وليس كما أُفتريَ عليه وعلى والده داود عليه السلام، والذي نسجت حوله العديد من الخرافات والأساطير والقصص، وما قيل فيه مما لا يقبله عقل أو وجدان، ولا يليق بكرامة إنسان فكيف بنبي من أنبياء الله سبحانه؟

ويكفي للدلالة على هذا البهتان بحق هذا النبي الكريم ما ورد في سفر الملوك الأول في العهد القديم[1]، أو ما كتبه بعض اليهود أو النصارى[2]، أو حتى بعض المغفلين الذين يدعون الانتماء إلى الإسلام[3]!! وعلى كل حال، لنا جميعاً وقفة أمام الله سبحانه وسنسأل عما قدمت أيدينا، وأن الله ليس بظلام للعبيد.

وأنا هنا في هذا البحث لست بصدد الكلام عن هذه الترهات السخيفة ومناقشتها، بل أردت فقط قطع الطريق أمام هذه الافتراءات حتى لا تنسحب إلى عقول الأجيال القادمة.

وبالعودة إلى مختصر تاريخ حياة نبي الله سليمان عليه السلام، فإنه ومما يذكر في بداية أمر هذا النبي الكريم، أن أباه داود عليه السلام لما قربت أيامه على الانتهاء استخلف على الحكم والملك ابنه سليمان عليه السلام، الذي كان بحسب أكثر الروايات في الثالثة عشر من العمر، فأنكر بنو إسرائيل

(1) الكتاب المقدس العهد القديم، سفر الملوك الأول، الإصحاح 11 بكل فقراته.
(2) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الأمريكانية، بيروت 1884، وانظر طبقات الأنبياء ص84.
(3) الأب مرتا يوحنا، مذاهب العرب المسلمين في مدفن النبي داود وابنه سلميان الحكيم، دار المشرق، بيروت، 1909، ص903/ 906.

عليه ذلك وضجّوا به، عندها طلب داود عليه السلام من بني إسرائيل تحضير أسئلة لاختبار سليمان عليه السلام، ثم أرسل خلفه ودعاه لهذا الامتحان أمامهم ليبين لهم فضله وحكمته، فأجاب عنها سليمان عليه السلام بكل دقة وحكمة وفهم، الأمر الذي أثلج قلب داود عليه السلام وأزال شكوك المعارضين لاستخلافه عليه السلام.

وكان مما ذكر من علائم حكمته، والتي أرادها الله تعالى دليلاً على أهليته لخلافة داود عليه السلام، قصة حكمه في الغنم التي أفسدت الزرع، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾[1]، وقد شرحت كتب التفاسير هذا الحكم وملابساته وأسبابه عند تفسير الآية المذكورة، والتي لا بد من الاطلاع عليها لما تحتوي من عبر ومعاني دقيقة.

كذلك فقد ذكر الله سبحانه في كتابه العزيز تسخير الريح لسليمان عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾[2]، أو كما في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾[3].

وعدد الله سبحانه نعماً أخرى أنعم بها على سليمان عليه السلام، منها أنه أظهر له معدن النحاس مائعاً سيالاً كماء الينبوع كما في قوله تعالى:

(1) سورة الأنبياء، الآيتان: 78 - 79.
(2) سورة سبأ، الآية: 12.
(3) سورة الأنبياء، الآية: 81.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[1]، ومنها أيضاً أنه تعالى مكّنه من رقاب الجن والشياطين كما في الآية ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2] والآيـــة: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾[3].

كذلك أن الله سبحانه علمه لغة الطيور والبهائم والحشرات، كما في قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[4]، وقد رويت عنه عليه السلام نتيجة لمعرفته لغات الحيوان حكايات لطيفة فيها الكثير من العبر والطرائف.

ومن الأمور التي تروى في فهمه لغة الطير والحشرات والبهائم والتي ذكرها القرآن الكريم، قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[5]، وهذه الآيات فيها مضامين رائعة ونكات علمية في غاية الدقة أنصح القارئ الحبيب بمراجعتها في كتب التفاسير.

(1) سورة سبأ، الآية: 12.
(2) سورة سبأ، الآية: 12.
(3) سورة ص، الآيتان: 37 - 38.
(4) سورة النمل، الآية: 16.
(5) سورة النمل، الآيات: 17 - 19.

كذلك يمكن أن نعد من جملة حكايات فهم سليمان عليه السلام للغة الحيوانات والطيور وتحادثه معها، قصة الملكة اليمنية بلقيس، لأنها بدأت منذ أن نقل إليه الهدهد قصة اكتشافه لها وقومها في ديار سبأ، وهي أشهر القصص في سيرة سليمان عليه السلام وأبرزها، وقد وردت في القرآن الكريم مع شيء من التفصيل، وذلك في سورة النمل من الآية 20 حتى الآية 44، وأيضاً أنصح بمراجعة هذه الآيات الكريمات.

كما أن هذه الآيات لم نوردها في بحثنا هذا لأنها تحتاج إلى الشرح بعد العرض، لما تحتوي من مسائل علمية في غاية الدقة بالإضافة إلى التصوير الإبداعي لهذه الأحداث، وعليه، فلا بد من العودة إلى كتب التفسير لإعطاء هذه الآيات بعضاً من حقها هذا من جهة، وحتى لا نطيل عليك أخي القارئ من جهة ثانية.

ويقال بأن سليمان عليه السلام عاش لمدة 53 سنة، وكان طوال 40 سنة منها متولياً الملك والحكم، وقد بذل عمره الشريف في طاعة الله والدعوة إليه، وعمارة الأرض بالخير لعباد الله، وهو عليه السلام الذي أكمل بناء المسجد الذي بدأ بعمارته داود عليه السلام في بيت المقدس، وكانت وفاته عليه السلام وهو واقف متكئاً على عصاه أثناء إشرافه على عمال البناء وهم يكملون تشييد المسجد، ويقال بأنه بقي متكئاً على عصاه وهو متوفى إلى رحمة الله مدة سنة كاملة، كان خلال هذه المدة يبدو في حالته هذه كأنه حي، وكان آصف بن برخيا خلال تلك المدة يدير أمر المملكة وينظم الأعمال حتى فرغوا من بناء المسجد، بعدها سلّط الله

سبحانه حشرة صغيرة على العصا المتكئ عليها سليمان فوقع عليه السلام على الأرض وانتشر خبر وفاته إلى رحمة الله تعالى.

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[1].

وقبل استعراض الأقوال في مكان دفن نبي الله سليمان عليه السلام، أحب أن أشير إلى أمور استوقفتني أثناء إعدادي لهذا البحث، وهي غريبة وعجيبة ولا يمكن لها أن تجتمع مع القول والادعاء بالإيمان بالله سبحانه، وعلى سبيل المثال لا الحصر تجد أن العديد من أتباع الرسالات السماوية الثلاث قد انصبّ اهتمامهم بالبحث عن أمور لها اعتبار مادي خالص بعيداً عن الإيمان بمسبب الأسباب ألا وهو الله سبحانه وتعالى، فمثلاً:

أ - البحث المستميت عن البئر الذي شرب منها أيوب عليه السلام واغتسل على أساس أنها تحتوي على عناصر تجديد الشباب والقوة، وبعبارة أخرى إكسير الحياة!

ب - البحث المستميت أيضاً عن عصا موسى عليه السلام التي تحمل قدرات هائلة وقوية يمكن الاستفادة منها في سبيل تعزيز القدرات العسكرية وغيرها!

ج - البحث الخيالي عن خاتم سليمان عليه السلام الذي يقال بأنه كان مصدر القوة لديه في تسخير الجن والشياطين وحتى الريح!

(1) سورة سبأ، الآية: 14.

إن مثل هذه الأبحاث تنم عن تعلق أصحابها بالاعتبارات المادية البحتة، كما أنها تدل على عدم عمق إيمان هؤلاء بالله عز وجل ، على اعتبار أنه سبحانه هو وحده واهب هذه الآيات والمعجزات بشكل خاص إلى أنبيائه حصراً لذا أحببت الإشارة إلى ذلك ولو بشكل عام، على الرغم من وجود الكثير من هذه الأمثلة على ذلك.

أما عن مكان دفن نبي الله سليمان عليه السلام فإن الأقوال تعددت في ذلك على الشكل الآتي:

1 - ما ذكره الأب يوحنا مرتا من أن عبد الغني النابلسي قال بأن قبر سليمان عليه السلام في سور بيت المقدس الشرقي في مؤخرة المسجد لجهة الشرق حيث وجود الصخرة الملاصقة بالسور[1].

2 - ما ذهب إليه مجير الدين الحنبلي من أن قبر سليمان عليه السلام حيث البلاطة السوداء والتي هي في داخل الباب الشامي والذي يعرف (بباب الجنة)[2].

3 - ما جزم به علي بن أبي بكر الهروي بأن قبر سليمان عليه السلام مع أبيه داود عليه السلام داخل المغارة التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام ، وهذا ما ذهب إليه أيضاً كل من الحموي وابن خلدون[3].

4 - ما ذهب إليه بعض الرحالة المسلمين بأنه عليه السلام في طبرية

(1) مذاهب العرب المسلمين في مدافن النبي داود وسليمان الحكيم، مصدر مذكور، ص897.
(2) الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج2، ص74.
(3) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص86.

ولكن وقع بينهم الخلاف لجهة وجوده على ساحل بحيرتها أم في وسطها أم في شرقها[1].

5 - ما ورد في العهد القديم من أن سليمان عليه السلام دفن إلى جوار أبيه داود عليه السلام على قمة جبل صهيون بالمكان الحالي المشهور والمعروف بمقام النبي داود عليه السلام [2].

ومهما يكن الأمر، فالصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى قيام يوم الدين، لا سيما سليمان بن داود عليهما السلام.

وختاماً أشير إلى أن مسألة حائط البراق أو حائط المبكى كما يسميه اليهود، سنتحدث عنها في مقالة خاصة في الآتي من هذا البحث بإذن الله[3].

(1) سفرنامه، مصدر مذكور، ص17، وأيضاً: رحلة ابن الجبير، مصدر مذكور، ص213، وأيضاً: ابن بطوطة، مصدر مذكور، ص58، وأيضاً: ياقوت الحموي معجم البلدان، مصدر مذكور، ج3، ص509. وغيرهم.

(2) الكتاب المقدس العهد القديم، سفر الملوك، الإصحاح 11، الفقرة 43.

(3) للتوسع حول سيرة حياة نبي الله سليمان عليه السلام أنظر على سبيل المثال: التفسير الكبير للفخر الرازي عند تفسيره لسورة النمل، وأيضاً العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان. وأيضاً: تاريخ الطبري، ج2، تاريخ ابن الأثير، ج2، تواريخ الأنبياء، ص315. وقصص الأنبياء للجزائري، ص239. وجميع هذه المصادر والمراجع مذكورة سابقاً ونعتمد عليها.

صورة فنية ترمز للنبي سليمان عليه السلام

صورة فنية ثانية له عليه السلام

صورة فنية ترمز للسيدة بلقيس

صورة فنية ترمز لنبي الله سليمان عليه السلام
والسيدة بلقيس

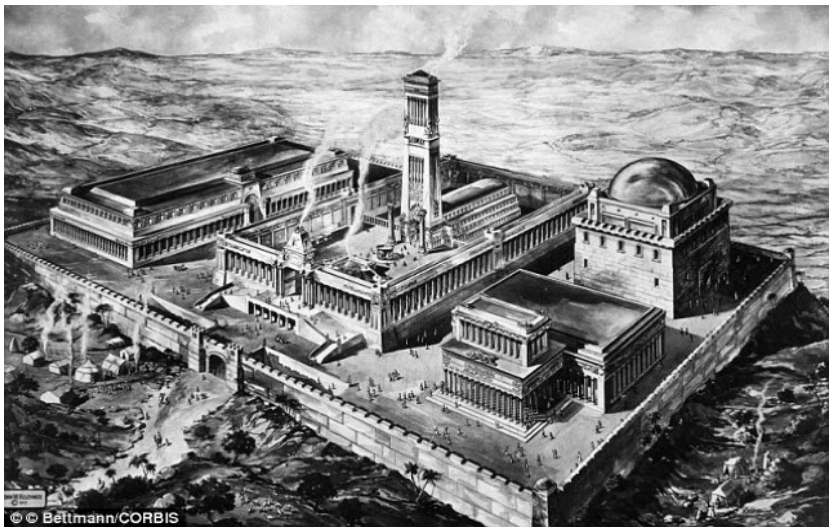

صورة فنية ترسم معالم المسجد الذي انهى عمارته نبي الله سليمان عليه السلام

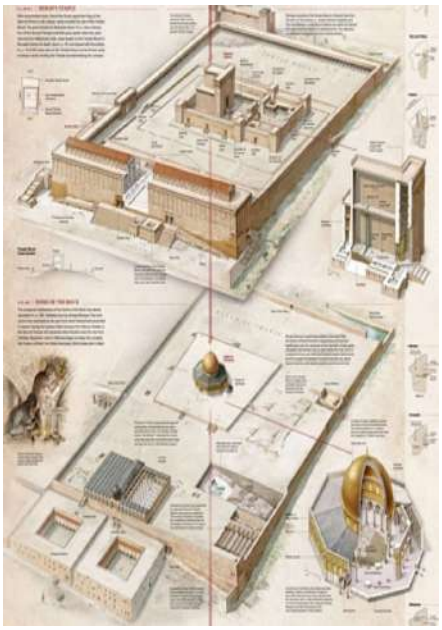

صورة مخطط بيت المقدس
من الأرشيف الانجليزي

صورة قديمة للمسجد الأقصى
وتبدو فيه قبة الصخرة

نبي الله عزير عليه السلام

وهو نبي الله عزير وقيل إن اسمه هو (حزقيل بن بوار) من بني إسرائيل[1]، وقد ذكره المولى عز وجل في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

كما ورد ذكر اسمه صراحة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3].

(1) تفسير ابن كثير، مكتبة الهلال، بيروت، ج3، الآية: 259. وانظر: المؤتلف والمختلف في التفسير، مصدر مذكور، ج3، الآية: 259. وانظر الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص153.

(2) سورة البقرة، الآية: 259.

(3) سورة التوبة، الآية: 30.

ومما جاء في سيرة حياة هذا النبي الكريم عليه السلام، أن عزيراً خرج يوماً على حماره وهو في الثلاثين من عمره يريد أن يقوم بعمل ما أوحاه الله إليه خارج بلده، وقد حمل معه تيناً وعنباً وشيئاً من العصير، ومرّ في طريقه على بلدة قيل إنها بيت المقدس، فإذا بيوتها قد تهدمت، وأهاليها قد قتلت، وحيواناتها قد نفقت، بل إنها بليت حتى غدت جيفاً منتنة وهياكل عظميّة، فوقف عزير عليه السلام عليها يتأمل الجماجم والعظام النخرة، ويتفكر في الخلق والبعث والنشأة الثانية، وتساءل في نفسه بدهشة وعجب: كيف يحيي الله تعالى هذه الأجزاء المتبعثرة المتداخلة بمواد أخرى، وكيف يجمعها لتعود فتؤلف الأجسام الأولى التي كانت تتكون منها؟

وكان يتمنى أن يعاين هذا العمل عياناً ويشهده بنفسه، ليزداد إيماناً وتصديقاً، ويطمئن قلبه إلى ثقته بالله سبحانه، فما أتم كلامه حتى سقط على الأرض ميتاً، وقد أمات الله معه حماره، وبقيا على حالتهما هذه حتى تفرقت أوصالهما وتبعثرت أجزاؤهما، ولم يبق منهما غير عظام نخرة بالية وذلك لمدة مئة عام.

فلما أكمل المدة التي قدّر الله سبحانه أن يقضيها ميتاً، قضت مشيئته عز وجل أن يعيده إلى الحياة «ثم بعثه» تعالى ليريه قدرته جل جلاله ومدى عظمته.

فكان أول ما أحيا منه الله تعالى عينيه، ليرى ويشهد بهما اجتماع أوصاله وأعضائه البالية المتناثرة، فأخذ ينظر إلى أجزاء جسمه المتفرقة تتجمع من هنا وهناك وتتقارب حتى تلتصق، ثم إذا هي تتكثف لحماً

ودماً وعصباً تكسو العظام وتتستر بالجلد، حتى عاد بدناً سوياً، وقام بعد ذلك بإذن الله، ثم رأى الأمر نفسه يحدث مع حماره أيضاً، فإذا هو يقوم أمامه وينهق كأنه خارج لساعته من الإسطبل.

وأخذ نبي الله عزير عليه السلام يتأمل هذا البعث العجيب مدهوشاً ومؤمناً بقدرة الله تعالى، وخجلاً من الله لتساؤله السابق، وبينما هو كذلك جاءه النداء من الله سبحانه: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ ميتاً يا عزير؟ ولم يكن قد أحسّ بعد بالزمن المديد الذي مرّ عليه ميتاً، فظن أن عملية الموت والبعث تمت في مدى يوم واحد، ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ ثم رأى الشمس في الأفق تشرف على الغروب، وتذكر أنه حين مرّ على القرية الخالية كان في ساعة الضحى أي قبل الظهر، فاستدرك قائلاً ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فجاءه الرد عند ذلك من الله تعالى مصححاً له الأمر ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي أن طعامك ما زال طازجاً وشرابك ما زال كما هو لم يتغير، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ فإنه قام وبعث مثلك حياً سوياً، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي أجرينا عليك هذا البعث بعد الموت، لنشهدك ونريك قدرتنا على إحياء الموتى وجمع ما يتمزق من أوصالهم أينما كانوا، كذلك نجمع الناس ليوم الحساب، عندها شعر عزير بالخجل أمام الله سبحانه وتعالى و﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم إن عزيراً عليه السلام رجع إلى ذويه وأهله ليجد أنهم صاروا شيوخاً وعجزاً، وليرى أخاه التوأم (عزرا) شيخاً هرماً في المئة والثلاثين من

العمر، بينما هو ما زال في الثلاثين من عمره الشريف، رغم أنهما توأمان من بطن واحدة، ثم رأى أولاده كذلك شاخوا، ورأى أحفاده وأبناء أحفاده يكبرونه سناً.

ولما رأى بنو إسرائيل عزيراً يعود إليهم بعد تلك المدة الطويلة على تلك الحال من الفتوة والشباب والقوة، علموا أن الله قد ميزه دون غيره بتلك المعجزة، فأخذتهم الدهشة وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بينما كان الأجدى بهم أن يزدادوا إيماناً بالله وأنه على كل شيء قدير، وأن يوقروا نبيهم عزير عليه السلام، لأن الله سبحانه اختصه بهذه الكرامة وهذه المعجزة.

فغضب عليهم عزير لقولهم هذا وحاول ثنيهم عن هذا الكفر، إلا أنهم أصروا على مقولتهم هذه، فغضب الله عليهم وتوعدهم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

ثم إن عزيراً عاش بعد بعثه وعودته عشرين سنة أخرى، وتوفى عن عمر 50 سنة، وتوفى في نفس اليوم أخوه التوأم (عزرا)، فدفنا في قبر واحد، فكانا التوأمين الوحيدين اللذين ولدا بيوم واحد وماتا بيوم واحد، باستثناء عمرهما حيث أن عزير كان في الخمسين، في حين أن توأمه كان في المئة والخمسين، فسبحان الله ما أعظم آياته، وما أكثر عبره لمن أراد أن يعتبر، إلا أنه وكما أخبرنا المولى عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1].

(1) سورة يوسف، الآية: 103.

وعلى كل حال، ومهما كان الأمر، فإن هذا النبي الكريم الذي ورد اسمه في العهد القديم باسم عزرا وله سفر خاص بعشرة إصحاحات[1]، دليل على مكانته في الفكر الديني اليهودي، ولاحقاً في الفكر الديني المسيحي حيث اعتبر على أنه مثال الإلهام النبوي، ولاحقاً أيضاً في الفكر الديني الإسلامي كما مرّ معنا آنفاً كل ذلك يؤكد على أنه شخصية رسالية منزهة عما قيل في حقه، وعاش حياته قبل وفاته وبعد بعثته الثانية في طاعة الله والدعوة إلى توحيده.

أما عن مكان وفاته الثانية والنهائية فهناك أربعة أقوال:

الأول: أنه في القدس وتحديداً في مدينة العزيزية شرقي القدس حيث يوجد إلى جانب هذا المقام كنيسة الروم الأرثوذكس، وجامع (العزيز)[2].

الثاني: في محافظة ميسان العراقية بالمنطقة التي تسمى حالياً باسم منطقة العزيز حيث يوجد قبر ومقام يقال إنه للعزير عليه السلام [3].

الثالث: في قرية (تادف) السورية في محافظة حلب حالياً يقال عن أحد الأضرحة إنه المكان الذي دفن فيه (عزرا) أي العزير وكان يقصده اليهود قديماً[4].

---

(1) الكتاب المقدس العهد القديم، سفر عزرا، الإصحاح 1/ 10.
(2) الكتاب المقدس العهد القديم، سفر عزرا، الإصحاح 10، وانظر: الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص153، وانظر: موسوعة الكتاب المقدس، كلمة عزرا.
(3) أنظر: موقع ويكيبيديا، مقالة (عزرا).
(4) أنظر أيضاً: موقع ويكيبيديا، مقالة (عزرا)، فقرة عزرا في الأدبيات الربانية.

الرابع: ما ذكره ناصر خسرو من أنه زار مقام النبي العزير عليه السلام في قرية (اعبلين) القريبة من عكا، وهذا ما نقله عنه الدكتور عراف أيضاً[1].

والذي أستقربه شخصياً هو الموجود حالياً في القدس والله أعلم.

(1) سفر نامه، مصدر مذكور، ص62، وانظر: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص229.

مدخل مقام نبي الله العزير عليه السلام

صورة لاحدى باحات المقام من الداخل

صورة أخرى للباحة الخارجية

صورة للضريح الشريف

صورة أخرى للضريح الشريف

صورة للضريح من ناحية الباحة الخارجية

النبي زكريا عليه السلام وابنه النبي يحيى عليه السلام

قبل البداية، لا بد من الإشارة إلى أن الحديث عن نبي الله زكريا عليه السلام يستلزم بالضرورة الحديث عن نبي الله يحيى عليه السلام لأنه عليه السلام ابن النبي زكريا عليه السلام، كما أننا في السياق سنأتي على شيء من سيرة حياة السيدة مريم عليها السلام وابنها السيد المسيح عليه السلام أيضاً.

كان زكريا بن برخيا من أنبياء بني إسرائيل من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام، وكان رئيس الأحبار، لذا كانت الأموال والنذورات والهداية المقدمة من بني إسرائيل والأحبار تجبى إليه هو عليه السلام، ولم يكن له ولد يرث هذا الأمر من بعده، فكان من أجل ذلك في هم وحزن ولعلمه بأن معظم الأحبار أو الكهنة قد أخذتهم الدنيا بحبائلها وأضعفت إيمانهم، وبالتالي أصبحوا غير مؤهلين لتولي هكذا موقع وأمانه.

وزكريا عليه السلام هو زوج خالة السيدة مريم العذراء عليها السلام، حيث أن والدها هو (عمران بن ماثان) من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، وكان عمران هذا متزوج من (حنة بنت فاقوذ)، في حين أن زكريا عليه السلام متزوجاً من أخت حنة (إيشاع أو أليصابات)، وكانت حنة قد كبرت

وعجزت ولم تنجب لكونها عاقراً، فدعت الله سبحانه أن يهبها ولداً، ونذرت لله إن رزقها ولداً جعلته من خدمة بيت المقدس قبل أن تعرف ما نوع المولود، فاستجاب الله لها وجعلها تحمل من زوجها عمران على الرغم من كبر سنها، وفي فترة حملها توفى عمران زوجها، ولما جاء وقت وضعها، إذ المولودة كانت أنثى، فاحتارت في أمرها لأن نذرها يجب أن يكون غلام حتى يستطيع أن يكون من خدمة بيت المقدس، وبالتالي حتى تستطيع الوفاء بهذا النذر، فقالت عند ذلك وهي متوجهة إلى الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[1]، أي في متعلق النذر بخدمة دار العبادة في بيت المقدس، وأضافت بدعائها إلى الله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ واسم مريم بلغتهم آنذاك (العبّادة)[2]، ثم أضافت ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3]، أي استعنت بك على أن تحميها من وساوس الشيطان وتطهرها وتجعلها من المؤمنين، ولأنها أنثى فمن المتوقع أن تتزوج وتلد فكذلك إجعل ذريتها طاهرة مؤمنة بك وبعيدة عن مكائد الشيطان اللعين.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾[4] أي استجاب الله دعاءها وقبل منها نذرها أحسن قبول.

(1) سورة آل عمران، الآية: 36.
(2) تاريخ ابن الأثير، ج1، ص228.
(3) سورة آل عمران، الآية: 36.
(4) سورة آل عمران، الآية: 37.

عندها جهزتها وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار من ذرية لاوي بن هارون عليه السلام، إذ أنهم سدنة بيت المقدس، كما أن بنو شيبة سدنة الكعبة في الإسلام، وقالت لهم: دونكم هذه المنذورة، فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران صاحب قربانهم، فقال زكريا عليه السلام: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فأجابوه بأنهم سيجرون القرعة في ذلك.

وكان من عادتهم أن يلقوا الأقلام التي يكتبون بها التوراة في ماء جارٍ، فمن يطوف قلمه على سطح الماء يفوز، فارتفع قلم زكريا عليه السلام فوق الماء ورسيت أقلامهم، فأخذها وكفلها وضمها إلى خالتها حنة (أم يحيى) لاحقاً، واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة في المسجد لا يمكن الوصول إليها إلا بسلم، ولا يصعد لعندها غيره عليه السلام.

كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[1]، أو كما في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾[2]، وبعد أن شبّت عليه السلام كان زكريا عليه السلام يتردد عليها من أجل أن يتفقدها أو ينقل لها طعاماً وشراباً، أو ينظر في حاجاتها وطلباتها، وكان عليه السلام كل مرة يأتي لزيارتها يجد عندها طعام وفاكهة وشراب من أفضل ما يكون، فكان عليه السلام يسألها عن مصدر هذا الطعام والشراب، فكانت تجيبه: هو من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

(1) سورة آل عمران، الآية: 44.
(2) سورة آل عمران، الآية: 37.

زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، عندها علم زكريا عليه السلام أن لمريم عليها السلام كرامة خاصة عند الله سبحانه، وأن هذه الكرامة تتجلى برعايتها بشكل إعجازي، لذا توجه زكريا عليه السلام إلى الله في ذلك المكان التي تعمّه الرحمة والكرامة الإلهية بالدعاء قائلاً: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[2].

واستجاب الله سبحانه دعاء زكريا عليه السلام:

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، أي ولدك الذي سيكون اسمه يحيى عليه السلام، ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي مؤمناً بكلمة الله سبحانه، ومعنى الكلمة هنا السيد المسيح عليه السلام الذي سيكون الرسول الرابع من الخمسة أولي العزم عليهم سلام الله وبركاته، وأن يحيى عليه السلام سيكون ﴿وَسَيِّدًا﴾ أي مطاعاً في قومه، ﴿وَحَصُورًا﴾ بمعنى لا يأتي النساء ولا يتزوج لا لعلة بل تعففاً منه، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3] أي من الأنبياء المكرمين أيضاً.

فتعجب زكريا عليه السلام وتساءل: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾، فأجابه الوحي عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[4]، ولشدة سروره بهذه البشارة طلب زكريا عليه السلام من الله ان

(1) سورة آل عمران، الآية: 37.
(2) سورة آل عمران، الآية: 38.
(3) سورة آل عمران، الآية: 39.
(4) سورة آل عمران، الآية: 40.

يجعل له علامة تدل على وقت الحمل، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[1]، بمعنى أن العلامة هي حين تعجز عن النطق من غير علة بك، باستثناء ذكر الله والتسبيح له سبحانه ولمدة ثلاثة أيام.

وتمّ أمر الله سبحانه فكان يحيى هو البشارة لأبيه زكريا عليه السلام، وقد ذكر الله تعالى القصة نفسها في بداية سورة مريم عليه السلام وبشيء من التفصيل: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾[2].

وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى المسيح عليه السلام وكل منهما

(1) سورة آل عمران، الآية: 41.
(2) سورة مريم، الآيات: 1 - 11.

في بطن أمه، ذلك أن زكريا عليه السلام كان قد كفل مريم عليها السلام وأسكنها في صومعة بعيدة عن الناس حفاظاً عليها، وكان يحمل لها الطعام ويخدمها بنفسه، وكنا قد تحدثنا عن هذا الأمر آنفاً، إلا أنه عليه السلام وفي إحدى زياراته لاحظ عليها آثار الحمل، فساءه ذلك واضطرب له أشد الاضطراب، لأنه تخوف أن يتهمه بنو إسرائيل بالاعتداء عليها، فانصرف إلى زوجته يخبرها بذلك وكانت يومئذ حاملاً بحيى عليه السلام، فقالت له إئتني بها أنظر إليها، فلما دخلت مريم عليها السلام عليها لم تقم لها كما يجب، فأحست فجأة بحركة عنيفة في بطنها ودفع وإزعاج لها من جنينها، وأحست كأن جنينها في رحمها ينحني احتراماً لما في بطن مريم عليها السلام، عندها هبّت من مقامها واستقبلتها بكل احترام، وكان هذا الأمر جواباً على شكوكها وشكوك زوجها، وأدركا أن هذه آية من آيات الله تعالى. وكان هذا أول تصديق بعيسى عليه السلام، وقد ولد يحيى عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر كما هو المشهور.

ثم إن يحيى عليه السلام بعد ولادته المباركة آتاه الله تعالى النبوة في سن مبكرة، وجعل دعوته المباركة إلى الله من موارد الرحمة والحنان الإلهي، والتزكية لكل من يتّبعه ويطيع أمره.

كما أن المولى قد جعل يحيى عليه السلام تقياً بمعنى أنه عليه السلام لم يهم بخطيئة قط، كما أنه عليه السلام كان باراً بوالديه ومصدر حب ورحمة لهما، لذلك نال وسام التحية الخاصة من الله سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ

وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[1].

وتثار في الوسط العلمي مسألة (سلام الله على يحيى) على أنها دلالة على سمو شأنه عند الله أكثر من عيسى عليه السلام على الرغم من أنه من أولي العزم من الرسل، وذلك لأن عيسى عليه السلام نطق وهو في المهد: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2].

فالسلام كان من عيسى على نفسه الشريفة ولو بشكل إعجازي، في حين أن السلام على يحيى عليه السلام كان مباشرة من الله سبحانه وتعالى[3]، وهذه المفاضلة أو المقارنة بين يحيى وعيسى عليهما السلام إنما هي من الناحية الإيجابية، لأن كلاهما أنبياء من عند الله سبحانه وإن اختص عيسى عليه السلام بالإنجيل، وإذا ما أردنا استعراض ما لهما من صفات مشتركة نقول:

1 - لجهة النسب: أن عيسى عليه السلام ابن سيدة نساء العالمين مريم عليها السلام، ويحيى عليه السلام ابن رسول رب العالمين زكريا عليه السلام.

2 - لجهة البشارة: إن عيسى عليه السلام بشارة الله لمريم عليها السلام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

(1) سورة مريم، الآيات: 12 - 15.
(2) سورة مريم، الآية: 33.
(3) محطات مشرفة في التراث المسيحي - الإسلامي، أحمد قيس، دار الملاك، بيروت، 2018، ص23 وما بعدها.

عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[1]، ويحيى عليه السلام هو بشارة الله لزكريا عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2].

3 - لجهة البرّ بالوالدين: إن عيسى عليه السلام نطق وهو في المهد قائلاً: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[3]، ويحيى عليه السلام قال عنه المولى عز وجل: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[4].

4 - لجهة المعجزة في الولادة: إن عيسى عليه السلام هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى البتول مريم عليها السلام وجاءت ولادته المباركة إعجازية كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[5]، أما يحيى عليه السلام فقد ذكر المولى عز وجل أمر ولادته المباركة بشكل إعجازي أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا

(1) سورة آل عمران، الآية: 45.
(2) سورة آل عمران، الآية: 39.
(3) سورة مريم، الآية: 32.
(4) سورة مريم، الآية: 14.
(5) سورة مريم، الآيات: 19 - 21.

﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾[1].

هذا بالإضافة إلى العديد من الأمور المتشابهة بينهما، والتي لا نستطيع إيرادها كلها حتى لا نخرج عن سياق البحث، إلا أنها إشارات ولطائف ملفتة وتستحق التأمل.

كما أن عيسى عليه السلام هو صاحب دعوة سماوية عالمية لذلك اعتبر عليه السلام أنه من الأنبياء أولي العزم، بخلاف يحيى عليه السلام التي كانت دعوته توراتية المنشأ والأصل وتبشيرية لجهة قدوم السيد المسيح عليه السلام ومحلية إن جاز التعبير.

وبالعودة إلى سيرة حياة يحيى عليه السلام، فإنه بلغ الغاية القصوى في الزهد والعبادة وكثرة البكاء من خشية الله تعالى منذ صغره، حتى إن والده زكريا عليه السلام كان يتجنب في مواعظه في حضور ولده يحيى عليه السلام أن يذكر الجنة والنار شفقة عليه لشدة تأثره وانفعاله.

وكان يحيى عليه السلام كثيراً ما يخرج إلى البراري ليخلوا إلى ربه بعيداً عن الناس، كما أنه عليه السلام كان يبشر الناس بظهور المسيح عليه السلام، وذلك قبل ظهور عيسى عليه السلام بدعوته بما يقارب العشرين عاماً، فلما ظهر المسيح عليه السلام بدعوته للناس وأتاهم بشريعة الإنجيل، صدّق به يحيى عليه السلام وأطاعه والتزم به.

وكان عيسى عليه السلام يبعث برسل وحواريين إلى فرق بني إسرائيل

(1) سورة مريم، الآيات: 7 - 9.

لوعظهم وتعليمهم أحكام الدين والشريعة، وقد بعث بحيى عليه السلام مرة إلى قبيلة منهم كان على رأسها حاكم والمعروف بـ (هيرودوس)، الذي صدّق يحيى واحترمه وكان يطيع أوامره.

وكان عند هذا الملك امرأة كبرت في السن، فأرادت أن تزوجه ابنة لها من زوج سابق، فلما عرضتها عليه نهاه يحيى عليه السلام عن ذلك وقال له: لا يجوز لك الزواج من ابنة زوجتك، فغضبت الأم كثيراً وأسرّتها في نفسها حتى تنتقم من يحيى عليه السلام لاحقاً.

والسبب من وراء هذا التحريم بحسب جميع الرسالات السماوية، أن ابنة الزوجة المدخول بها تعتبر من ربائب الزوج أي كابنته وهي من محارمه المؤبدين.

ولاحقاً عمدت هذه الزوجة الفاسقة والمجرمة إلى إسكار زوجها حتى الثمالة، ثم أدخلت عليه ابنتها وهي مزينة بأبهى زينة وتظهر مفاتنها بشكل مثير، فجن جنون زوجها الملك وأراد أن يواقعها، فرفضت ذلك قبل أن يعطيها مهرها والذي كان رأس النبي يحيى عليه السلام، فأرسل اللعين من قام بذبح يحيى عليه السلام وأهداها الرأس الشريف كما طلبت في طشت من الذهب.

وهكذا كانت نهاية عبدالله وابن عبده يحيى بن زكريا عليهما السلام، وعلى يد مجرم فاسق طاعة لبغي من بغايا بني إسرائيل.

أما والده النبي زكريا عليه السلام فإنه قتل بناء على تحريض شياطين الجن والإنس من بني إسرائيل الذين اتهموه بالاعتداء على مريم البتول عليها السلام والعياذ بالله، وحاشا لرسوله زكريا عليه السلام من هذا البهتان

العظيم، حيث أنهم بعدما أشاعوا هذه الافتراءات على زكريا عليه السلام طاردوه فاختبأ منهم في جوف شجرة، ودلهم على مكانه طرف ثوبه الظاهر من جانب الشجرة، عندها عمدوا إلى نشر وقطع الشجرة وزكريا عليه السلام في جوفها، فقضى شهيداً مظلوماً ومفترى عليه من أبناء قومه من بني إسرائيل[1].

فالسلام على نبي الله زكريا وعلى ولده نبي الله يحيى ورحمة الله وبركاته.

أما عن مكان دفنهما عليهما السلام، فإن المشهور بين المؤرخين من الديانتين المسيحية والإسلامية بأن قبرهما في (سبسطية) في فلسطين، ما عدا رأس يحيى عليه السلام فإنه مدفون بالجامع الأموي في دمشق[2] حيث كان هذا المكان قبل تحويله إلى مسجد عبارة عن كنيسة بيزنطية[3].

فالسلام على عباد الله المكرمين، وعرّف بيننا وبينهم في جنة النعيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) محطات مشرفة في التراث المسيحي - الإسلامي، مصدر مذكور، ص23 حتى 52. وانظر: تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص369 - 373.

(2) رحلة ابن الجبير، مصدر مذكور، ص212، وانظر أيضاً: خطط الشام، مصدر مذكور، ج6، ص6.

(3) أنظر على سبيل المثال: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ص97، وما بعدها. وأيضاً: معجم البلدان، مصدر مذكور، ج3، ص184. وأيضاً: مسالك الأبصار، مصدر مذكور، ص22. وأيضاً: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، مصدر مذكور، ص52. بالإضافة إلى كتب التفسير القرآني لا سيما: المؤتلف والمختلف في التفسير، ج3، وغير ذلك من كتب القصص القرآني والسيرة والتراجم.

اللافتة الموضوعة على مدخل النبي يحيى عليه السلام في سبسطية

صورة لمدخل المقام الشريف

صورة المقام الشريف للجسد الطاهر

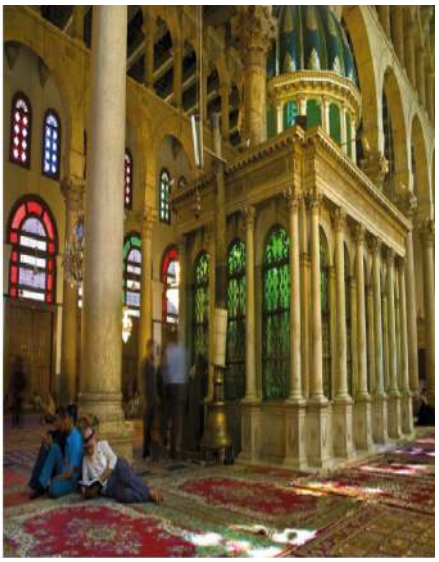

صورة لمكان دفن رأس النبي يحيى عليه السلام في المسجد الأموي في دمشق

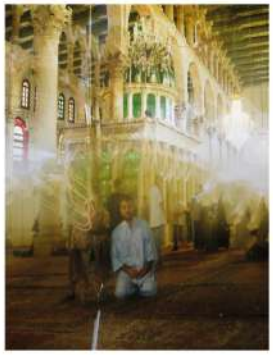

مجموعة لوحات فنية ترمز إلى سيرة حياة نبي الله يحيى عليه السلام مع السيد المسيح عليه السلام

ومجموعة فنية ترمز إلى المراحل الأخيرة من حياة نبي الله يحيى عليه السلام

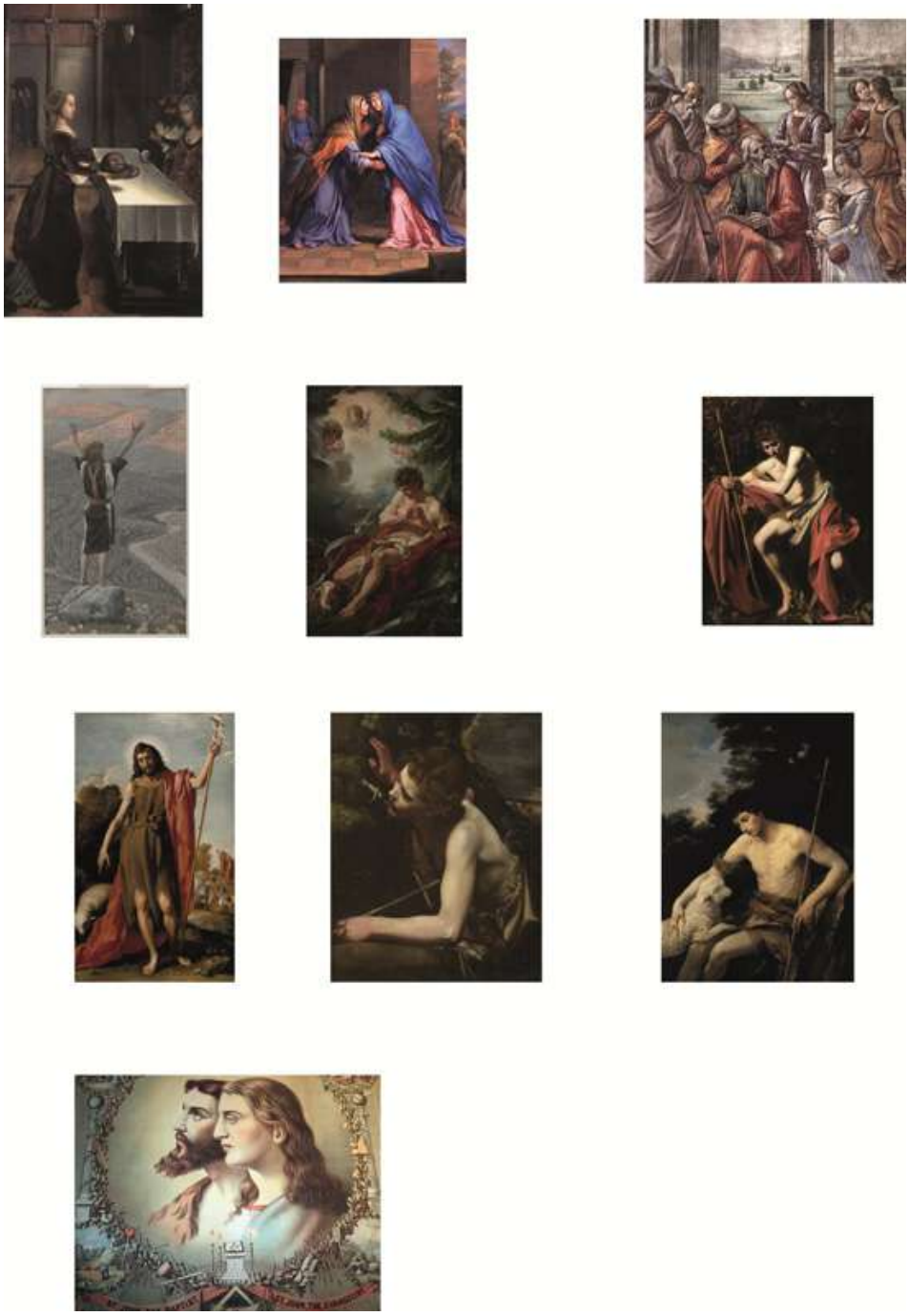

أيضاً مجموعة أخرى من اللوحات الفنية

سيرة مريم عليها السلام وابنها السيد المسيح عليه السلام

تحدثنا في مقالة نبي الله زكريا ويحيى عليهما السلام عن قصة ولادة السيدة مريم عليها السلام ونسبها الشريف، وأشرنا إلى مسألة حملها بعيسى عليه السلام في مورد الحديث عن تصديق يحيى عليه السلام بعيسى عليه السلام، وهما في الرحم، لذلك سنعمد إلى الحديث في هذه المقالة البحثية عن مرحلة ما قبل حملها بالمسيح عليه السلام، إلى مرحلة وفاتها، كما أننا سنخصص فقرة للحديث عن السيد المسيح عليه السلام لا سيما في مرحلة الشباب قبل بعثته نبياً بالإنجيل المبارك، وحتى مرحلة ارتفاعه ونقله إلى المولى عز وجل، كل ذلك باختصار قدر المستطاع لأن حياة مريم وعيسى عليهما السلام معروفة ومشهورة لدى أبناء هذا الزمان، ولو بشكل من الأشكال لدى أتباع الرسالات السماوية وغيرها.

وعليه، فإن مريم عليها السلام لما بلغت مبلغ النساء، غدت فتاة جميلة الصورة، ذات بهاء ووقار، ظاهرة البراءة، كثيرة الطهر، وكانت تتعبد في محرابها الذي خصصه لها زكريا عليه السلام أثناء كفالته لها، ويقال بأنها عليها السلام قد خطبها شاب مؤمن يعمل في النجارة يدعى (يوسف) من زوج خالتها نبي الله زكريا عليه السلام.

وبينما كانت يوماً تصلي في محرابها وقد اتخذت حجاباً يسترها عن عيون الناس، هبط عليها جبرائيل عليه السلام بصورة شاب جميل الخلقة، فارتعبت واستنكرت دخوله عليها واستعاذت بالله تعالى منه، فهدّأها جبرائيل عليه السلام وطمأنها قائلاً لها إنه رسول من قبل الله تعالى إليها، وإنه مرسل ليهب لها غلاماً زكياً طاهراً من الأرجاس والأدناس، ونبياً كريماً صالحاً من أولي العزم وأصحاب الكتب السماوية، فهدأ روع مريم عليها السلام حين علمت أنه ملك سماوي، ولكنها استغربت أن يكون لها ولد بينما هي ما تزال عذراء لم يقاربها بشر ولم يمسها زوج، وتساءلت كيف يكون ذلك وهي ملتزمة بالسيرة الحميدة والأخلاق الفاضلة، ولا يصدر منها ما يجعلها لأن تتهم بالخطيئة!! قال لها جبرائيل عليه السلام إن هذا الأمر على الله يسير وسهل جداً، لأنه تعالى يريد أن يجعل من ولادته آية للناس، كما أنه سبحانه يريد أن يكون هذا النبي مصدر رحمة إلهية للناس، لأنه عليه السلام سيهيدهم إلى الصراط المستقيم الذي فيه الفلاح في الدنيا والآخرة، كما أن هذا الأمر الإلهي نافذ لا راد له، لأن الله سبحانه قضى وحكم به.

وهذا المعنى الذي ذكرناه كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ

وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾[1]، أو كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[2]. ومع أن الآية الكريمة انتهت بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ إلا أن معظم الذين اشتغلوا بالدراسات الدينية أو التفسيرية نقلوا العديد من الروايات أو الآراء عن كيفية حمل السيدة مريم عليها السلام، مع العلم بأن هذه الروايات أو الآراء لا تقدم ولا تؤخر شيئاً مع قدرة الله سبحانه الذي إن أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

إلا أن الفضول البشري يأبى أن يذعن إن لم تشرح له الأمور بشكل مادي حتى يستأنس ويهدأ، لذلك نجد أن معظم الروايات تتحدث عن نفخ جبرائيل عليه السلام ما يشبه الهواء في طرف كم القميص الذي ترتديه من ناحية يدها الشريفة.

هذا مع العلم أيضاً أن الله سبحانه لا يحتاج إلى الوسائط والأسباب مطلقاً، لا سيما عندما تتعلق هذه الأمور بمشيئته، ولكن إن كان هناك من درس يريد لنا الباري عزوجل أن نتعلمه من خلال هكذا

(1) سورة آل عمران، الآيات: 45 - 48.
(2) سورة مريم، الآيات: 16 - 21.

أحداث، فهو أن نعتمد عليه سبحانه ونأخذ ونعتمد القوانين والنواميس والسنن التي وضعها في هذا الكون، ومن يؤمن بالله حق الإيمان تكفيه العبارة القرآنية ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾. وأيضاً نستفيد من هذه المسألة الإعجازية إن على الإنسان أن لا يقيس مشيئة الله بما يراه هو ممكناً أو مستحيلاً.

وكنا قد تحدثنا عن انزعاج زكريا عليه السلام وزوجته من مسألة حمل مريم عليها السلام وما جرى بينهم، لا سيما مسألة إحساس زوجة زكريا عليه السلام بانحناء ما في بطنها أي يحيى عليه السلام إلى ما في بطن مريم عليها السلام أي عيسى عليه السلام، ومع ذلك بقيت عليها السلام متألمة من نظراتهم ومن نظرات من علموا بذلك من قومها، فخرجت هائمة على وجهها تفتش عن مكان يسترها ويحجبها عن أعين الناس، ويريحها من سماع عبارات الطعن والاستنكار، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[1]، أو كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2]، ومن خلال المقابلة بين الآيتين نجد أن الأولى قد تحدثت عن خروجها عليها السلام إلى مكان بعيد كما تفيد كلمة (قصياً)، والآية الثانية تتحدث عن نزولها في مكان مرتفع من الأرض كما تفيد كلمة (ربوة)، كما أن على هذا المكان المرتفع يوجد منخفض تهبط فيه فيحجبها عن الناس وهو أشبه ما يكون بحفرة واسعة كما تفيد كلمة (ذات قرار)، وفي هذا المنخفض عين ماء عذب جارٍ كما تفيد

(1) سورة مريم، الآية: 22.
(2) سورة المؤمنون، الآية: 50.

كلمة (ومعين)، وإلى جوار هذا العين كانت توجد نخلة كما سيمر معنا، فلما جاءها المخاض وأحست بالطلق، تصورت ما سيقول بنو إسرائيل حين يرون على يدها طفلاً لا أب له، وما سوف يتهمونها به، فكادت نفسها أن تنفطر هلعاً لدرجة أنها عليها السلام تمنت الموت كما في قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[1]، وهذه الكلمات التي صدرت منها ينطق بها كل إنسان عند الأزمات واشتداد الأمر عليه، ينفّس بها عن همه وكربه، وما على قائلها من غضاضة ما لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، والسيدة مريم عليها السلام لم تكن مرتابة في دينها لأنها كانت تعلم بأنها حملت بشكل إعجازي وتتوقع أن تضع ما في بطنها من حمل إلا أن مشاعرها الإنسانية طبيعية جداً لذا صدر عنها هذا الكلام.

فأراد الله تعالى أن يهدئ من قلقها الذي جاء نتيجة هذا الأمر، وكانت الطريقة إعجازية أيضاً لتذكيرها بأنها ووليدها آية من آيات الله سبحانه، فناداها وليدها بعد وضعه مباشرة كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[2]، والمتبادر إلى الذهن أن عيسى عليه السلام أنطقه الله ليهدئ من روع أمه ويطمئنها ويسليها بأن الله تكفل بها بحيث هيأ لها الماء العذب

(1) سورة مريم، الآية: 23.
(2) سورة مريم، الآيات: 24 - 26.

والرطب من التمر لتأكل وتشرب، كما أرشدها إلى طريقة تجنب التحدث مع الناس من خلال الإشارة لهم بأنها صائمة عن الكلام كما كان شائعاً عند بني إسرائيل في ذلك الوقت.

وكان في هذا الكلام الإعجازي من عيسى عليه السلام إلى والدته ما أثلج صدرها، وأزال غمها، وطابت نفسها بهذا المولود المبارك عليه السلام.

بعد ذلك قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[1].

وكان في هذه الأثناء زكريا عليه السلام مع بني إسرائيل يفتشون عنها، فلما رأوها آتية إليهم وعلى يدها طفل رضيع غضبوا عليها غضباً شديداً، وبخاصة أنها كانت ابنة نبيهم عمران عليه السلام وربيبة نبيهم زكريا عليه السلام، وأخذوا يوجهون لها العبارات اللاذعة والمؤذية، وكانوا يقولون لها كيف فعلت هذا يا أخت هارون عليه السلام الذي هو أخو

(1) سورة مريم، الآيات: 27 - 35.

موسى عليه السلام والتي هي من نسله، والقصد تذكيرها بأصلها الطيب، وأنه إذا زكا الأصل يجب أن يزكو الفرع، فكيف صدر منك هذا مع أن أصلك الطيب ولم يصدر عنه أي أمر معيب، فمن تشبهين أنت بفعلتك هذه التي لا يقدم عليها إلا من كانت بنتاً لرجل سوء، أو بنت امرأة بغي[1]!!.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾[2].

فأشارت إليه وهي مطمئنة وواثقة تستشهده على براءتها، وهو أصدق الشاهدين لأنه ينطق بقدرة الله تعالى، فتعجبوا منها وقالوا كيف تطلبين منا أن نكلم المولود الرضيع أتستخفين بعقولنا؟ عندها أنطق الله المسيح عليه السلام بما ورد في الآيات التي ذكرناها، فدهشوا جداً وأخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض في تعجب، وعلموا أن في الأمر معجزة

(1) المؤتلف والمختلف في التفسير، مصدر مذكور، ج3، المجلد 2.
(2) سورة مريم، الآيات: 27 - 35.

ودلالة على عظم شخصية الوليد وكرامة أمه مريم عليها السلام، فسكتوا عن الطعن بها وأفحموا بنطق ابنها الرضيع، وبهذا يكون عيسى عليه السلام أنطقه الله في المهد لتبرئة ساحة والدته من الفاحشة، وليس لأنه نبي مرسل، وخاصة إذا ما عرفنا أنه عليه السلام بعث بالإنجيل وهو بعمر 30 سنة. وبعدما نطق عيسى عليه السلام بهذه العبارات صمت ولم يعد يتكلم بشيء إلى أن ترعرع وصار نطقه كأي طفل عادي.

وكانت ولادة السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم حيث مكان (قرار الربوة)، وبعد هذه الأحداث التي جرت بين مريم عليها السلام ونطق عيسى عليه السلام في المهد وبين بني إسرائيل، تناقل الناس هذه الأخبار وشاعت بينهم حتى وصلت إلى مسامع (هيرودوس) ملك تلك البلاد، فخاف على ملكه لذا أمر بقتل جميع الأطفال المولدين في بيت لحم وضواحيها ممن هم دون السنتين، فنزل الأمر من الله تعالى بأن تفر مريم عليها السلام بالمسيح وتخفيه، فسافرت به إلى مصر حيث بقيت حتى وفاة هيرودوس.

ويقال إنها عليها السلام خرجت من بيت لحم في فلسطين إلى مصر برفقة يوسف النجار بحسب إنجيل متى في العهد الجديد[1]، واستقرت السيدة مريم وابنها عليه السلام مع يوسف النجار في مصر مدة ستة أشهر في منطقة أسيوط من صعيد مصر بحسب الاعتقاد المسيحي القبطي،

(1) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 2/ 13، منشورات دار المشرق، بيروت، ط13، 1988.

ويستدلون على ذلك بالكنائس والأديرة التي شيّدت في الأماكن التي زارتها مع عيسى عليه السلام في تلك المنطقة.

وبعد عودة مريم عليها السلام من مصر بوليدها، خافت أن يتعرض له ابن الملك هيرودوس الذي خلفه، والذي كان يدعى (أرخلاوس) بحسب إنجيل متى أيضاً[1]، فلم تعد إلى بيت لحم، بل ذهبت إلى مدينة في مقاطعة الجليل من بلاد فلسطين تسمى (الناصرة)، حيث سكنت مع ابنها المسيح عليه السلام حتى بعث بالرسالة، لهذا السبب كان السيد المسيح عليه السلام يلقب بالناصري، كما أن أتباعه يطلق عليهم (النصارى) نسبه إلى هذه المدينة. وبعد هذه الأحداث أي الاستقرار في مدينة الناصرة، فإن المصادر والمراجع التاريخية لا تذكر السيدة مريم عليها السلام لجهة تفاصيل حياتها اليومية، أو الأحداث التي جرت معها سوى ما ورد في إنجيل متى من أنها عليها السلام بقيت في الناصرة[2]، وما ورد في إنجيل يوحنا من أن السيد المسيح عليه السلام كان يزورها بين الحين والآخر ويقيم عندها عدداً من الأيام[3]، وأيضاً يذكرها عليه السلام إنجيل يوحنا في عرس قانا الجليل[4].

وينقل ابن كثير في البداية والنهاية: أن مريم عليها السلام جاءت تبكي ولدها عند مكان الصلب، فجاءها عيسى وأخبرها أن الله رفعه إليه ولم

(1) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 2/ 19.
(2) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 13/ 55-56.
(3) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، 59.
(4) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، 2/ 2 و2/ 10 و11.

يصبه ضرراً وأنه بخير، وأن الله سبحانه هو الذي أذن له برؤيتها مجدداً، وأن المصلوب ليس هو بل شبيهه.

ويختم ابن كثير بقوله: وبلغني أن مريم عليها السلام بقيت بعد عيسى عليه السلام خمس سنين وماتت ولها من العمر 53 سنة[1].

والملاحظة على كلام ابن كثير، أنه خلط ما بين البتول مريم عليها السلام، وبين مريم المجدلية التي جرت معها الأحداث التي ذكرها ابن كثير، والتي وردت في إنجيل يوحنا صراحة باسم مريم المجدلية وليس العذراء مريم عليها السلام [2]، أما بالنسبة إلى عمرها الشريف فإنه بحسب المعتقدات المسيحية أنها عليها السلام توفيت عن عمر قارب الستين بعد معاناة مع المرض[3].

وعلى كل حال، فإنها انتقلت إلى رحمة الله تعالى بعدما تشرفت بأن اصطفاها المولى عز وجل، وجعلها العذراء البتول والدة عيسى الرسول عليه السلام، كما أنه سبحانه جعلها واحدة من سيدات نساء العالمين الأربعة، وهن: آسية بنت مزاحم زوجة الفرعون، مريم بنت عمران والدة عيسى المسيح، خديجة بنت خويلد زوجة النبي الأكرم، وفاطمة الزهراء ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجة علي عليه السلام ووالدة سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين والحوراء زينب الكبرى وأم كلثوم زينب

(1) البداية والنهاية، مصدر مذكور، ج2، صفحة 100 و103.

(2) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، فقرة القيامة وتراثي يسوع لمريم المجدلية.

(3) موقع ويكيبيديا، مريم العذراء، وانظر: سفرنامه، مصدر مذكور، ص72.

الصغرى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعرّف بيننا وبينهم في جنات النعيم آمين.

أما عن مكان دفنها الشريف، فإن الروايات بأجمعها تتفق على أنها توفيت عليها السلام في جبل الزيتون في القدس في الكنيسة التي تحمل اسم (كنيسة قبر السيدة العذراء مريم)، والتي هي محاذية لكنيسة الجسمانية التي سنتكلم عنها بإذن الله.

أما في الوسط المسيحي فإن الاعتقاد بوفاة السيدة العذراء عليها السلام كما تقدم لا خلاف عليه، إنما الخلاف بين هذه الكنائس حول عقيدة الانتقال، أي أن السيدة مريم عليها السلام انتقلت بالروح والجسد إلى السماء، ومنهم من يقول إن روحها انتقلت لا جسدها، وآخر يقول إن جسدها انتقل إلى السماء دون أن يبعث حياً مجدداً، وغير ذلك من الاختلافات التي لا شأن لنا بها في بحثنا هذا، ويحتفل المسيحيون بعيد انتقال السيدة العذراء كل 15 آب من العام الميلادي، وبالمناسبة هو تاريخ يوم ولادتي فسبحان الله.

السيد المسيح عليه السلام

أمّا سيرة وحياة السيد المسيح عليه السلام، فإنه وإن كانت مشهورة ومعروفة لدى أبناء هذا الجيل ولو بشكل غير دقيق، وإتماماً للفائدة العلمية من خلال عرض سيرة هذا النبي الكريم عليه السلام فإننا سنتحدث عن تاريخ حياته المباركة بشكل مختصر جداً، ومن جوانب جديدة ودقيقة بإذن الله.

في الناصرة وبعد عودتهم من مصر، نشأ عيسى عليه السلام في كنف أمه ترعاه، حتى شبّ وغدا صبوحاً عليه كل علائم الطهر والكمال، وكانت تظهر منه في صباه أعمال تدل على رجاحة عقله ورفعه خلقه، ووداعة نفسه وشدة إخلاصه في إطاعة أوامر الله تعالى وتنفيذها، وبقي كذلك حتى بلغ الثلاثين من عمره، وعندئذ نزل عليه الوحي بدعوة بني إسرائيل إلى العودة عن ضلالاتهم وبدعهم، والرجوع إلى أحكام الله تعالى من خلال ترك البطر والمفاسد التي كانوا غارقين فيها، وقد دامت دعوته ثلاث سنين فقط، ثم رفعه الله إليه بعدها، كما سيأتي الحديث إن شاء الله.

وأنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام الإنجيل كتاباً إلى البشر أو إلى

بني إسرائيل بالحد الأدنى، وهذا الكتاب المبارك فيه مواعظ وأمثال، وليس فيه قصاص ولا أحكام فقهية ولا فروض ولا مواريث، وكانت شريعته عليه السلام الدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله تعالى، والصلاة والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أخذ الله تعالى عليه الميثاق الذي أخذه على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[1]، ومن أهم بنود هذا الميثاق التصديق سلفاً ببعثه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يؤمنوا به قبل ولادته، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾[2].

وقد خفف الله تعالى عن المسيح عليه السلام وأمّته بعض ما كان في شريعة موسى عليه السلام من الأحكام، فأحل لهم بأمر الله بعض الذي كان محرماً عليهم، مع إيمانهم ببقية أحكام التوراة وشريعة موسى عليه السلام، وهذا ما ورد عن السيد المسيح عليه السلام في إنجيل متى بقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل»[3]. فالمسيح عليه السلام لم يخالف أحكام الشرائع السابقة، بل صدقها وخفف محرّماتها وأبان ما أخفي منها كما في قوله تعالى:

(1) سورة الأحزاب، الآية: 7.
(2) سورة آل عمران، الآية: 81.
(3) الكتاب المقدس العهد الجديد، إنجيل متى، 17: 5.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وقد ظهرت على يد عيسى عليه السلام معجزات وكرامات كثيرة، كانت آيات من الله تعالى على نبوته وصدق رسالته، لأن الله جل جلاله أيده بروح القدس، ومنحه القدرة على الإتيان بأعمال خارقة يعجز عنها البشر العاديون، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[2].

وقد اختار عيسى عليه السلام اثني عشر شخصاً من الأشخاص الذين آمنوا به واتّبعوه، فجعلهم من خواص تلامذته ويسمون الحواريون، وقد منحهم عيسى عليه السلام بإذن الله القدرة على القيام ببعض الأعمال الإعجازية، ليستعملوها بعد رفعه بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

فمن معجزات عيسى عليه السلام أنه أحيا الموتى بإذن الله عدة مرات، كما أنه عليه السلام كان يخبر الناس بما يأكلون وبما يخبئون في بيوتهم من الطعام وبما سيجري عليهم بالمستقبل، كما أنه عليه السلام كان بإذن الله يشفي المرضى لا سيما أصحاب الأمراض المستعصية كالأعمى والأبرص والمشلول وغير ذلك، لذا كان الناس يتوافدون إليه من القرى والمدن، حاملين مرضاهم وذوي عاهاتهم، طالبين بركته لشفائهم ودعاءه لهم، وكان الله سبحانه يستجيب لدعائه ويشفيهم على يده،

(1) سورة المائدة، الآية: 46.
(2) سورة البقرة، الآية: 87.

وكانت هذه الكرامات من نعم الله جل جلاله على رسوله المسيح عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

ورغم هذه المعجزات العديدة والمتكررة، كان بعض بني إسرائيل يشككون في نبوته، فكانوا يتهمونه بالسحر، وكانوا يطلبون المزيد من المعجزات، ومنها معجزة المائدة السماوية التي طلبها الحواريون كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[2].

وقد وهب الله سبحانه لنبيه عيسى عليه السلام العديد من الكرامات

(1) سورة المائدة، الآية: 110.

(2) سورة المائدة، الآيات: 112 - 115.

أيضاً، منها القدرة على المشي فوق الماء بإذن الله تعالى، وغير ذلك من المعجزات والكرامات التي تهدف إلى تأكيد صدق نبوته وبعثته من قبل الله تعالى.

وقد كان المسيح عليه السلام كثير التذكير بالله تعالى وكثير النصح لأمته، وكان في تنقلاته وخطبه وحلقاته ينطق دائماً بالمواعظ، ويدعو الناس إلى التفكير في اليوم الآخر، ويضرب الأمثال، ويدعو الناس إلى البر ببعضهم البعض، وتنقل عنه في هذ المجال أقوال وحكم رفيعة، هي آيات من الحكمة والتعاليم الخلقية الإنسانية السامية.

هذا وقد أمضى السيد المسيح عليه السلام مدة بعثته البالغة ثلاث سنوات في طاعة الله، وجرت معه العديد من الأحداث تحدثنا عن قسم منها في مقالة زكريا ويحيى عليهما السلام، وما حصل معه في بداية حياته الشريفة مع والدته البتول مريم عليها السلام.

أما عن مرحلة أواخر أيامه على الأرض وقبل رفعه إلى السماء، فإنها تتلخص بمسألة إصرار أحبار اليهود بالوشاية عليه لدى الحاكم الروماني، وذلك بتهمة أنه يريد أن يقيم مملكة له ليحكمها على أنقاض حكم الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي استدعى إصدار الأمر بإلقاء القبض عليه لإعدامه، ومن أجل تعريف الجنود الرومان على شخص السيد المسيح عليه السلام ومكان تواجده فقد استعانوا بأحد أتباعه الذي خانه ووشى على مكانه، ويقال بأن اسم هذا الخائن (يهوذا الأسخريوطي).

وكانت الخطة أن يأتي بهم إلى مكان تواجده في كوخ في بستان ثم يسلم عليه فيعرفونه ويلقون القبض عليه، فلما دخل عليه ليخرجه بالحيلة إلى الجنود المنتظرين في الخارج لم يجده، فحار في أمره وجعل يدور يميناً وشمالاً وهو يتفقده، فعاقبه الله تعالى بأن جعله شبيهاً للسيد المسيح عليه السلام، بحيث أن من يراه يعتقد أنه هو السيد المسيح، فلما خرج أخذه الجنود وجعلوا يضربونه ويشتمونه ويعذبونه بشدة، وهو يصرخ بأنه ليس هو المسيح وهم لا يعبأون به ولا يصدقون كلامه، ثم صلبوه كعادة الرومان في الإعدام، وأشاعوا بين الناس أنهم قتلوه ودفنوه. وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1].

أما المسيح عليه السلام فإن الله تعالى توفاه إليه، أي تلقاه إليه ورفعه إلى السماء وهو حي، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، فالوفاة كالموافاة بمعنى الوصول والملاقاة واللقاء، وبهذا المعنى أيضاً القول: إن فلاناً توفاه الله، أي أنه لاقى ربه ووصل إليه، فالوفاة ليس معناها الحصري الموت، بل يقال للموت مجازاً أنه الوفاة، لأن به تنتقل الأنفس إلى خالقها وتلاقيه[3].

(1) سورة النساء، الآية: 157.
(2) سورة آل عمران، الآية: 55.
(3) تواريخ الأنبياء، مصدر مذكور، ص398.

وعلى أي حال، فإن المسيح عليه السلام في معتقد المسلمين جميعاً قد رفع حياً إلى السماء، ولم يقتل ولم يصلب اعتقاداً بالآية التي مرّت معنا، والتي تنفي صراحة وقوع هذا الأمر.

أما عن الأماكن المقدسة في فلسطين والتي تحمل اسم السيد المسيح عليه السلام:

1 - فأهمها كنيسة المهد في بيت لحم، وهذه الكنيسة بنيت في المكان الذي يعتقد بولادة السيد المسيح عليه السلام، فيه، والتي تحدثنا عنها بأنها وردت في القرآن الكريم باسم: (ربوة ذات قرار)[1].

2 - كنيسة القيامة، وهذه الكنيسة بنيت فوق المكان الذي يعتقد فيه المسيحون بأن السيد المسيح عليه السلام صلب ودفن فيه، وقد تقدم معنا أن المسلمين لا يقولون بمسألة الصلب أو الدفن[2].

3 - جبل الزيتون، وذلك على اعتبار أن السيد المسيح عليه السلام قد صعد وبشّر فيه وبلّغ الناس عن الله، كما أن فيه قبر السيدة مريم

(1) البداية والنهاية، مصدر مذكور، ج2، أنظر: الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص160 وما بعدها. وانظر أيضاً: تاريخ سورية الدنيوي والديني، المطران يوسف الدبس، بيروت، ج2، ص25 وما بعدها.
وانظر أيضاً: خطط الشام، مصدر مذكور، ج6، ص6، أنظر: موسوعة القدس، مصدر مذكور، ج2، 248.

(2) سفرنامه، مصدر مذكور، ص88. وانظر: مسالك الأبصار، مصدر مذكور، ج1، ص261، وانظر: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج1، ص418. وانظر: تاريخ ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص245 وما بعدها.

البتول عليها السلام ، وكنيسة مريم المجدلية إحدى النساء اللواتي التحقن بالسيد المسيح عليه السلام [1].

4 - كنيسة الصعود، وهي تقع في دير صهيون على جبل الزيتون حيث يعتقد أن السيد المسيح عليه السلام صعد إلى السماء بحسب المعتقد المسيحي، والتي يعتقد أن السيد المسيح عليه السلام تناول في هذا المكان العشاء الأخير مع تلامذته[2].

بالإضافة إلى العديد من الأماكن التي زارها السيد المسيح عليه السلام أو أشار إليها، وغيرها من الأماكن التي تنسب إلى تلامذته وغيرهم من القديسين في المسيحية[3].

فالسلام على روح الله وكلمته التي ألقاها الله تعالى إلى مريم البتول عيسى بن مريم عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

(1) الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص168. وانظر: خطط الشام، مصدر مذكور، ج6، ص6 وما بعدها.

(2) طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص480. وانظر: الإنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص167 وما بعدها.
وانظر: قاموس الكتاب المقدس، مصدر مذكور، ج1، ص522. وغير ذلك من المصادر والمراجع.

(3) رحلة ابن الجبير، مصدر مذكور، ص242 وما بعدها.

صورة فنية ترمز للسيدة مريم عليها السلام

صورة لكنيسة الرقاد الأخير
حيث مكان دفن السيدة مريم عليها السلام

صورة للباحة الخارجية

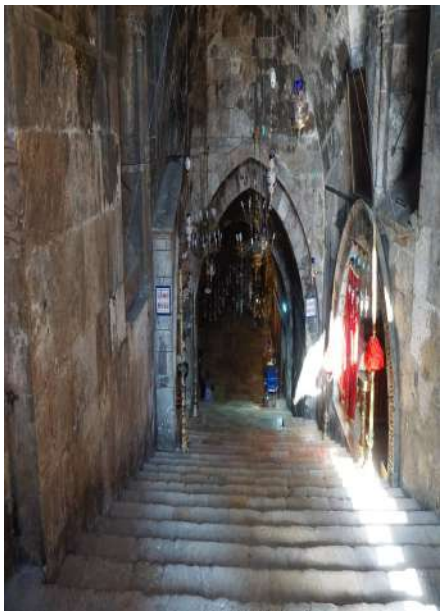

صورة للسلم الذي يوصل إلى باحة الكنيسة الداخلية

صورة لبعض المقتنيات المهداة إلى الكنيسة

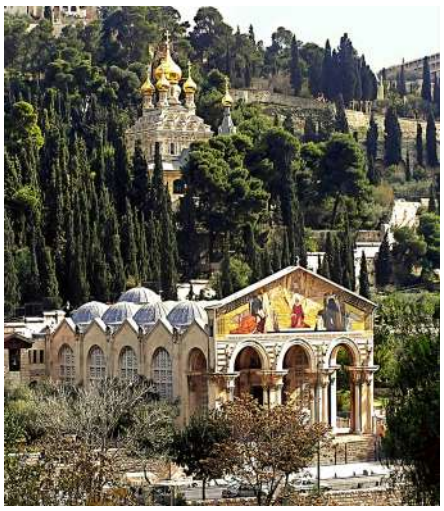

صورة بعيدة للكنيسة الجسمانية

صورة اقرب لواجهة الكنيسة الجسمانية

صورة لجدارية في كنيسة الرقاد الأخير

مقام السيدة مريم عليها السلام
وتبدو مجموعة من الزوار

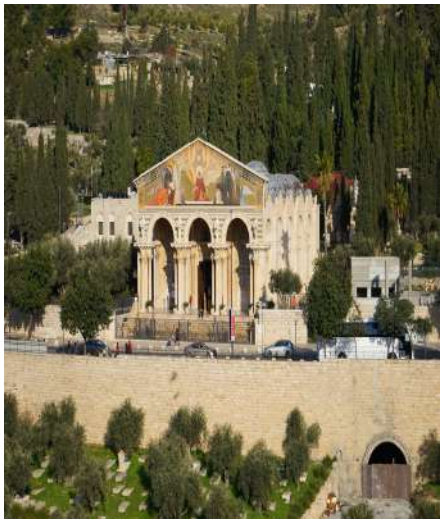

صورة من بعيد للمكان الذي يقال ان السيدة
مريم عليها السلام مدفونة فيه وتعرف بالكنيسة الجسمانية

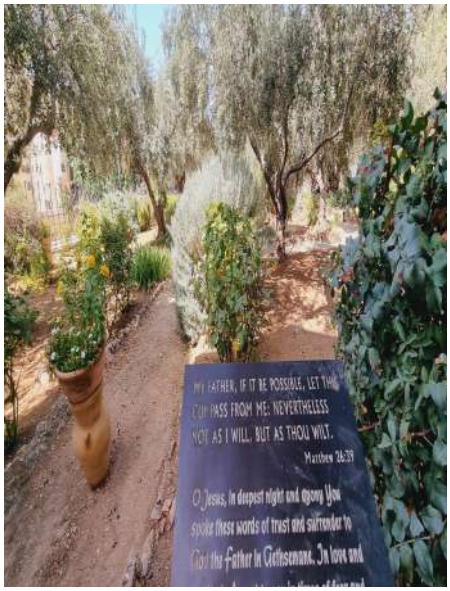

صورة لحقل الزيتون الذي
كان يبشر فيه السيد المسيح عليه السلام

المكان الذي يقال بأن السيد المسيح
كان يعلم فيه تلامذته

مئذنة النبي داوود عليه السلام
حيث يعتقد انه مكان العشاء الأخير

صورة للدرج الموصل إلى الكهف
في قانا الجليل في الجنوب اللبناني

صورة لمدخل الكهف في قانا

صورة من داخل الكهف في قانا

شمعون الصفا عليه السلام
أو سمعان القانوني الغيور

خلّد الله سبحانه وتعالى أسماء رسل السيد المسيح عليه السلام من الحواريين، وذلك من خلال تشريف ذكرهم في القرآن الكريم في سورة يس، حيث جاء فيها: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[1].

وهذه الآيات يخبرنا المولى سبحانه فيها عن الأحداث التي جرت مع رسل السيد المسيح عليه السلام والذين أرسلهم إلى قرية من القرى، للدعوة إلى الله والتبشير بالسيد المسيح عليه السلام والإنجيل.

وكنا قد ناقشتا هذا الموضوع في بحث مفصل في كتاب محطات مشرقة[2]، لذا فبإننا سنشير إلى أهم النقاط التي وردت حول هذا الموضوع وبشكل مختصر، على اعتبار أننا أحلنا القارئ العزيز إلى

(1) سورة يس، الآيتان: 13 - 14.

(2) محطات مشرقة في التراث المسيحي الإسلامي، أحمد قيس، دار الملاك، بيروت، ص71.

الكتاب المذكور، حتى يطلع على تفاصيل حياة هؤلاء الرسل عليهم السلام والأحداث التي جرت معهم بشكل مطوّل.

وعليه، فإن هذه القرية باللغة القرآنية تشير إلى مدينة عامرة وليس إلى قرية صغيرة منعزلة كما يتبادر إلى الأذهان، وهذه القرية (المدينة) هي (أنطاكية) من أرض الروم، وكان أهلها من عبدة الأوثان وعليهم ملك يدعى (أنطيخس)، وأنطاكية واحدة من أقدم مدن الشام حيث بنيت على رأي المؤرخين بحدود العام 300 قبل الميلاد.

وأيام بعثة السيد المسيح عليه السلام، أرسل عليه السلام رسولين إلى أنطاكية حتى يدعوان أهلها إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام، فلما وصلا إليهما كذبهما أهلها وحبسهما الملك، ولما طالت مدة وجودهما فيها علم السيد المسيح عليه السلام بما جرى معهما فأرسل خلفهما رأس الحواريين الذي بقي في أنطاكية مدة من الزمن تقرّب خلالها من الملك، واستطاع بحنكته وحسن تدبيره بعد التوفيق الإلهي له، أن يقنع الملك بدعوة السيد المسيح عليه السلام، وأن يطلق سراح الرسولين، وأن يصبح الدين المسيحي هو الدين الرسمي والأوحد بعد أن كانت الوثنية هي السائدة.

أما عن أسماء الرسولين، فإن الروايات متضاربة ومختلفة حول تحديد هويتهما بشكل دقيق، إلا أنهما من الحواريين وهذا مؤكد، وعلى الأرجح أنهما (توما ويوحنا)، أما الثالث وهو رأس الحواريين فهو عليه السلام (سمعان القانوني) والملقب بالغيور لشدة حرصه على تنفيذ أحكام الشريعة، وهو من قرية (قانا الجليل) التي تقع حالياً في الجنوب اللبناني.

واسم (سمعان) هو اسم عربي ومعناه بالسريانية (شمعون)، ويوجد بين تلامذة السيد المسيح عليه السلام اثنين يحملون اسم (سمعان) أو (شمعون)، وهما:

1 - (سمعان بن يونا) المعروف عند المسيحيين بالقديس بطرس، وهو مدفون حالياً في روما في (بازليك مار بطرس) المعروف.

2 - (سمعان القانوني) المعروف بالصفي والغيور، ونعته عليه السلام بالقانوني بحسب القديس (حيروم) وآخرون، لتمييزه عن سمعان (بطرس)[1].

وشمعون الصفا هذا عليه السلام مدفون حالياً في قرية شمع في جنوب لبنان حيث يوجد له مقام معروف، وكانت هذه هي النتيجة التي وصلنا إليها في بحثنا في الكتاب المذكور (محطات مشرقة) والله تعالى أعلم[2].

بالإضافة إلى وجود كهف قانا الجليل الذي ينسب (عرس قانا) لسمعان القانوني.

ومهما كان الحال، فالسلام على عيسى روح الله، والسلام على رسله وحوارييه، لا سيما (شمعون الصفا)، والسلام على المخلصين والأحرار والمضحين في سبيل الله أينما كانوا، ورحمة الله وبركاته.

---

(1) محطات مشرقة، مصدر مذكور، ص82 وما بعدها.

(2) للتوسع حول حياة (شمعون الصفا) أنظر على سبيل المثال: التفسير الكبير للفخر الرازي عند تفسيره لسورة ياسين. وأيضاً: تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي عند تفسيره لسورة ياسين أيضاً.

صورة لمقام شمعون عليه السلام
في منطقة شمع في جنوب لبنان

صورة للمقام من الخارج

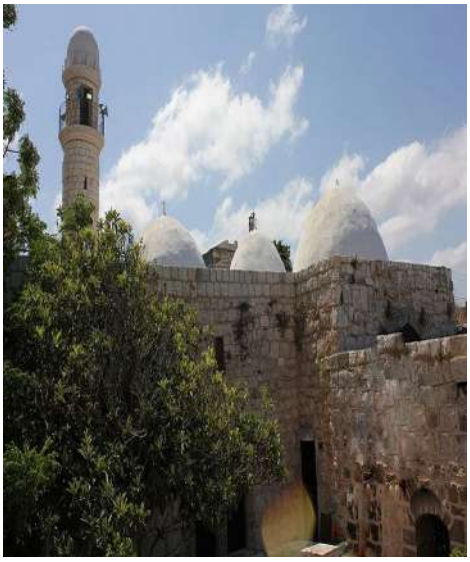

صورة لمئذنة المقام من الخارج

صورة للرواق الداخلي

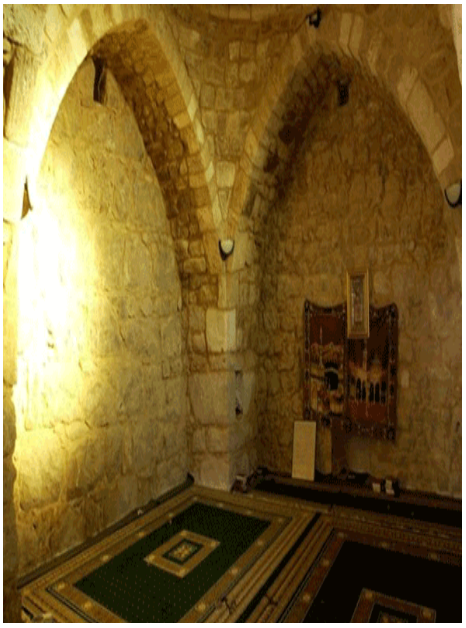

صورة داخلية للمسجد والمقام

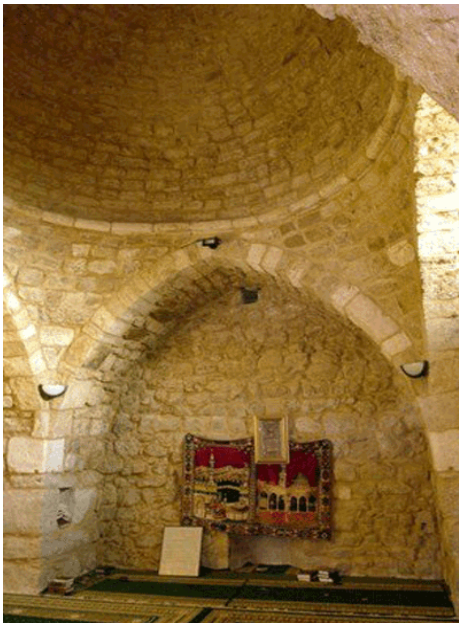

صورة محراب المسجد

صورة لقبة المقام من الداخل

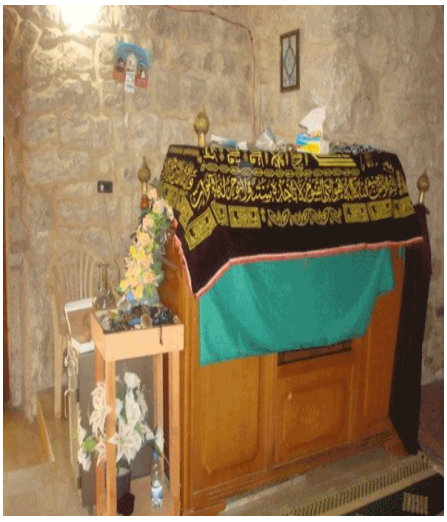

صورة الضريح الشريف

أيضاً صورة جانبية للضريح الشريف

صورة اقرب للضريح الشريف

أهل الكهف والرقيم

خلّد الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف من خلال ذكرهم في القرآن الكريم، إذ وردت سيرتهم المباركة في سورة قرآنية حملت اسمهم وهي سورة الكهف، ومما جاء فيها: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[1].

ولا بد من الإشارة من أن أهل أو أصحاب الرقيم الوارد ذكرهم في هذه الآية المباركة، هم غير أصحاب الكهف موضوع هذا البحث.

كما لا بد من الإشارة أيضاً أننا تحدثنا عن أصحاب الكهف بشكل مطول، وذلك في كتابنا محطات مشرقة، حيث ناقشنا فيه كافة التفاصيل المتعلقة بهؤلاء المؤمنين الذين مدحهم الباري ﷻ، بالإضافة إلى ما

(1) سورة الكهف، الآيات: 9 - 13.

ورد فيهم من آراء مختلفة لا سيما بين المسيحية والإسلام[1].

أما عن الأسباب التي أوجبت ذكرهم في هذا الكتاب فهي على الشكل الآتي:

1 - إنهم على ملة ودين السيد المسيح عليه السلام بشكله النقي والصحيح.

2 - أن تاريخ أحداث قصتهم تعود إلى الفترة الواقعة بين ارتفاع السيد المسيح عليه السلام وظهور خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - وأن الكهف المذكور والذي يضم جثامينهم المباركة يقع في أكناف بيت المقدس ناحية قرية تسمى (رجيب) من بلاد الشام، وذلك بحسب خلاصة البحث الذي ذكرناه في كتابنا (محطات مشرقة)[2].

4 - أهمية هذه الحادثة ودلالاتها العلمية والإيمانية والأخلاقية، إذ أنها تتمحور حول مسألتين: قدرة الله تعالى ورحمته، والنموذج في حسن العاقبة للمؤمنين به تعالى.

هذا مع الإشارة إلى ضرورة الرجوع للكتاب المذكور، والاطلاع على سيرة حياة هؤلاء الفتية الكرام التي استفضنا بها فيه، لما تحمل سيرتهم العطرة من صدق الإيمان بالله سبحانه، وصدق التوكل عليه، وهجرة الدنيا وزخارفها في سبيل طاعة الله ورضوانه.

فالسلام على هؤلاء الفتية الكرام ورحمة الله وبركاته.

---

(1) محطات مشرقة، مصدر مذكور، ص125 وما بعدها.

(2) محطات مشرقة، مصدر مذكور، ص142 وما بعدها، وانظر: معجم البلدان، مصدر مذكور، ج4، ص415، بالإضافة إلى معظم كتب التفاسير القرآنية.

جدارية ترمز إلى مكان الكهف

صورة للمسجد المبني فوق الكهف

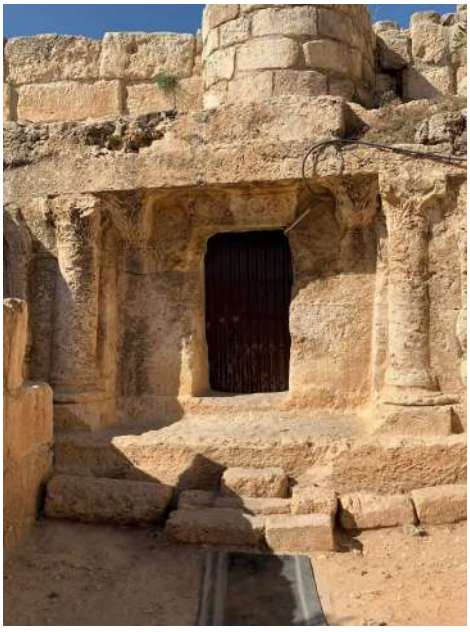

صورة لمدخل الكهف

صورة لبعض الاضرحة من الداخل

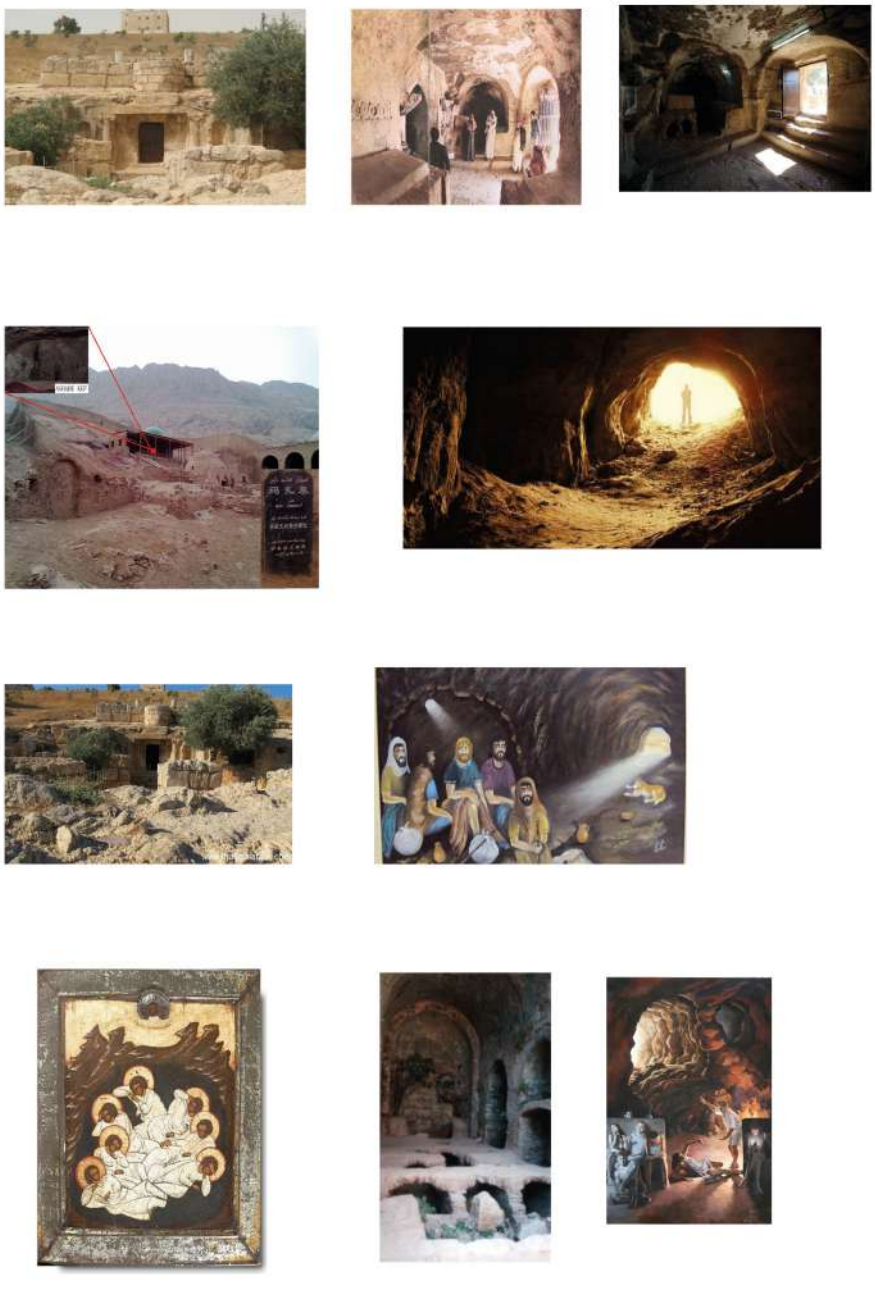

صور فنية ترمز لقصة حياة أهل الكهف عليهم السلام

١- صورة عن الكهف وتبدو أشعة الشمس داخله

٢- صورة عن كيفية شكل الغار وتميزه عن الكهف

٣- صورة لمدخل غار حراء الذي كان النبي (ص) يتعبد الله فيه وهو في جبل النور في مكة المكرمة

٤- صورة عن شكل الكهف بشكل عام حيث أنه يبدو واسعاً بخلاف الغار

٥- صورة قديمة جداً ترمز الى رقدة أصحاب الكهف

٦- صورة قديمة ترمز الا دقيانوس وهو يأمر باغلاق الكهف على أصحاب ٥ بعد وجدهم

٧- صورة قديمة ترمز الى أصحاب الكهف ويبدو الكلب جالساً عند عتبة الباب

٨- صورة لكهف بقسوس قرب أزمير في تركيا

٩- صورة خارجية للكهف في منطقة رجيب في عمان الأردن من الخارج

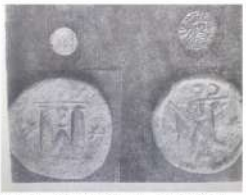

١٠- صورة قديمة عن الصلة التي وجدت داخل أحد الكهوف المنسوبة الى أهل الكهف

صورة لعصة وهيكل عظمي ينسب الى كلب أصحاب الكهف بالإضافة الى عدد من الجماجم ولحن لا نعتقد بصحة ذلك

مجموعة أخرى من الصور الفنية

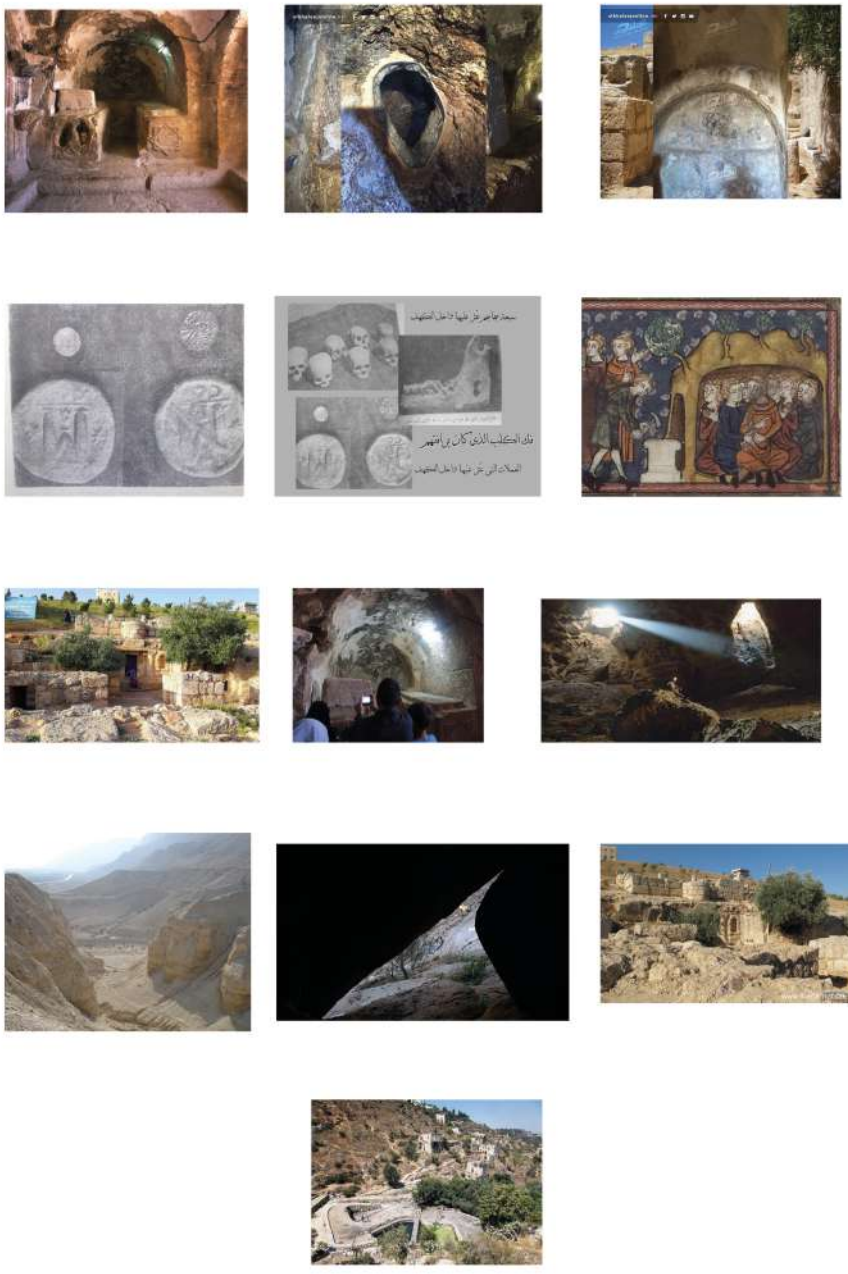

وأيضاً مجموعة أخرى فنية

السيد هاشم عليه السلام رمز النسب الشريف

هو: عمرو العلاء بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وهكذا حتى يصل النسب إلى إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكنيته التي اشتهر بها ولم يعد يعرف إلا بها هي (هاشم)، وسيأتي الكلام عن سبب ذلك[1].

وبالإضافة إلى نسبة الشريف الذي يتصل بخليل الرحمان إبراهيم عليه السلام، فإنه ينحدر من صلب سيد العرب الملقب بقريش وهو فهر بن مالك، كما جاء في تاريخ أبي الفداء: إن القرشيين الذي تزعموا العرب بسبب استيلائهم على البيت واعتكافهم بجواره هم الذين توالدوا من فهر بن مالك وكان يعرف بقريش، ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً، وقيل إن السبب في تسميته بهذا الاسم، إنه كان قوياً شديد الساعدين يشبه في قوته دابة من دواب البحر اسمها (القرش)،

(1) تاريخ ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص544، وانظر: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج2، ص170 وما بعدها. وانظر: سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد الواحدي، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1991، ص178 وما بعدها.

حيث تفترس جميع ما يعترضها من دواب البحر وتتغلب عليها، وعليه هذا الاسم وصفاً له لا علماً عليه[1].

وأيضاً من أجداده المشهورين بين العرب قاطبة: كعب وكلاب، حيث أن العرب كانت تعتبر أن الانتساب إلى هذين الرجلين من ذرية فهر، هو مدعاة للفخر والعزة على الآخرين. لذا اعتبرت العرب أن أشدّ الهجاء في الشعر هو البيت القائل: لا كعباً بلغت ولا كلاباً، وهذا من باب ذم من لم يتشرف بالانتساب لهما.

وأيضاً من أجداده قصي بن كلاب الذي استرد مفتاح بيت الله الحرام من بني خزاعة، والذي جمع قبائل العرب وأسكنهم في محيط البيت الحرام، والذي أيضاً بنى دار الندوة حيث كانت قريش تجتمع وتتشاور وتقضي أمورها بإشرافه وزعامته، وهو الذي جدد عمارة الكعبة وقسّم جهاتها بين طوائف قريش.

وقد اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب، فكان بيده سدانة البيت الشريف وتوليه مفتاحه وخدمته، وكذا كان بيده رفادة الحاج بالطعام، وكذلك سقاية الحاج، بالإضافة إلى عقد لواء الحرب وقيادة الجيش، وهذه كلها كانت من المناصب المختصة به دون غيره. وكان أمر قصي في قومه كالدين المتبع في حياته ومماته، لا يخالف ولا يرد عليه شيء من أفعاله، ولا يعمل بغيره لنفوذ سلطانه وعظم شأنه.

(1) 3 البداية والنهاية لابن كثير، مصدر مذكور، ج2، صد 218 وما بعدها. وانظر: سيرة المصطفى ﷺ، هاشم معروف الحسني، دار التعارف، بيروت، 2007م، ص32 وما بعدها.

وقال فيه الشاعر الجاهلي حذاقة بن غانم:

أبوكم قصي كان يدعى مجمّعاً به جمع الله القبائل من فهر[1]

أما عبد مناف بن قصي وهو والد هاشم، فقد ذاع صيته وشرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب، فلما جاء دوره بعد وفاة أبيه قصي، استطاع أن يحتفظ بتلك الزعامة ويثبتها بنشاطه وحكمته من خلال تحالفه مع باقي العرب على نصرة المظلوم ورد كيد المعتدين والباغين.

وقد وجدت العرب في عهده نوعاً من الهدوء والاطمئنان أفضل مما كان في عهد أبيه، حيث شهد عهده بالتحالفات بين قبائل العرب، منها: حلف الأحابيش، وحلف المطيبين، وحلف الأحلاف، وحلف الفضول الذي حصل في دار عبدالله بن جدعان التيمي، والذي أثنى على هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بعد بعثته الشريفة.

وقد رزق عبد مناف بعدة ذكور، وكان من أبرزهم عمرو العلاء الذي عرف بهاشم بعد أن أطعم الجائعين في السنين المجدبة، وهشم لهم الثريد، فغلب عليه هذا الوصف، ولم يعد يعرف بغيره، فتولى زعامة قريش بعد أبيه، وانتقلت إليه كل ما كان بيد والده عبد مناف من الأمور والزعامة والرياسة على العرب.

أما إخوة هاشم فهم: عبد شمس، والمطلب، ونوفل.

وهاشم وعبد شمس توأمان إلا أن هاشم هو الأكبر، وقد جرت حادثة عند ولادتهما وردت في المصادر والمراجع التاريخية، والتي

(1) سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مصدر مذكور، ص187.

تتحدث عن التصاق بينهما حيث اضطرت القابلة أن تفصل بينهما بسكين، فقيل يوم ذاك إن هذين سيحصل بينهما من التقاطع ما لم يكن بين أحد من الناس.

وصدقت هذه المقولة وسنتحدث عنها في الآتي من الكلام، لكن نريد الآن أن نتعرف على ذرية هاشم بعدما تعرفنا على نسبة الرفيع الدنيوي والديني.

فهاشم هو عليه السلام والد (اسد بن هاشم) جد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أنه والد (عبد المطلب) المعروف (بشيبة الحمد) وعبد المطلب عليه السلام هو سيد قريش والعرب بعد أبيه هاشم عليه السلام، وهو الذي واجه أبرهة الحبشي الذي أراد غزو مكة وتهديم الكعبة المشرفة بواسطة الفيلة، وهو العام الذي عرف لاحقاً بعام الفيل، والذي أنزل الله تعالى على رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عند بعثته سورة قرآنية حول هذا الأمر، لتخلّد كرامة عبد المطلب عليه السلام الذي استجاب الله لدعائه فأرسل الطير الأبابيل التي رجمت أبرهة وجيشه وهزمتهم بقدرته تعالى.

وهو أي عبد المطلب عليه السلام الذي أعاد حفر بئر زمزم، وهو أول من بني بابا للكعبة من الذهب بعد أن جعل في داخلها الكنوز والهدايا التي تحمل إليها وكساها.

وعبد المطلب عليه السلام هو والد حمزة عليه السلام سيد شهداء أهل الجنة وعم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو والد أبو طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكافله بعد وفاة جده عبد المطلب عليه السلام، وأبو طالب عليه السلام هو والد

الإمام علي عليه السلام ، وعبد المطلب هو الذي استرضع للنبي من السيدة حليمة رضي الله عنه ، وهو أي عبد المطلب الذي رأى في منامه البشرى بولادة سيد الكونين صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أنه عليه السلام هو والد عبدالله المعروف (بالذبيح) والد خاتم النبيين محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

لذلك فإن هاشم عليه السلام هو حلقة الوصل بين إبراهيم الخليل عليه السلام ومحمد المصطفى الأمين صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا يقول الشاعر:

قريش خير بني آدم وخير قريش بنو هاشم
وخير بني هاشم أحمد رسول الإله إلى العالم(1)

وقبل العودة إلى معرفة الأحداث التي حصلت مع هاشم عليه السلام أثناء توليه زعامة العرب وقريش بعد والده عبد مناف عليه السلام ، لا بد من الإشارة إلى مسألة تثار في الأوساط الإسلامية وهي مورد اختلاف كبير وخطير، حيث أن هذه الأراجيف والافتراءات تتحدث عن أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده كانوا مشركين بالله يعبدون الأصنام، وهذه التخرّصات سيسألون عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وذلك لأن الملة أو الديانة الحنيفية التي نادى بها إبراهيم عليه السلام والقائمة على أساس وركن التوحيد، هي التي كانت سائدة ومستمرة مع ولده من ذرية إسماعيل عليه السلام ، وعليه فإن كل أجداد النبي كانوا أحناف على ملة إبراهيم عليه السلام ، وكما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ

(1) سلسلة آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مصدر مذكور، ص197.

﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، فالنبي ﷺ كان ينتقل في أصلاب الرجال المؤمنين بالله سبحانه والساجدين عبادة وطاعة له تعالى، وفي أرحام المؤمنات العفيفات الطاهرات، أما هذه الجرأة على الله ورسوله فهي من رواسب ومخلفات الجاهلية حسداً على هذه الذرية الطيبة من لدن إبراهيم عليه السلام إلى رسول الله ﷺ، والآية التي ذكرناها هي أصدق دليل لأنها تنزيل من رب العالمين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[2].

وإذا ما أردنا أن نأخذ مثالاً واقعياً على هذا الغلّ والحسد لا سيما في زمن سيادة هاشم عليه السلام على قريش والعرب، ننقل وباختصار ما ذكرته المصادر التاريخية حول مسألة عداوة (أمية بن عبد شمس) لعمه هاشم عليه السلام، حيث جاء فيها ما مضمونه: بعدما تولى هاشم زعامة قريش والعرب وكان من ضمنها سدانة الكعبة وإطعام الحجيج وسقايتهم، نازعه أمية عليها وادعاها لنفسه، وكادت الفتنة أن تقع بين أتباعهما، فألّحت قريش على هاشم عليه السلام أن يقبل بالتحاكم بينه وبين ابن أخيه عند الكاهن الخزاعي والذي هو جد (عمرو بن الحمق الخزاعي)، فوافق هاشم عليه السلام على ذلك بعدما جعل بينهما شرطاً: خمسين ناقة لصاحب الحق، وأن يبقى المغلوب بعيداً عن مكة لمدة عشرين عاماً وفي بعض المصادر عشر سنين، وكانت نتيجة التحكيم لمصلحة هاشم عليه السلام، فاستلم من ابن أخيه الإبل ونحرها للحجاج

(1) سورة الشعراء، الآيات: 217 - 220.
(2) سورة النساء، الآية: 122.

والوافدين، وخرج أمية من مكة إلى بلاد الشام، فأقام فيها عشرين عاماً مطروداً من الحجاز، والزعامة في بيت عمه هاشم عليه السلام [1].

وهذا الغل والحسد هو الذي جعل أبو سفيان يعاند ويحارب ويتصدى لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمر الأمر من بعده إلى بني أمية وبني هاشم، والذي أدى إلى ما أدى إليه من مجازر بحق العترة النبوية الهاشمية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهاشم عليه السلام هو الذي ذكرته الآية ضمناً من باب المن الإلهي على قريش والعرب وذلك في سورة (قريش)، حيث أنه هو أول من سنّ رحلة الصيف والشتاء للتجارة ما بين الحجاز واليمن والحبشة والشام، كما أنه هو الذي استطاع أن يجري الاتفاقيات مع الروم والقبائل المختلفة في سبيل ضمان أمان هذه القوافل، ولأن كل ذلك تحقق بفضل الله وبواسطة عبده الصالح هاشم عليه السلام، أراد المولى عز وجل تذكير هؤلاء العرب بنعمه الخفية والظاهرة عليهم ليتوجهوا إلى عبادته لأنه سبحانه هو وحده أهل لذلك، كما جاء في السورة المباركة: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [2].

(1) تاريخ الطبري، ج2، ص170، وانظر تاريخ ابن الأثير، ج1، ص544. وانظر البداية والنهاية، ج2، ص224. وانظر سلسلة آباء النبي، ص202، وانظر سيرة المصطفى، ص34. وانظر أيضاً: هاشم وأمية، صدر الدين شرف الدين، دار القلم، بيروت 1981، 17 - 78.

(2) سورة قريش، الآيات: 1 - 4.

أما عن مرحلة نهاية حياة السيد هاشم عليه السلام، فتقول المصادر والمراجع بأنه خرج في تجارة إلى بلاد الشام، وعندما وصل منطقة (غزة) بفلسطين التي هي من الشامات، مرض هناك وتوفى على إثر هذا المرض ودفن فيها.

ولهذا السبب تعرف غزة (بغزة هاشم) لوجوده الشريف فيها، وهذا القول هو مورد إجماع بين أصحاب السير والتاريخ ولا خلاف عليه وخاصة أنه عليه السلام رمز النسب الشريف[1].

وقبل الختام أريد أن أثير مسألة قد لا تعجب البعض من المسلمين، إلا أن مسؤوليتها أمام الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، هي التي تهمني ولا شيء آخر.

فمن المعلوم لدى القاصي والداني أن من ينتسب إلى هاشم عليه السلام بأي طريق كان[2] يعتبر من الأشراف، أما إذا كانت ينتسب لهاشم عليه السلام عن طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد أفراد ذريته الطاهرة، فيعتبر حينها من السادة الأشراف.

وعليه، فإننا نجد أن الملوك والزعماء والرؤساء وغيرهم ممن لديه

---

(1) المقصود هنا أن يكون الانتساب لهاشم عن طريق العباس وأبو طالب والحارث أولاد عبد المطلب.
أنظر على سبيل المثال: نور الأبصار، مؤمن بن محسن الشبلنجي، دار الحسين الإسلامية، القاهرة، ص3 وما بعدها. وانظر: الأنس الجليل، ج1، ص174 وما بعدها. وانظر: طبقات الأنبياء، ج2، ص238 وما بعدها. وانظر: الإشارات إلى معرفة الزيارات، أبي الحسني الهروي، مكتبة الثقافة، مصر، ص37.

(2) هذا بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع التي ذكرت سابقاً في الهوامش.

أي صلة نسبة بهاشم عليه السلام يباهون غيرهم بذلك، وتحترمهم الناس لشرف انتسابهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى جده هاشم عليه السلام، لذلك نجد أن نقابات الأشراف المنتشرة في العالمين العربي والإسلامي تحرص كل الحرص على تتبع تفرعات هذه الشجرة الطيبة.

ومع كل هذا الشرف بالانتساب لهاشم عليه السلام ولو عن طريق بعيدة نسبياً، نجده عليه السلام مدفوناً في أرض غزة في فلسطين كأنه غريباً أو ليس بذي شأن، وعلى الأقل في هذا الزمان الذي نعيشه، والذي يزيد في القلب حسرة أن هذه المنطقة التي يقع ضريحه فيها بيد سلطة تدعي حرصها على الإسلام!! فكيف يعقل ويقبل هذا منهم ومقامه مهجور ويمنع الناس من زيارته ودعاء الله تحت قبته الشريفة؟ والأنكى من ذلك تحويل قسم من هذا المقام إلى محطة تكرير للمياه!! بالإضافة إلى إزالة كسوة الضريح من على الضريح، كما وإزالة كل ما يشير إليه بسبب أو نسب!! وكل ذلك بحجة عدم جواز الوقوف عند الأضرحة والتوسل إلى الله بأصحابها!! فعلى هذه المقولة هل يجب منع الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما ؟!!

أليس هذا جفاءً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أوليس هذا جفاء للإسلام!! حيث أن هذه الممارسات والأفهام المغلوطة تساهم في طمس تاريخنا وبالتالي قيمنا ودیننا[1]؟!

(1) التوسل من منظار القرآن والسنة والعقل، أحمد قيس، دار الملاك، بيورت. وانظر أيضاً: نور الأبصار، الشبلنجي، دار الحسين، مصر، ص192 وما بعدها. وانظر: الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص223.

وعلى كل حال أحببت أن أذكر من يتعظ بالذكرى، أو كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

ومهما يكن من أمر، فإن هذا المقام الشامخ في أرض فلسطين الأبية سيبقى بحول الله مصاناً من عاديات الزمان، كما حفظه المولى سبحانه على مر الزمان أما عنوانه: فهو يقع في مدينة غزة في حي الدرج في فلسطين الحبيبة، داخل إحدى الغرف الجانبية للمسجد القديم والذي يحمل اسمه الشريف[2].

فالصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله وعلى آل بيتك الطاهرين، وعلى آبائك الموحدين أجمعين، وعلى أصحابك الأخيار المنتجبين، وعلى جدّك هاشم رمز النسب الشريف ورحمة الله وبركاته.

(1) سورة ق، الآية: 37.

(2) تاريخ غزة، عارف العارف، مطبعة العمرانية، القاهرة، ص337.

صورة مقام ومسجد السيد هاشم عليه السلام

جدارية مدونة فيها تاريخ تجديد المسجد والمقام

صورة لمدخل المسجد والمقام الشريف

صورة لباحة المسجد الداخلية

صورة لرواق الباحة الخارجية للمسجد

صورة للمنبر داخل المسجد والمقام الشريف

صورة أخرى جانبية للمنبر

صورة للضريح الشريف
وتظهر معالم تجريده من الكسوة

صورة اقرب للضريح الشريف

صورة أخرى للضريح الشريف
ويبدو غياب كل ما يؤكد على هوية صاحبه

صورة للضريح الشريف المستهان به من خلال جعل محيطه الشريف محطة لتكرير المياه

المسجد الأقصى الشريف

إن الحديث عن أولى القبلتين وثالث الحرمين هو من الأمور التي تحتاج إلى الجهد الكبير لما تفرضه قدسية المكان من أهمية ورمزية امتدت على مساحة الزمن من بداياته حتى يومنا هذا، بل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا بالإضافة إلى أن معظم المسلمين الأوائل من العلماء كالمفسرين والجغرافيين، وأصحاب السير والتاريخ، والرحالة، كل أولئك كانوا قد استفاضوا بالحديث عن بيت المقدس، كما أنهم وضعوا العديد من المؤلفات حول هذا المكان المقدس وبشكل فيه الكثير من التفاصيل، كما أن الكتّاب المعاصرون لا سيما بعد نكبة العام 1948م قد انصبّ جهدهم بالكتابة عنه في سبيل تسليط الضوء على فلسطين بكل خصائصها ورموزها، وذلك بهدف عدم انسلاخ صورة هذا المكان المقدس والغالي من أذهان أبناء الأمتين العربية والإسلامية، وبالأخص أبناء فلسطين في الشتات.

لهذه الأسباب وغيرها فإنني لن أستفيض في شرح تاريخ وجغرافية هذا المكان المقدس، وذلك لإمكانية القارئ العزيز من العودة إلى

عناوين المصادر والمراجع التي ذكرناها في هوامش الكتاب، بالإضافة إلى غيرها الكثير هذا من جهة، كما أن الحديث عن تاريخ فلسطين بشكل عام وبيت المقدس بشكل خاص، يحتاج إلى كتابة بحث خاص به حتى يشمل كافة النواحي بشكل دقيق وواسع، إذ أن الاجتزاء أو الاختصار بهذا الأمر فيه إساءة أو بالحد الأدنى عدم إيفاء هذه البقعة الجغرافية المقدسة حقها، وهذا ما لا نراه مناسباً أو مقبولاً عندنا، من جهة أخرى.

وبناءً على ما تقدم، فإن هذا الكلام حول المسجد الأقصى الشريف سوف يكون محصوراً في نقاط ثلاثة:

الأولى: نبذة مختصرة عن تاريخ بناء هذا المسجد الشريف.

الثانية: أهميته في الوجدان الديني لا سيما عند أصحاب الرسالات السماوية.

الثالثة: مسألة حائط البراق أو حائط المبكى في الأدبيات اليهودية.

تاريخ بناء المسجد:

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن معنى المسجد هنا أعمّ من معنى المسجد في الأدبيات الإسلامية، أي أن معناه هو مكان العبادة لله على امتداد الزمان منذ لحظة إنشائه حتى يومنا هذا، حيث أن عبادة الله تعالى لم تتغير ولم تتبدل في المبدأ القائم على أساس التوحيد، والمتبدل والمتغير هو فقط التشريع في بعض الخصائص الاجتماعية

والحياتية، والتي هي بدورها كانت متطورة ومتغيرة لأسباب داخلية أو خارجية قهرية، فالتشريع المبدئي هو نفسه وبشكل طولي منذ آدم عليه السلام حتى النبي الخاتم ﷺ، أما المتغيرات أو المتبدلات أو المنسوخات فهي بشكل عرضي أفقي محدود.

وبعد هذا التوضيح نقول: إن أرض فلسطين هي أرض مباركة منذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض، حيث أن العديد من المؤرخين يعتبرون أن (أريحا) الفلسطينية من أقدم المدن المأهولة في العالم إن لم تكن هي الأولى.

كما أن المسجد الأقصى كان ثاني مسجد وضع للناس في الأرض بعد الكعبة المشرفة أو ما يعرف بالبيت الحرام، وأن المدة الزمنية بينهما هي أربعون سنة، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه حيث قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصله فإن الفضل فيه»، وهذا الحديث وارد في موسوعة الأحاديث النبوية الشريفة وفي معظم الكتب المشابهة لذلك، ويعتبر فيها صحيحاً ومتفق عليه.

وعليه، فإن هذا الحديث الشريف أشار إلى تاريخ العمارة الأولى له، والتي هي بحسب الظاهر كانت في زمن آدم عليه السلام وبإشرافه، في حين أن هناك آراء أخرى تذهب إلى أن سام بن نوح عليه السلام هو من بناه، أو أن يعقوب بن إسحاق عليه السلام هو الباني، وهذه الآراء متعارضة مع

الحديث الصحيح، ولكن يمكن تأويلها بأنه في مرحلة النبي داود عليه السلام ومن بعده ابنه النبي سليمان عليه السلام إنما بنيا هذا المسجد على أساس قديم موجود، لا أنهما المؤسسان له بل هما مجددان لهذا البناء، كما في حالة إبراهيم عليه السلام عندما رفع القواعد من البيت، أي عند بنائه للكعبة المشرّفة على الأساس القديم الذي كان موجوداً، والله سبحانه هو من دل إبراهيم عليه السلام على مكان البيت العتيق.

وبهذه الحالة تصبح الأقوال الواردة في بناء المسجد الأقصى غير متنافية أو متعارضة. ومن المعلوم في تاريخ الأنبياء عليهم السلام أن نبي الله داود هو من شرع في بناء المسجد أو بيت المقدس على الأساس القديم الموجود كما شرحنا سابقاً، ولكنه لم يكمله بل الذي أتمّ بناءه هو ولده نبي الله سليمان عليه السلام.

وقد بنى سليمان عليه السلام المسجد حيث هو الآن بوحي من الله تعالى، ولوجود (الصخرة) به، وهي الصخرة التي أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يتخذها قبلة للصلاة.

واستمر الأمر كذلك حتى أيام سليمان عليه السلام حيث بنى مسجداً حول هذه الصخرة، بحيث أصبحت في وسط المسجد، وظلت هذه الصخرة (قبلة) للمصلين والمؤمنين بالله سبحانه حتى عهد النبي الأكرم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ في بداية الدعوة الإسلامية كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون الأوائل يستقبلون وجوههم شطر بيت المقدس، إلى أن أمرهم تعالى أن يولوا وجوههم شطر الكعبة المشرفة في الحجاز وتحديداً مكة.

وقد عرف مسجد بيت المقدس أو مسجد الصخرة هذا وما حوله (بالمسجد الأقصى)، اعتباراً من تاريخ البعثة النبوية الشريفة، وتحديداً قبل زمن نزول آية تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، حيث حصلت المسألة المشهورة والمعروفة بالإسراء والمعراج مع النبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وهذه الآية مكية أي أنها نزلت في بداية الدعوة في مكة المكرمة، ومنذ ذلك الوقت أطلق على مسجد الصخرة وما حوله اسم المسجد الأقصى تعبداً بالنص القرآني من جهة، ولبعده عن الحجاز أي أقصى مسافة عنه، فسمي بالأقصى.

وعلى كل حال فإن هناك العديد من الآراء والأقوال حول أصل التسمية أو سببها، إلا أننا تركناها لأنها لا تخدم بحثنا المختصر هذا، واكتفينا بالإشارة الكلية لهذا الموضوع.

أما عن تفاصيل البناء وما جرى عليه من أحداث وخراب وما شابه ذلك، فإنه يمكن للقارئ العزيز الرجوع إلى المصادر والمراجع التي سنذكرها في ختام البحث.

(1) سورة الإسراء، الآية: 1.

أهميته في الوجدان الديني:

لا يخفى على أحد ما للمسجد الأقصى من أهمية في وجدان أصحاب الرسالات السماوية، إذ أن الأحداث التاريخية التي جرت فيه ومن حوله تركت آثارها على الإنسان على امتداد المعمورة، قديماً، وحالياً، ومستقبلاً، إذ أن بشائر النصر النهائي فيه، وراية العدل الإلهي سترفع فيه أيضاً.

وهو أيضاً المسجد الجامع لكل الشرائع والنحل، لأن الذي خط أساسه آدم عليه السلام كما تقدم، وزاره شيت ونوح عليهما السلام، وهاجر إليه إبراهيم الخليل ولوط عليهما السلام، كما أنه كان مركز عبادة الله ومسكن إسحاق ويعقوب عليهم السلام ويوسف وبنيامين عليهما السلام، وقبله أيوب وشعيب والخضر وموسى وهارون عليهم السلام، ويوشع بن نون وحزقيل وإلياس وذا النون عليهم السلام، وذو الكفل وصموئيل وداود وسليمان عليهم السلام، والعزير وزكريا ويحيى عليهم السلام، ومسقط رأس السيدة العذراء مريم وابنها السيد المسيح عليهما السلام، كما منه انطلق أنصار الله من الحواريين بالدعوة إلى الله على ملة عيسى ابن مريم عليه السلام، وإليه أسري بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً، ومنه عرج إلى السماء فكان قاب قوسين أو أدنى، كما أنه كان قبلة المسلمين الأولى، كذلك سيكون قبلة المسلمين في النصر الإلهي الموعود تحت ظلال راية المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والمسيح عليه السلام والخضر عليه السلام والياس عليه السلام والمؤمنين. فكيف بمسجد كهذا لا تهواه القلوب المؤمنة؟ وكيف لا تشد الرحال إليه لفك أسره من يد عصابات

إجرامية؟ نعم سيفك أسره، وستتلألأ أنواره على العالم من جديد ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[1].

مسألة حائط البراق أو المبكى:

في تفاصيل بناء سليمان عليه السلام للمسجد والتي ذكرتها جميع المصادر والمراجع التاريخية، أنه عليه السلام، بعد فراغه من بناء هذا المسجد جعل حوله سوراً محيطاً به من كافة جوانبه في سبيل حمايته وتحديد معالمه، وكان من نتيجة الغزوات التي شنت على القدس بشكل عام وبيت المقدس بشكل خاص، أنه تعرض للحرق والدمار والخراب، وكان يعاد بناؤه في كل مرة عقب هذه الغزوات، ولكن بقي من المعالم الخارجية له أي من السور المحيط به، قسماً من السور الغربي، وهذا القسم من السور الغربي عنده أناخت الدابة التي كانت تقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي يطلق عليها اسم (البراق)، ولهذا أصبح يطلق على هذا السور أو الحائط اسم (حائط البراق)، لذلك فإن لهذا المكان قدسية خاصة ورمزية في الوجدان الإسلامي، أما في المعتقدات اليهودية فإنهم يعتبرون أن هذا الحائط هو الأثر الوحيد المتبقي من بناء سليمان عليه السلام للهيكل أي المعبد أي المسجد.

لذلك فإنهم يقفون إلى جواره وبمحاذاته يبكون على ضياع مملكة

(1) سورة هود، الآية: 81. وانظر على سبيل المثال: فضائل بيت المقدس، مصدر مذكور، ص522 وما بعدها. وانظر: وثائق مقدسية تاريخية، كامل العسيلي، الجامعة الأردنية، عمان، ج1 و2 و3.

سليمان عليه السلام ، ويصلون عنده إلى الله حتى يعيد مجد بني إسرائيل الذي عرفوه أثناء حكمه عليه السلام [1].

وإذا ما أردنا مقاربة هذا الأمر بشكل بريء من الناحية الدينية نقول إن هذا الأمر غير منطقي للأسباب التالية:

1 - تقدم معنا في مقالة نبي الله سليمان عليه السلام أن بني إسرائيل يعتقدون أن سليمان عليه السلام (لم يتبع الرب تماماً كداود أبيه) بل إنه (عمل الشرّ في عيني الرب)[2]؟!! بل أكثر من ذلك: أنه بزعمهم كان يذبح للأوثان هو وزوجاته الوثنيات لذلك غضب الله عليه لأن قلبه زاغ عن الإيمان بالله[3]؟!!! وهذه المعتقدات مدونة في سفر الملوك الأول وبالتالي لا مناص من إنكارها.

والسؤال هنا: كيف يتوسل إلى الله سبحانه بمن غضب عليه وعاقبه بأن قسّم مملكته؟

وكيف يرجى إعادة إحياء ذكر المطرود من رحمة الله بزعمهم؟

وكيف لمن يقال عنه إنه هبط من أعلى الحكمة إلى أحط درجات الحماقة وسمي جبل الزيتون بجبل الهلاك لشدة الخطايا التي ارتكبها هناك[4]؟؟

(1) الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص59.
(2) الكتاب المقدس العهد القديم، الملوك الأول، الإصحاح 11 - 7.
(3) الكتاب المقدس العهد القديم، الملوك الأول، الإصحاح8 و9 و10.
(4) الكتاب المقدس العهد القديم، الملوك الثاني، الإصحاح 23 - 13 و14.

بالإضافة إلى الاعتقاد لديهم بأن سليمان ربما تاب إلى الله قبل وفاته لأن سفر الجامعة يشعر بتوبته، بحسب ما ذهب إليه جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس[1]!!

وعليه، أليس من غير المنطقي التوسل بالمذنب والشرير والعاصي لنيل الغاية أو الأمل أو الرجاء ممن ارتكبت بحقه هذه الأفعال!!

وحاشا لرسول الله ونبيه سليمان عليه السلام من هذه التخرصات والافتراءات، وعلى خلاف ما ذهبوا إليه فإنه نبي عزيز كريم عند الله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2]. هذا من الجانب الديني إن صح التعبير.

أما من الناحية السياسية: فإنه نعم يجب على من يريد أن يغتصب أرضاً ويهجّر أهلها، أن يخترع لها بعض الأكاذيب والخرافات، ويغلفها بشيء من الحقيقة، حتى يوهم أتباعه بأنه صاحب قضية محقة، ليضمن دعمهم له، فإنه في هذه الحالة فقط يمكن القول بأنه كذب منطقي وغير صحيح على الإطلاق، وسلام الله على من قال في صفين: كلام حق يراد به الباطل، أما هنا في مسألة حائط المبكى فإنه كلام باطل يراد به الباطل[3].

---

(1) قاموس الكتاب المقدس، مصدر مذكور، ج10، ص576 - 579. وانظر: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص84.

(2) سورة ص، الآية: 30.

(3) وكما وعدتك أخي القارئ بأنني سأذكر بعض العناوين للمصادر والمراجع، فهذه بعضها: موسوعة القدس والمسجد الأقصى المبارك، حسن علي خاطر، المجلس =

. . . . . .

= العلمي الفلسطيني، بيت المقدس، الجزء 1 و2. وانظر: فضائل بيت المقدس، محمود إبراهيم، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت. وانظر: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2. وانظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مصدر مذكور، ج1. وانظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مصدر مذكور، ج1 و2. وانظر: سفرنامه، مصدر مذكور، ص69. وانظر: رحلة ابن بطوطة، مصدر مذكور، ص34. وانظر: معظم البلدان، مصدر مذكور، ج8، ص295. وانظر: خطط الشام، مصدر مذكور، ج1. وانظر: وثائق مقدسية تاريخية، مصدر مذكور، ج1. وانظر: الموسوعة الفلسطينية، أنيس صايغ، مكتبة المهتدين، بيروت، ج1، ص25 وما بعدها. وانظر: مخطوطات البحر الميت، محمود العابدي، منشورات دار الثقافة والفنون، عمان، 1967، ص15 وما بعدها. وغيرها الكثير.

صورة للصخرة الشريفة داخل مسجد قبة الصخرة

صورة لقبة مسجد الصخرة من الداخل

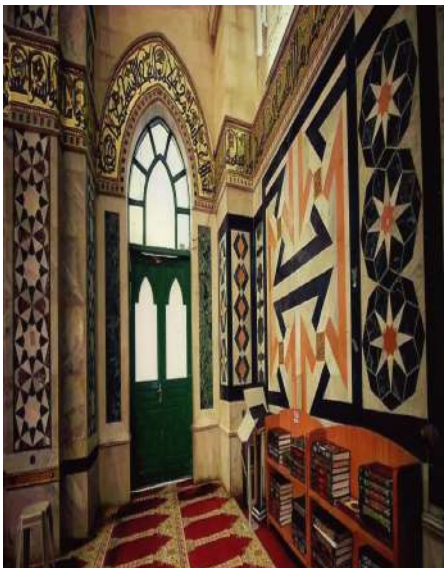

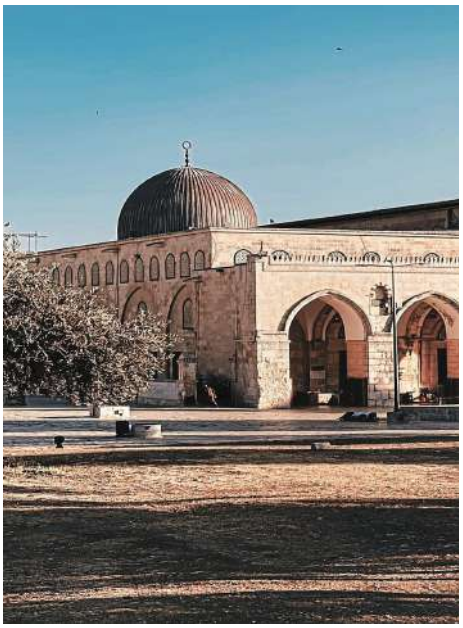

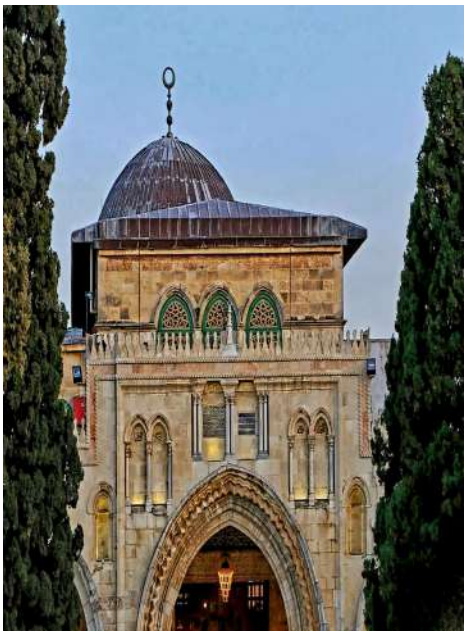

صورة للمسجد القبلي عن بعد

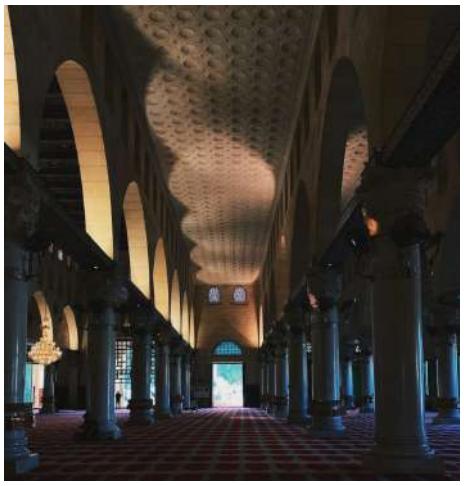

جعفر بن أبي طالب عليه السلام
المعروف بالطيار

وهو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عليه السلام، وكان يكنّى (أبا عبدالله) وله لقب آخر مشهور به هو: أبو المساكين لرأفته عليهم.

والده هو أبو طالب (عبد مناف بن عبد المطلب)، وهو عليه السلام كافل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحامي له بعد وفاة جده عبد المطلب عليه السلام، والذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته ووفاة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام في عام واحد بأنه عام (الحزن).

كما أنه من أبرز مصاديق حديث النبي الأعظم المتواتر عند المسلمين، فعن سهل بن سعد قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّق بينهما قليلاً»، أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود وابن حبان ومسلم وغيرهم.

ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل من كافل اليتيم في الجنة، فإن أبا طالب هو كافل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو من أصحاب الجنة، وهذا الحديث لوحده كاف لدحض الافتراء على أبي طالب بالقول إنه كان مشركاً.

وعلى كل حال فإن هذه الافتراءات من سنن الجاهلية التي ما زالت سارية بين بعض المسلمين وللأسف الشديد، للنيل من سيد من سادات قريش وعم النبي ﷺ ووالد علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكان لأبي طالب عليه السلام أربعة ذكور، أكبرهم سناً طالب ويليه عقيل، ويلي عقيل جعفر، ويلي جعفراً علي عليه السلام. وكان كل واحد منهم أكبر من أخيه الذي يليه بعشر سنين، وكان الإمام علي عليه السلام أصغرهم سناً وأكبرهم شأناً، لمكانته من رسول الله ﷺ.

وكانت أمهم جميعاً (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف) عليها السلام، وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وأنجبت له، وهي التي ربّت النبي ﷺ في حجرها بعد وفاة جد النبي ﷺ عبد المطلب عليه السلام، واهتمت به اهتماماً شديداً وأحبته حباً جما، وكانت عليها السلام تطعمه قبل أولادها وترعاه رعاية خاصة، لدرجة أن النبي ﷺ كان يناديها (أمي)، وكانت عليها السلام سابقة إلى الإسلام أي من أوائل النسوة اللآتي آمنت بدعوة النبي الأعظم ﷺ، وشهدت معه ﷺ بدر أي كانت بدرية.

وقد أوصت سلام الله عليها إلى النبي ﷺ حين حضرتها الوفاة وقبل النبي ﷺ وصيتها، وبعد وفاتها أمر رسول الله ﷺ الإمام علي عليه السلام بغسل وتجهيز والدته السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام.

وصلى النبي ﷺ عليها ونزل في لحدها واضطجع معها فيه، وأحسن الثناء عليها، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في

قبرها، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه المرأة. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إني إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليهون عليها[1].

وكانت زوجة جعفر عليه السلام أسماء بنت عميس عليها السلام التي قال عنها وعن أخواتها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنهن مؤمنات»، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأخوات المؤمنات: ميمونة، وأم الفضل، وسلمى، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن»[2].

وأسماء هذه رضوان الله عليها هي والدة محمد بن أبي بكر عليه السلام، حيث أنها تزوجت من أبي بكر بعد استشهاد زوجها جعفر عليه السلام، وبعد أبي بكر تزوجها علي بن أبي طالب وضمّها وعيالها إلى أولاده وعياله بعد وفاة السيدة الزهراء عليها السلام.

أما عن بروز جعفر بن أبي طالب ودوره على الساحة الإسلامية، فإنه في مرحلة الدعوة الإسلامية في مكة تمّ اضطهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن معه، وكان الاضطهاد والتنكيل يقع على أتباعه من المسلمين بشكل خاص، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في حماية عمّه سيد قريش أبي طالب عليه السلام، فطلب النبي عليه السلام من بعض المسلمين الخروج من مكة إلى أرض الحبشة التي كان عليها آنذاك (النجاشي)، وقال لهم إن فيها

(1) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، منشورت الفجر، بيروتن، ص7 وما بعدها. وانظر: الأنس الجليل، مصدر مذكور، ص179.
(2) الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، ج12، ص252.

ملكاً لا يظلم عنده أحداً، وكان النجاشي على ملة عيسى ابن مريم عليه السلام، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وقد كان على رأس هؤلاء المهاجرين جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

ولما علمت قريش بفرار هؤلاء إلى الحبشة، وأن النجاشي قد أحسن ضيافتهم واستقبالهم، بعثوا بعمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ومعهما هدية للنجاشي وأصحابه من أجل أن يسلمهم المهاجرين أو أن يخرجهم من عنده، فرفض النجاشي ذلك لأنه من العار تسليم الضيوف، إلا أن عمرو بن العاص أوغل صدر النجاشي عليهم بالأكاذيب وقال له بأنهم يقولون كلاماً بالمسيح عليه السلام، فارتعدت نفس النجاشي غيرة على دينه المسيحي، وأرسل خلفهم ليسألهم عن صحة ذلك، فلما حضروا عنده كان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام وقال: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله، وأن لا نشرك به شيئا، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام، فآمنا به وصدقناه وحرّمنا ما حرّم علينا، وحلّلنا ما أحلّ لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما

قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه نص الآيات من سورة مريم عليها السلام، فبكى النجاشي وأساقفته، وقال: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً[1].

وبقي جعفر ومن معه من المهاجرين في أرض الحبشة مدة من الزمن، ومن بعدها عادوا إلى المدينة المنورة يوم فتح خيبر على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتضنه وأخذ يقبل بين عينيه ويقول: «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً؟، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»[2].

وبسبب هجرته إلى الحبشة على رأس المهاجرين، وهجرته إلى المدينة للالتحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقال لجعفر بن أبي طالب عليه السلام ذو الهجرتين يعني هجرة الحبشة وهجرة المدينة[3].

وبعد مدة من استقرارهم بالمدينة المنورة، جهّز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه للذهاب إلى مؤتة من أرض الشام للتصدي لجيش الروم الذي كان ينوي مهاجمة المسلمين، وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ثلاثة أمراء إن استشهد

(1) تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج2، ص242. وانظر تاريخ ابن الأثير، مصدر مذكور، ج1، ص598. وانظر أيضاً: صحيح مسلم، ج7، ص170.
(2) مقاتل الطالبيين، مصدر مذكور، ص10.
(3) عمدة الطالب، ابن عنبة، الأعلمي للمطوبعات، بيروت، ص28.

الأول تولى الثاني مكانه، وإن استشهد الثاني تولى الثالث مكانه، وقد استشهدوا جميعاً رضوان الله عليهم وهم: زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن رواحة رضي الله عنه.

فبعد استشهاد زيد بن حارثة أخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل بها أشدّ القتال، وكان على فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام[1]. ومعنى العقر هنا: أن الفارس يقضي على فرسه حتى لا ينسحب عليها من المعركة وهذا دليل على الشجاعة والإقدام والبسالة.

أما ابن عنبة فيقول: لما رأى جعفر الحرب قد اشتدت والروم قد غلبت، اقتحم عن فرس له أشقر ثم عقره، وهو أول من عقر في الإسلام، وقاتل حتى قطعت يده اليمنى، فأخذ الراية بيده اليسرى، وقاتل إلى أن قطعت يده اليسرى أيضاً، فاعتنق الراية وضعها إلى صدره حتى قتل، ووجد به نيف وسبعين ما بين طعنة وضربة ورمية[2].

ورأى النبي ﷺ مصرعه ومصرع أصحابه، وقال ﷺ: زارني الليلة جعفر في نفر من الملائكة له جناحان يطير بهما، ولهذا يقال لجعفر: ذو الجناحين، والطيار في الجنة.

وحزن عليه النبي ﷺ حزناً شديداً، ودفن جعفر وزيد بن حارثة

(1) مقاتل الطالبيين، مصدر مذكور، ص10. وانظر الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص179.

(2) عمدة الطالب، مصدر سابق، ص29. وانظر الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، ج3، ص203، وأيضاً: ج15، ص10.

وعبدالله بن رواحة في قبر واحد[1]. حيث هو الآن في مؤتة من أعمال الشام أو الأردن حالياً، من أكناف بيت المقدس.

وفي حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (خير الناس حمزة وجعفر وعلي)[2].

وينقل أبو الفرج الأصفهاني عن دعبل قوله:

أناس عليّ الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذو الثفنات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والفرقان والسورات[٣]

فالصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وآبائه وأصحابه لا سيما جعفر بن أبي طالب ورحمة الله وبركاته.

(1) عمدة الطالب، مصدر سابق، ص29 و30. وانظر: مسالك الأبصار، مصدر مذكور، ج1، ص269.
(2) مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص13.
(3) الأغاني، مصدر مذكور، ج20, ص156.

صورة لمقام جعفر الطيار عليه السلام من الخارج

صورة لمدخل المقام الشريف

صورة للضريح الشريف عن بعد

صورة جانبية للضريح الشريف

صورة الضريح الشريف

المشهد الحسيني الشريف

وهذا المشهد الشريف ينسب إلى سيد شباب أهل الجنة، وسبط النبي الأعظم محمد بن عبدالله ﷺ، وخامس أهل الكساء من آل البيت، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

جداه رسول الله ﷺ، وكافل الرسول أبو طالب، وأبوه باب مدينة العلم وأخو رسول الله ﷺ علي، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدته السيدة خديجة بنت خويلد سيدة نساء العالمين أيضاً وهي أم المؤمنين الأولى، وأخوه الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنة أيضاً، وأختاه زينب الكبرى الحوراء وزينب الصغرى أم كلثوم، وأعمامه الحمزة سيد شهداء أهل الجنة والعباس وجعفر الطيار مع الملائكة، وأبناؤه علي الأكبر الشهيد في كربلاء مع أبيه، وعلي زين العابدين المعروف بالسجاد، وعلي الأصغر الشهيد أيضاً في كربلاء، وعبدالله الرضيع الشهيد في كربلاء، وجعفر الذي توفى في حياة أبيه، وبناته سكينة وفاطمة الصغرى وقيل أيضاً رقية كلهن ذوات الطهر والتقوى والعفاف، صلوات الله عليهم أجمعين، وحشرنا الله في

زمرتهم يوم الدين، ورزقنا شفاعة جدّهم وشفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحديث عن الحسين بن علي عليه السلام حديث ذو شجون، يدمي القلب ويسيل العبرة من العيون، وكيف لا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه وبأخيه: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). وهذا الحديث رواه الترمذي والحاكم والذهبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو متواتر بين المسلمين، وأيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسين: (حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط) وهذا الحديث متواتر أيضاً ورواه الترمذي وابن ماجه وأحمد وحسنه الألباني وذكره البخاري.

وروى السماك بسنده عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم جالس والحسين عليه السلام جالس في حجره إذ هملت عيناه بالدموع، فقلت له يا رسول الله ما لي أراك تبكي جعلت فداك، فقال: جاءني جبريل عليه السلام فعزاني بابني الحسين، وأخبرني أن طائفة من أمتي تقتله لا أنالهم الله شفاعتي[1].

لذلك فإن الحديث عن الحسين عليه السلام يحتاج إلى كتاب لوحده

(1) الإرشاد، الشيخ المفيد، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص197 وما بعدها. وانظر: تاريخ الطبري، مصدر مذكور، ج4، ص547 وما بعدها، وانظر: ابن الأثير، مصدر مذكور، ج3، ص407 وما بعدها. وانظر: مقاتل الطالبيين، مصدر مذكور، ص62 وما بعدها. وانظر: الملهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، دار المحجة، بيروت، ص91 وما بعدها. وانظر: نور الأبصار، مصدر مذكور، ص110 وما بعدها.

حتى نوفيه بعضاً من حقه علينا كمسلمين، ولا يسع المقام في هذه الدراسة التوسع والاستفاضة حول هذه الشخصية النبوية، والعظيمة جداً في التراث والمعتقدات الإسلامية، هذا من جهة، أما من الجهة الأخرى فإن هذه الدراسة منصبّة بشكل خاص على دراسة تاريخ هذا المشهد ومدى دقته وصحته التاريخية بالإضافة إلى أننا قد بحثنا هذه المسألة بشكل أوسع في كتاب سابق لنا[1].

وعليه فمن أراد الله به خيراً ألهمه حب آل البيت عليهم السلام ولا سيما مولانا الإمام الحسين عليه السلام الذي نتحدث عنه في هذه المقالة، وهذا الحب والولاء يجب أن يكون مصحوباً بالعلم والمعرفة حتى يكون متجذراً في العقل والقلب، وإن كان نفس الحب هو منجاة للمرء لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المرء مع من أحب) الذي رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وذكره كل من البخاري ومسلم وغيرهما.

وبناء على ما تقدم، فإن الذي يجب أن نعرفه الآن لارتباطه بدراستنا:

إن الإمام الحسين عليه السلام ولد في المدينة المنورة في الخامس من شعبان سنة 4 للهجرة، وعند ولادته المباركة جاءت به أمه فاطمة الزهراء عليها السلام إلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستبشر به وسماه حسيناً وعقّ عنه كبشاً كما فعل مع أخيه الحسن عليه السلام سابقاً.

(1) مصر وآل البيت عليهم السلام، أحمد قيس، دار الملاك، بيروت، ص45 وما بعدها. وانظر: الدروس البهية، حسن لواساني، منشورات لواسان، بيروت، ص57 وما بعدها للاستزادة أيضاً.

وكنية الإمام الحسين عليه السلام (أبو عبدالله)، وروى شاذان عن سلمان الفارسي رضوان الله عليه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحسن والحسين عليهما السلام: اللهم إني أحبهما وأحب من أحبهما. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله وأدخله الجنة، من أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله وأدخله النار. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إني ابني هذين ريحانتاي من الدنيا[1].

واستشهد الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه في كربلاء، وذلك في العاشر من المحرم الحرام سنة 61 للهجرة عن عمر ناهز 58 سنة.

وكانت شهادته بعد صلاة الظهر، حيث قضى عليه السلام مظلوماً عطشاناً صابراً ومحتسباً، واحتُزّ رأسه الشريف مع رؤوس آل بيته وأصحابه، ورفعوا على أسنّة الرماح، وحملوا مع السبايا من النساء والأطفال، وكان معهم الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان مريضاً في كربلاء، وكان مكبلاً بالحديد، إلى دار الإمارة في الكوفة حيث والي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والمدعو عبيد الله بن زياد المعرف (بابن أبيه) والمشهور بلقب (ابن مرجانة)، إذ أن زياد والد عبيد الله لا يعرف على وجه التحديد من والده لشهرة والدته السيئة مرجانة[2]. وكان السبب من وراء هذه الجريمة النكراء بحق آل البيت عليهم السلام، هو الحسد

(1) الإرشاد، مصدر مذكور، ص198.
(2) مصر وآل البيت عليهم السلام، مصدر مذكور، ص46.

وحب الدنيا والرياسة المستشرية في البيت الأموي من لدن أمية بن عبد شمس حتى يزيد.

أما من الجهة المقابلة فقد كان المغزى الوحيد للإمام الحسين عليه السلام، شهيد الدين والإسلام، هو إبطال أحدوثة الأمويين ودحض المعرّات عن قدس الشريعة الإسلامية، ولفت الأنظار إلى براءتها مما ألصقه الأمويون بها من العار والبدع المخزية والفجور الظاهر، والسياسة الظالمة والقاسية التي لا تمت إلى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأي صلة، فنال سيد الشهداء الحسين عليه السلام مبتغاه بنهضته الكريمة، وحمى الإسلام بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه من الاندثار والضياع[1].

وعلى كل حال، فبعد وصول موكب السبي مع الرؤوس الشريفة إلى الكوفة، مكثت في دار الإمارة ما يقرب من يومين ونيف، قبل أن يُؤمر بهم للحضور أمام الحاكم الأموي يزيد في الشام.

وبعد وصولهم إلى الشام مكثوا مدة من الزمن، إلا أنه بعد افتضاح أمر يزيد بين الناس بأن هؤلاء من آل البيت عليهم السلام وذراري العترة الطاهرة، وليسوا من الخوارج كما زعم الخبيث يزيد، أمر الأخير النعمان بن بشير بإعادة موكب السبي إلى المدينة المنورة بدون الرؤوس الطاهرة للشهداء.

أما عن تفاصيل هذه الرحلة والمحطات التي توقفت عندها، وما جرى فيها من أحداث ومواقف، فقد اهتم بها الكثير من العلماء

(1) مقتل الحسين، عبد الرزاق الموسوي المقرّم، دار الكتاب، بيروت، ص27.

والمؤرخين عبر التاريخ وليومنا هذا، وأفردوا لها مساحات واسعة في كتبهم ومصنفاتهم من كافة المذاهب الإسلامية.

وعليه، فإن حركة السبي من كربلاء إلى الشام أضحت متواترة وواضحة عند الجميع، نتيجة الاهتمام الزائد من قبل العلماء في دراسة ورصد آثار حركة هذه الرحلة المشؤومة.

إلا أن حركة العودة من الشام إلى المدينة، فالغموض ما يزال يكتنف جزءاً منها، لا سيما مسألة رأس الإمام الحسين عليه السلام، هل ألحق بالجسد الطاهر أم لا؟ وما هو مصيره، وخاصة أن باقي رؤوس الشهداء قد دفنت في مقبرة (باب الصغير) في دمشق ما عدا رأس الإمام الحسين عليه السلام؟ وكنا قد أجبنا على هذه التساؤلات واستعرضنا معظم الفرضيات والأقوال بهذا الشأن في كتابنا (مصر وآل البيت عليهم السلام)، والذي رجحنا فيه الرأي الذي يقول بدفنه في عسقلان لمدة من الزمن قبل أن ينقل إلى مصر حيث مقامه المعروف بالمشهد الحسيني في القاهرة.

والجديد في هذه المقالة والدراسة هو بعض المؤيدات العلمية لما كنا قد رجحناه في كتابنا المذكور، بالإضافة إلى العديد من الشواهد التاريخية الإضافية[1].

وقبل الغوص في استعراض الأدلة والشواهد التاريخية، فإنه يجب أن نعرف مسألة مهمة حول كتابة التاريخ، فالتاريخ الإنساني المدوّن لا سيما الإسلامي منه ينقسم إلى قسمين: الأول: وهو عبارة عن

(1) مصر وآل البيت عليهم السلام، مصدر مذكور، ص48 وما بعدها.

الكتابات الجغرافية التي دونتها أقلام الرحالة منهم كابن بطوطة أو ابن الجبير أو الهروي وما شابه ذلك.

والثاني: ما دوّنته أقلام المؤرخين الذين اهتموا بتأريخ الأحداث التي حصلت، ولم يهتموا كثيراً بالجانب الجغرافي أو لم يحققوا فيه، كالطبري وابن الأثير والشيخ المفيد وابن طاووس والأصفهاني وابن عنبة وغيرهم.

ومع أن فاجعة كربلاء قد ذكرها الجميع في كتبهم، إلا أن التمايز الذي أشرنا إليه بقي على حاله لجهة أن الرحالة أو الجغرافيين اهتموا بالمعالم والمشاهد ولم يتحدثوا عن تاريخ أصحابها، في حين أن المؤرخين اهتموا بذكر الأحداث التي جرت ولم يهتموا كثيراً بالمعالم العمرانية التي حصلت من بعد تلك الأحداث، وهذا ما أدى إلى ظهور هذه الفجوة العلمية التي تمظهرت بوجود العديد من الأضرحة والمقامات لبعض الأنبياء أو الأولياء في بلدان عدة، وأحياناً تجد في بلد واحد هذا الاختلاف.

وعليه، فإن مسألة التحري عن مكان وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام تستدعي مراجعة كتب التاريخ وكتب الرحالة، حتى يمكن رسم معالم القضية بشكل متقاطع، والخلوص منها إلى صورة منطقية أقرب ما تكون إلى الحقيقة، وهذا الأمر يحتاج إلى الترتيب الزمني أيضاً[1].

(1) نقصد بمراجعة كتب التاريخ التي وصلت إلينا في عصرنا الحالي، وليس ما ذكره البعض حول وجود مؤلفات لم تصل إلينا كابن النديم أو النجاشي وغيرهم.

وبناء على كل ما تقدم نقول:

1 - إن أقدم من كتب عن واقعة كربلاء هو (أبو مخنف الأزدي) المولود في العام 110هـ والمتوفى في العام 170هـ. وذلك في كتابه (مقتل الحسين)، وأبو مخنف هذا هو واحد من أقدم مؤرخي العرب من المسلمين، وهو يعتبر المصدر الأول والرئيسي والمعتمد في نقل فاجعة كربلاء لمن بعده من المؤرخين، مثل: (محمد بن جرير الطبري) المعروف، والذي توفى عام 310هـ، و(محمد بن محمد الشيباني) المعروف بابن الأثير والمتوفى عام 630هـ، و(محمد بن محمد بن النعمان العكبري) المعروف بالشيخ المفيد المتوفى عام 413هـ. وغيرهم.

ومع هذا فلم ينقل أبو مخنف مصير الرأس الشريفة للإمام الحسين عليه السلام بالرغم من كونه أول من دوّن هذه الحادثة التي جرت في العام 61 للهجرة.

2 - إن الطبري المتوفى عام 310هـ في تاريخه قد حفظ كتاب (مقتل الحسين) لأبي مخنف من الضياع، إذ أنه ذكر كل ما دوّنه أبو مخنف وأوردها عند كلامه عن أحداث 61هـ. ومع ذلك لم يؤكد شيئاً عن مصير الرأس الشريفة.

3 - أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة 356هـ، فإنه وضع كتاباً بعنوان (مقاتل الطالبيين)، وهذا الكتاب أراد منه أبو الفرج توثيق أخبار من قتل من ولد أبي طالب عليه السلام منذ عهد رسول

الله ﷺ حتى العام 313 للهجرة، ومع أنه تحدث بشكل مطوّل عن واقعة كربلاء، إلا أنه لم يذكر مصير الرأس الشريفة أيضاً.

4 - الإمام محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد والمتوفى عام 413هـ، فإنه يعتبر من أكابر علماء المسلمين من الإمامية الجعفرية، ومع ذلك فإنه في كتابه (الإرشاد) يؤكد مواضع دفن الشهداء من بني هاشم مع إخوة وأصحاب الحسين عليه السلام، وحتى أنه يذكر موضع دفن الجسد الشريف، إلا أنه لم يأت على ذكر مصير الرأس الشريف للإمام عليه السلام.

5 - ناصر خسرو علوي في كتابه المعروف (سفرنامه) دون فيه أحداث رحلته التي امتدت من العام 437هـ حتى العام 444هـ، وهذه الرحلة هي من أقدم الرحلات المعروفة والمدونة، وفيها أولى الإشارات إلى عسقلان ومسجدها القديم حيث مكان دفن الرأس الشريفة للإمام الحسين عليه السلام وناصر خسرو متوفى عام 480هـ.

6 - أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي، صاحب كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات)، وهذا الكتاب عبارة عن توثيق لرحلة قام بها الهروي إلى الشام وفلسطين ومصر والمغرب العربي والعراق ثم مكة المكرمة والحجاز، ويعتبر الهروي أول من أشار بوضوح إلى مشهد رأس الحسين في عسقلان حيث يقول: «وبه مشهد الحسين عليه السلام كان به رأسه فلما أخذتها الفرنج نقلتها المسلمون إلى مدينة القاهرة، وذلك عام 549هـ».

وكلام الهروي هذا مهم جداً لكونه معاصراً للأحداث التي ذكرها،

إذ أنه وصل إلى فلسطين عام 569هـ، وإلى عسقلان في العام نفسه، فيكون بينه وبين الأحداث التي ذكرها قرابة 20 سنة، لهذا يعتبر كلام الهروي أول دليل خطي على وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام في عسقلان قبل نقله إلى القاهرة في مصر، وقد توفى الهروي في حلب عام 611هـ.

7 - أبي الحسن محمد بن جبير المعروف (بابن جبير)، والمتوفى سنة 614هـ، وابن الجبير هو رحالة معروف ومشهور وله كتاب (رحلة ابن جبير)، والذي ذكر فيه وبوضوح معاينته لمسجد رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة، وقد ذكر مشاهداته هذه بالتفصيل أثناء زيارته لمصر في العام 578هـ، وكلام ابن جبير مهم جداً أيضاً لأنه صلة الوصل المنطقية بين وجود الرأس الشريفة في عسقلان وانتقالها إلى القاهرة، هذا بالإضافة إلى أن ابن جبير من المعاصرين لتلك الفترة الزمنية مع الهروي.

8 - ياقوت الحموي صاحب كتاب (معجم البلدان) والمتوفى عام 626هـ، فإنه يذكر أثناء حديثه عن مصر ما يلي: (وبمصر من المشاهد والمزارات بالقاهرة مشهد به رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما، ونقل إليها من عسقلان لما أخذ الفرنج عسقلان وهو خلف دار المملكة يزار...)، وقول الحموي هذا يؤكد صحة ما ذهب إليه الهروي وابن جبير، كما أن ياقوت الحموي يعتبر أيضاً من المعاصرين لتلك الفترة الزمنية التي جرت فيها أحداث سقوط عسقلان ونقل الرأس الشريفة إلى مصر.

9 - محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف (بابن الأثير)، والمتوفى سنة 630هـ، وهو صاحب كتاب (الكامل في التاريخ)، وحاله في هذا الكتاب كصاحبه الطبري، إذ أنه استفاض في ذكر الأحداث التي جرت في كربلاء وما بعدها، إلا أنه لم يأت على ذكر مصير الرأس الشريفة بعد وصولها إلى الشام.

10 - علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، المشهور (بابن طاووس) والمتوفى عام 664هـ، وهو صاحب كتاب (الملهوف على قتلى الطفوف) وغيرها الكثير من المؤلفات، وهو أحد كبار العلماء من الإمامية الجعفرية، ويقول في كتابه المذكور: «وأما رأس الحسين عليه السلام، فروي أنه أعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف صلوات الله عليه، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه، ورويت آثار كثيرة مختلفة غير ما ذكرناه»، وقول ابن طاووس رضي الله عنه (فروي أنه أعيد) هو حديث رواية وليس بحديث دراية، وهو نفسه رضوان الله عليه أشار إلى ذلك، وهذا يعني أن في زمن ابن طاووس كان ما يزال السؤال يتردد حول مكان وجود الرأس الشريفة للإمام الحسين عليه السلام، وهذا التساؤل لصالح من يذهب بالقول إلى وجوده في مصر بعد عسقلان.

11 - جعفر بن محمد (ابن نما الحلي)، المتوفى عام 645هـ، وهو صاحب كتاب (مثير الأحزان) وهو عالم وفقيه ومؤرخ إسلامي إمامي جعفري، وهو رضوان الله عليه موضع احترام العلماء وله مؤلفات عدة في آل البيت عليهم السلام، كما أن أشعاره جاءت في هذا

المجال أيضاً. أما حول مسألة الرأس الشريفة، فإنه يذكر أن الناس اختلفوا فيه، وعدد هذه الأقوال، منها أن عمرو بن سعيد دفنه بالمدينة المنورة، ومنها أن الرأس الشريفة وضعت في خزانة بني أمية ودفنت لاحقاً عند باب الفراديس بدمشق، ومنها أن جماعة من أهل مصر أخبروه عن وجود المقام المعروف بالمشهد الحسيني وفيه الرأس الشريفة ويزار من عامة المصريين، ويختم ابن نما بقوله: والذي عليه المعول من الأقوال إنه أعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه.

ولم يذكر ما هو المصدر والسند الذي عوّل عليه، فلو أنه قال سمعت حديثاً عن أئمة آل البيت عليهم السلام يقول كذا وكذا، لقلنا بأن هذا أمر صحيح لأنه صادر عن معصوم من آل البيت عليهم السلام، وهو صحيح لأن الناقل ثقة وهو ابن نما، أما رد كل الآراء والاقتصار على التعويل فإنه اجتهاد من ابن نما رضوان الله عليه، ويحتمل الخطأ والصواب.

12 - أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي، المشهور (بابن بطوطة)، وهو رحالة مسلم وصاحب كتاب (رحلة ابن بطوطة)، وقد توفى عام 779هـ، وكتابه هذا وإن كان بمثابة سجل يومي للأحداث التي حصلت معه في البلاد التي زارها، إلا أنه يمكن التقاط بعض الإشارات التي تفيد بحثنا هذا، فهو عندما يتحدث عن عسقلان يقول: (وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء ما لا يحصر لكثرته، أوقفنا عليهم قيّم (المزار المذكور)، وله جراية يجريها (له) ملك مصر مع ما حصل (إليه) من صدقات الزوار.

والمفهوم من منطوق ابن بطوطة أن هناك مشهداً عليه قيّم وله أجره يأخذها من ملك مصر بالإضافة إلى ما يرسله هذا الملك للمزار من أموال، بالإضافة إلى ما يجمع من صدقات الزوار لهذا المشهد، والذي أحسبه المشهد الحسيني حيث كان الرأس للإمام الحسين عليه السلام بعد نقله إلى مصر.

13 - شهاب الدين أحمد بن يحيى، المعروف (بابن العمري) والمتوفى عام 749هـ، وهو صاحب كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، حيث يذهب فيه ابن العمري إلى أن رأس الحسين عليه السلام له مشهداً في عسقلان نقل فيه الرأس الشريف إلى مصر حيث دفن في المشهد المعروف به في القاهرة. ويضيف قائلاً: والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق حيث له مشهد معروف داخل باب الفراديس، ويصحح قول ابن عمري المحقق الذي أشرف على تحقيق موسوعة ابن العمري، وهو الدكتور كامل سلمان الجبوري من خلال إيراد ما قالته الدكتورة سعاد محمد في موسوعتها (جوامع مصر)، والتي تبنت بالأدلة العلمية وجود الرأس في عسقلان قبل انتقاله إلى مصر حيث هو الآن. ولأن هذه الأدلة كثيرة اكتفينا بالإشارة إليها دون ذكرها.

14 - جمال الدين أحمد بن علي الحسني المعروف (بابن عنبة)، والمتوفى سنة 828هـ، وهو صاحب كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب)، فإنه لكونه نسابة يهتم بتتبع النسب لا سيما ذرية أبي طالب عليه السلام، فإن اهتمامه انصب على النسب مع ذكر موجز لأحداث

كربلاء مع التأكيد على انتقال الرؤوس الشريفة إلى الشام ولم يذكر مصير هذه الرؤوس بما فيها رأس الإمام الحسين عليه السلام.

15 - تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي، المعروف والمشهور بالمقريزي، والمتوفى سنة 845هـ، وهو صاحب كتاب (الخطط المقريزية)، والذي أفرد فيه مساحة واسعة للحديث عن المشهد الحسيني في القاهرة وسبب عمارته، ومن أحضر الرأس الشريفة من عسقلان وسبب ذلك، وأسماء الشخصيات والوفود التي حضرت مراسم دخول موكب هذا الرأس الشريف، والأحداث التي رافقت رحلة انتقاله من عسقلان إلى القاهرة، وما جرى لاحقاً في القاهرة من أعمال بناء للمسجد والضريح، وكيفية تطييب الرأس، وكيفية إدخاله إلى داخل الضريح ومن أي جهة، وكل ما له شأن بهذا الأمر بشكل مفصّل وبلغة الواثق مما يقوله، والمقريزي يلتقي مع ما ذهب إليه أصحاب الرأي بوجود الرأس في عسقلان قبل انتقاله إلى مصر.

16 - مجير الدين الحنبلي، المتوفى سنة 927هـ، وهو صاحب كتاب (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل)، والذي يذكر فيه وبشكل مختصر عند حديثه عن عسقلان فيقول: «وبها مشهد عظيم بناه الفاطميون خلفاء مصر على ما كان زعموا أن رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما به، وعسقلان تقصد للزيارة».

والذي يمكن فهمه من كلامه هذا، أن مجير الدين يؤكد وجود هذا المشهد في عسقلان مع عدم اعتقاده بصحة الأمر، إلا أنه زاره وذكره فقط في جملة الأماكن الدينية التي زارها وعاينها.

17 - مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، المعروف والمشهور (بالشبلنجي)، والمتوفى سنة 1291هـ، وهو صاحب كتاب (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار)، وهو أيضاً من الذين أفردوا مساحة واسعة عن صحة وجود الرأس في مصر بعد انتقاله إليها من عسقلان، واستفاض بالحديث، وذكر أقوال العلماء والعرفاء وغيرهم من الذين يؤكدون صحة هذا الأمر.

18 - عبد الرزاق الموسوي المقرم، والمتوفى عام 1391هـ، وهو صاحب كتاب (مقتل الحسين عليه السلام)، وكتابه هذا مشهور باسم (مقتل المقرم)، كما أن هذا الكتاب مخصص فقط لواقعة كربلاء من الدوافع إليها مع أحداثها، إلى مرحلة عودة موكب السبي إلى المدينة المنورة.

وحول مسألة الرأس الشريفة يقول: لما عرف زين العابدين الموافقة من يزيد، طلب منه (أي الإمام زين العابدين) من اللعين يزيد، الرؤوس كلها ليدفنها في محلها، فلم يتباعد يزيد عن رغبته فدفع إليه رأس الحسين مع رؤوس أهل بيته وصحبه فألحقها بالأبدان. (أنظر الصفحة رقم 362 من الكتاب). وهذا القول منه رضوان الله عليه غير صحيح، لما تواتر بين المؤرخين من السنة والشيعة من أن يزيد جعل للإمام زين العابدين ثلاث طلبات، فكان من جملة ما طلبه الإمام زين العابدين عليه السلام رؤية رأس أبيه الإمام الحسين عليه السلام، فرفض يزيد اللعين هذا الطلب ولم يأذن بذلك، فكيف أعطاه الرؤوس وهي بأجمعها مدفونة في مقبرة (باب الصغير) في دمشق ما عدا رأس الإمام الحسين؟ بالإضافة إلى أنه رضوان الله عليه ساق بعض الأقوال حول

صحة ما ذهب عليه من أن الرؤوس بأجمعها أعيدت إلى الأجساد الطاهرة في كربلاء.

وكما يقال: إذا كان المقدم خطأ، فالتالي يتبعه بالنتيجة.

وعلى كل حال هذا جهد الممكن كما يقال، وهو مأجور على كل حال.

19 - وأوردت صفحة (فلسطين تراث وأمجاد) على موقعها الإلكتروني مقالة بعنوان: (أهالي غزة يحتفلون في مقام الحسين في جورة عسقلان في 22 أبريل عام 1943م)، وأرفقت مع المقالة بعض الصور القديمة التي توثق هذا الحدث، ومن أهم ما ورد في هذه المقالة بعد تبنيها لمسألة تواجد الرأس في عسقلان قبل انتقالها إلى مصر، التالي:

1 - تفاصيل المسجد والمقام من الداخل حتى المحيط الخارجي.

2 - ذكر أسرة (آل صيام) أنهم كانوا أئمة وخطباء المسجد الحسيني والمشهد الشريف، وإن آخرهم كان الشيخ (جبر محمد صيام).

3 - أنه في العام 1948م أمر (موشي ديان) الصهيوني بنسف المبنى والمشهد وتحويله إلى موقف باصات.

4 - وصف المراسم التي كانت تجري في هذا المشهد والمسجد والذي كان يؤمه العديد من أبناء فلسطين من كافة الشرائح الاجتماعية، وأصحاب الطرق الصوفية، وما كان يحصل في هذه المراسم من توزيع طعام وشراب وغير ذلك.

20 - كتاب (تقلبات المكان المقدس: بناء وتدمير وإحياء ذكرى المشهد الحسيني في عسقلان)، وقد صدر هذا الكتاب باللغة الإنكليزية عن (دار إسلام) وقام بترجمته محمود صباغ، وتمت كتابته باللغة الإنكليزية بواسطة باحثين أكاديميين إسرائيليين هم: دانييلا تالمون هيلر، وبنيامين زد. كيدار، ويتسحاق ريتز. والذي يهمنا في هذا الكتاب بشكل أساسي التالي:

1 - إن الدراسة في الكتاب المذكور قد استقرأت تاريخ بناء المسجد الحسيني في عسقلان بالاعتماد على المصادر والمراجع الإسلامية بالإضافة إلى المصادر الغربية، وإن شابت هذه العملية الاستقرائية العديد من المغالطات.

2 - التأكيد على وجود هذا المشهد منذ أيام الدولة الفاطمية حتى العام 1950م، وأن وجوده كان موثقاً بالخرائط البريطانية، بالإضافة إلى بعض الصور الفوتوغرافية الموجودة في مكتبة الكونغرس الأميركي.

3 - التأكيد على أن (موشي ديان) بأمر منه لأحد ضباطه هو الذي فجر المسجد والمشهد وهدمه في العام 1950م.

4 - أنه وفي العام 1980م، أي في أعقاب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام 1979م، قام وفد من طائفة (البهرة) الإسماعيلية على رأسهم محمد برهان الدين بالتدخل لدى السلطات الإسرائيلية وبمساعدة من صديقه (موشيه شحنانيل)، لإعادة إعمار

المشهد والمسجد في المكان الذي هدم فيه، والذي كان يبنى عليه مركزاً طبياً، وحصلت خلافات في الدوائر الرسمية الإسرائيلية حول هذا الأمر، والتي انتهت إلى السماح ببناء نصب تذكاري متواضع عبارة عن محراب صلاة في طرف ساحة مكشوفة محاطة بجدران منخفضة، وبقي هذا النصب موضع نقاش محتدم بين الإسرائيليين حتى العام 2011م، حيث قام مجلس الحفاظ على مواقع التراث في إسرائيل مع بلدية عسقلان بوضع لافتة في المكان تشرح خصوصية المكان وصاحبه، وبالتالي حصل المشهد على شرعيته الإسرائيلية (بزعمهم) بأثر رجعي.

بالإضافة إلى العديد من التفاصيل والمسائل المهمة والتي لا يسعنا إيرادها في هذا البحث، فاكتفينا بما مرّ معنا من إشارات[1].

هذا بالإضافة إلى العديد من الأقوال والآراء التي ذكرناها في كتابنا (مصر وآل البيت عليهم السلام)، ولم ننقلها لرغبتنا بعدم الإطالة، ولتحفيز القارئ على الاطلاع على كتابنا المذكور.

وبالمحصلة العامة لكل ما مرّ معنا، وكما أنهينا بحثنا في كتابنا (مصر وآل البيت عليهم السلام) ننهيه هنا، وذلك من خلال قول التالي:

1 - إن العمق التاريخي للمشهد الحسيني الشريف في عسقلان،

(1) أنظر البحث الوارد في كتاب: طبقات الأنبياء، مصدر مذكور، ج2، ص268 وما بعدها.

بالإضافة إلى الوثاقة التاريخية له في العديد من المصادر والمراجع كما مر معنا، ناهيك عن ارتباط تاريخ عسقلان مع التاريخ المصري (الفاطمي)، وتوثيق حركة نقل الرأس الشريفة، وتوثيق يوم دخولها إلى مصر وما جرى لاحقاً، كل ذلك وغيره يشكل دليلاً قوياً ومتماسكاً لولا خدش فيه سنذكره بعد هذه النقطة التالية.

2 - إن أقوال وآراء الذين يذهبون نحو اعتماد مقولة عودة الرؤوس الشريفة إلى كربلاء، أو بالحد الأدنى عودة رأس الإمام الحسين عليه السلام، فإن أقوالهم هذه ليس لها وثاقة علمية مدونة، اللهم إلا ما نقل عن بعض العلماء الثقات والأفاضل، إلا أن ذلك ليس قوياً لدرجة دحض الرأي الآخر.

وبما أن القاعدة العلمية تقول: عدم الوجدان ليس دليلاً على عدم الوجود، وخاصة إذا ما عرفنا أن الكنوز العلمية والمعرفية الإسلامية وغيرها ضاعت عندما أحرق هولاكو مكتبة بغداد في العراق مركز الخلافة آنذاك، فهذا الأمر يجعلنا نتمعن قليلاً بالخدش الذي يرد على الرأي الأول.

ونعني هنا بكلمة (الخدش)، الجرح الطفيف الذي يصيب الجسم عادة، وهنا مورده الرأي الأول أي أنه غير سالم من الجرح أو الانتقاد.

وهو على الشكل التالي:

أ - إن مكانة آل البيت عليهم السلام في الوجدان الإسلامي العام رفيعة جداً لا يدانيها أحد حتى من أجلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وفاجعة

كربلاء بما مرّ فيها لا سيما استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنه ، لا يمكن لها أن تكون قد خرجت عن حيّز الاهتمام لدى أصحاب السير والتاريخ في وقته، بغض النظر عن الهوى السياسي أو الانتماء المذهبي، ولا بد أن تكون الأقلام قد دونتها في تضاعيف الكتب المفقودة أو المحروقة في مكتبة بغداد، وهذا ما دعانا للقول: إن عدم الوجدان ليس دليلاً على عدم الوجود.

ب - وهذا القول يشكل العمدة في خدش الرأي الأول وهو: إن ذرية الإمام الحسين عليه السلام المنطلقة من ولده الإمام السجاد (زين العابدين عليه السلام)، ومن بعده إلى باقي الأئمة عليهم السلام ، فإن الروايات التي وردت عنهم عليهم السلام تشير وبوضوح إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء في العراق، ولم يرد عنهم أنهم عليهم السلام أشاروا بزيارة الحسين عليه السلام في موضع آخر، إذ أن مسألة مكان وجود الرأس الشريفة لا يمكن أن تكون قد غابت عن الأسئلة التي كانت توجه إليهم عليهم السلام ، وأن هذه المسألة لا يمكن لها أيضا أن تكون غائبة عن أذهان المحبين والموالين، وخاصة إذا ما عرفنا أن الامتداد الزمني بين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة من ذريته الطاهرة يتجاوز القرن ونصف من الزمن.

لهذه الأسباب وغيرها، فإننا نعتقد بأنه لا يجب أن تُترك زيارة الحسين عليه السلام في دمشق حيث وضع الرأس الشريف، وفي عسقلان حيث مكان الدفن المؤقت لها، وفي المشهد الحسيني في القاهرة حيث يعتقد بوجوده فيه، وفي كربلاء حيث الكرب والبلاء، والسبي والدماء.

ونردد مع الشريف الرضي وأبي بكر الآلوسي قولهما :

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرّجوا نحوي فمشهده بقلبي

والسلام على الحسين وعلى إخوته وأولاده وأصحابه ورحمة الله وبركاته .

خريطة قديمة تظهر مكان المسجد
والمشهد الحسيني في المجدل في عسقلان

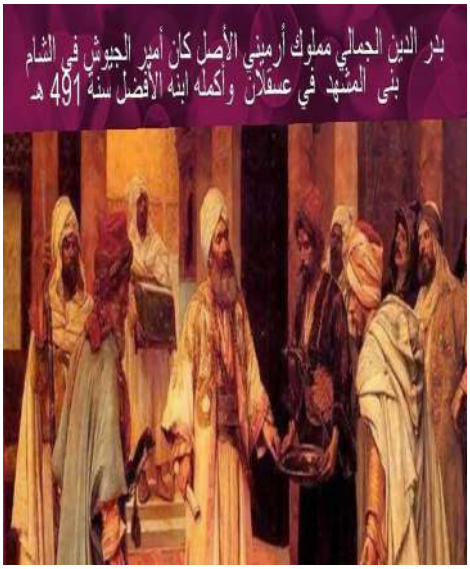

مأذنة المسجد القديمة

صورة قديمة للمسجد في الموسم

صور قديمة من احتفالات الموسم

صورة للأكشاك جنب المسجد خلال الموسم

صورة لبعض الزوار قرب المسجد

الوفود الغفيرة المتوجهة لإحياء الموسم الحسيني

صورة للحشود أيضاً من ناحية النساء وتظهر فيها الأعلام الصوفية المرفوعة

صورة للحشود في باحة المسجد الحسيني

موكب الزيارة تتقدمه الاعلام

صورة للحشود الغفيرة في موسم الزيارة

صورة أخرى للحشود

صورة أيضاً لبعض الحشود

صورة لإنقاض المسجد
بعد تفجيره في العام 1950

صورة لبعض العروض الفروسية
التي كانت تجري في موسم الزيارة

صورة أثناء الزيارة
وتبدو مأذنة المسجد من خلفهم

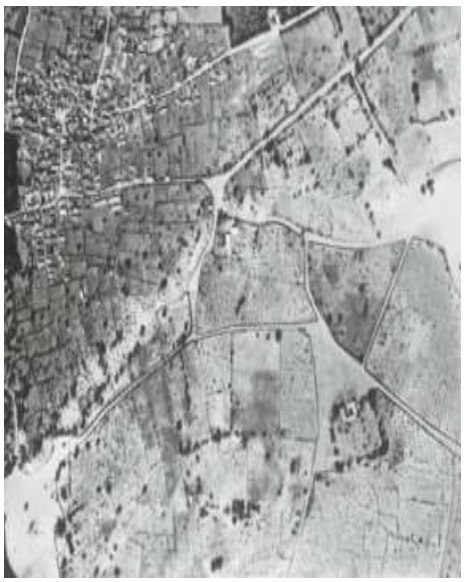

صورة جوية من الأرشيف الإنجليزي
لمنطقة المشهد الحسيني

صورة لدورية للإحتلال قبل تفجير المسجد

الترجمة الحرفية

ذكرى الحسين
في عام 656 ميلادي
تولى علي صهره للنبي محمد الخلافه ابنه الحسين قتل في كربلاء
جنوب العراق في سنه 680 ميلادي راسه المقطوع للحسين نقل الى
دمشق عاصمه بني اميه وقبر في المسجد الكبير في القرن التاسع ونقل
راس الحسين الى مكان بعيد في المملكه وهكذا وصل الى عسقلان
في سنه 1098 غزى الفاطيميين عسقلان
(ونقل راس الحسين لنصب تذكاري (مشهد
. الذي بني في هذا الموقع
في سنه 1153 استولت عسقلان على ايدي الصليبيين
ونقل راس الحسين الى القاهره بمصر رغم ذلك قدسيه الموقع لم
تختفي اثاره .كما اقيمت حوله اشجار الجميز القديمه التي تم
. حفظها لكون قداسته
المقام (مشهد الحسين) بني في سنه تسعينيات القرن العشرين على
.يد المسلمين الفاطيميين
. من الهند ومحيطها
الكثير ياتي كل عام زياره كحج
الذي يبداء في دمشق
يستمر من هذا الموقع وينتهي في القاهره

صورة للّوحة التي تم وضعها من قبل بلدية عسقلان والترجمة الحرفية لها

صورة للوحة بشكل أكبر

صورة للباحة المستحدثة مكان المسجد القديم

صورة أخرى لمدخل الباحة

وأيضاً صورة أخرى للباحة

صورة لمحراب الباحة المستحدث

صورة للباحة المستحدثة من زاوية أخرى

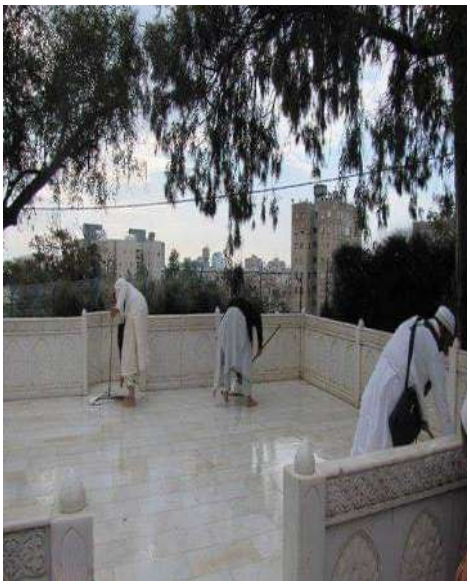

صورة لبعض الزوار أثناء تنظيفهم للباحة

صورة لبعض الزوار
أثناء الزيارة للمكان المستحدث

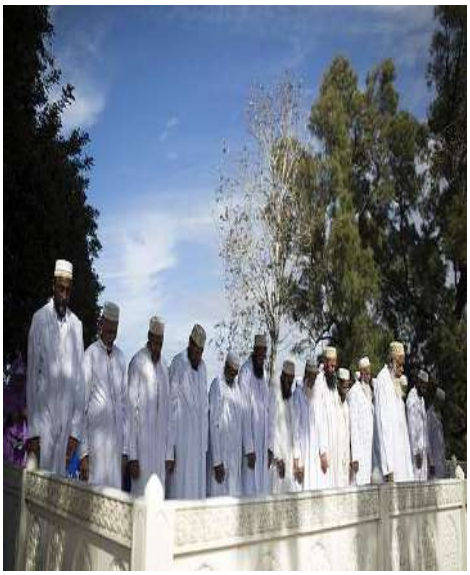

صورة أثناء صلاة الجماعة في الباحة

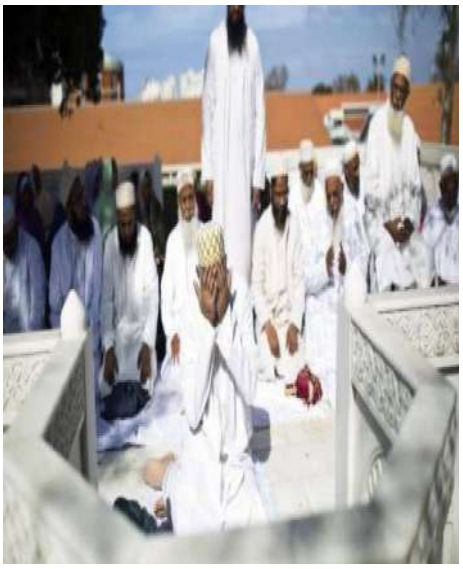

صورة أخرى اثناء صلاة الجماعة

صورة لبعض الزائرات في المشهد المستحدث

بشر الحافي رضي الله عنه

هو رضوان الله عليه: أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن (عبدالله المروزي) والمشهور (بالحافي).

أما جده الأعلى (عبدالله المروزي) فقد كان اسمه (بعبور)، وعند إسلامه على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أصبح يدعى (عبدالله)، كما قال ابن خلكان[1].

ولد سنة 150 هـ وتوفى في رمضان سنة 226 أو 227هـ. وسنتحدث عن مكان دفنه الشريف.

أما عن سبب تلقيبه (بالحافي) فهناك العديد من الروايات أشهرها التالية:

ينقل السيد الأمين في (أعيانه) عن (مجالس المؤمنين)[2]: أن بشراً

(1) أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ج5، ص473. وانظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ترجمة حياة بشر الحافي.

(2) مجالس المؤمنين، السيد نور الدين الحسيني الشوشتري، تحقيق أحمد الموسوي، مكتبة الإسلامية، طهران.

كان في أول أمره يشتغل بالملاهي والمناهي، ثم وفقه الله تعالى فتاب على يد الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وتفصيل هذه الحادثة جاءت في كتاب (منهاج الكرامة) للعلامة الحلي رضي الله عنه، والتي نقلها السيد الأمين في (أعيانه) حيث قال: إن الإمام الكاظم عليه السلام اجتاز على باب دار بشر فسمع منها الغناء واللهو، ورأى على باب الدار جارية فقال لها: أيتها الجارية مولاك حر أو عبد؟ فقالت: حر، فقال لها: صدقت، لو كان مولاك عبداً لعمل بمقتضى العبودية وخاف الله تعالى، فرجعت الجارية إلى داخل الدار وأخبرت بشر بذلك، فأثر فيه هذا الكلام وكان سبب هدايته، وخرج حافياً إلى خارج الدار، وجعل يركض خلف الإمام الكاظم عليه السلام حتى وصل إليه، فوقع على قدميه وتاب على يده وأناب إلى الله تعالى، وبقي حافياً طول عمره[1].

والإمام الكاظم عليه السلام لمن لا يعرفه هو: موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين، وكنيته الكاظم من أشهر ألقابه، لأنه اشتهر عليه السلام بكظم الغيظ والحلم والصبر على من ناصبوه العداء حسداً منهم.

وقد استشهد الإمام الكاظم عليه السلام في سجن هارون الرشيد مسموماً مظلوماً، وألقيت جثته الشريفة على جسر بغداد حيث بقيت ثلاثة أيام

(1) أعيان الشيعة، مصدر مذكور، ص473.

قبل أن يحملها سليمان أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، فأمر بحملها مكرمة معظمة، ثم غسله وكفنه بأحسن كفن، وأمر الناس بتشييع الجنازة، ثم دفنه عليه السلام في الجانب الغربي من بغداد، في المقبرة المعروفة بمقابر قريش حيث الموضع الحالي الذي يقوم فيه ضريحه ومزاره الشريف[1].

وبالعودة إلى بشر الحافي رضي الله عنه، فإن هذه الشخصية الإسلامية البارزة والمتفق عليها بين المذاهب الإسلامية كافة، فقد حازت على الاحترام والتقدير والشهرة بذلك، فهذا السيد الأمين ينقل المدح والثناء على بشر من العديد من المصادر والمراجع الإسلامية (كحلية الأولياء) لابي نعيم الأصفهاني، (والشذرات) لابن حبان، (ووفيات الأعيان) لابن خلكان، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، وغيرهم مما لا يسعنا إيراده خشية الإطناب، ونكتفي بذكر ما قاله أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، قال: وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل وأنواع الفضل، وحسن الطريقة واستقامة المهب، وعزوف النفس وإسقاط الفضول[2].

وبحسب ابن خلكان في وفيات الأعيان: إن أصله من (مرو) من

(1) الدروس البهية، حسن لواساني، دار لواسان، بيروت، ص112، وانظر: عمدة الطالب، مصدر مذكور، ص253. وانظر: مقاتل الطالبيين، مصدر مذكور، ص299.

(2) تاريخ بغداد، أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي، دار الفكر، بيروت، ج5، ص351.

قرية من قراها يقال لها (ترساح) وسكن بغداد لاحقاً، وكان من أولاد الرؤساء والكتاب، وأن السبب لكرامته المشهورة هو: أنه وجد في الطريق ورقة مكتوباً فيها اسم الله تعالى، وقد تعرضت هذه الورقة إلى الدوس بالأقدام بطريقة غير مقصودة، فأخذها من الأرض واشترى بما معه من مال عطراً وطيبها به وحفظها عنده في شق الحائط، فرأى في النوم كأن قائلاً يقول له: يا بشر طيبت اسمي لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة[1].

فكان تقديسه واحترامه لاسم الله تعالى، وركضه حافياً خلف الإمام الكاظم عليه السلام لإظهار توبته على يديه السبب من وراء شهرته لدى المسلمين.

وعلى كل حال، فإنه رضوان الله عليه أطاع الله وأناب إليه، واتبع عبده ووليه وقتذاك الإمام الكاظم عليه السلام، فجعل الله منه مثالاً على حسن مآل التائبين.

أما عن مكان وفاته فإنها بحسب المؤرخين كانت في بغداد[2]، وليس في فلسطين حيث يوجد ضريح ومسجد ينسب إلى بشر الحافي رضي الله عنه في حارة (حبلة) في نابلس.

وعليه، فإن هذا الضريح الموجود في نابلس قرب جامع الأنبياء

(1) أعيان الشيعة، مصدر مذكور، ج5، ص474. وانظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان.

(2) تاريخ بغداد، مصدرمذكور، ص353. وانظر الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج1، ص295.

وهو قطعاً ليس لبشر الحافي الذي تحدثنا عنه في هذه المقالة، والظاهر أنه لأحد الفضلاء من المسلمين كان يدعى بشراً[1].

فالسلام على عباد الله الصالحين، لا سيما بشر الحافي ورحمة الله وبركاته.

(1) للتوسع حول هذه الشخصية، أنظر: أعيان الشيعة، مصدر مذكور، ج5، ص470 وما بعدها.

صورة لمدخل المقام المنسوب لبشر الحافي رضي الله عنه

صورة تظهر الضريح من بعيد

صورة اقرب للضريح

فلسطين ومقامات آل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم

إن الحديث عن المقامات الموجودة في فلسطين على كامل مساحتها الجغرافية الحقيقية على اعتبار أنها شام من الشامات، والتي شرحنا معناها في بداية الكتاب وفي مقالة فلسطين، هو حديث طويل لا ينتهي، ويحتاج إلى جهد استثنائي لا يمكن لأي مؤرخ أو مؤلف أن يحيط به طالما فلسطين الحبيبة هي قيد الأسر والاحتلال.

ففلسطين وبيت المقدس تحديداً كانت دوماً قبلة الأحرار والمؤمنين عبر التاريخ، لأنها كانت مسقط رأس العديد من الأنبياء والأولياء، إذ بها ولدوا وعليها تحركوا ودعوا إلى عبادة الله وتوحيده، وبها استقروا ودفنوا عليهم السلام.

وإذا ما راقبنا حركة هؤلاء الكرام من الأنبياء والأولياء، نجد لديهم ذلك الحس المشترك الثوري الرافض للشرك والظلم والطغيان والفجور، فعندما قصدها إبراهيم الخليل عليه السلام ولوط عليه السلام كانا ثائرين على الطغيان والفجور، وعندما قصدها موسى عليه السلام ويوشع عليه السلام كانا قد خرجا من نير ظلم الفرعون، وعندما تحرك على أرضها

المسيح عليه السلام كان ثائراً في وجه التمييز والظلم والاستبداد، وعندما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها كان ثائراً على الشرك والظلم والجاهلية بكل معانيها، فلا عجب إذن من أن تكون هذه الأرض الطيبة والتي تشبّعت بدماء المؤمنين من أن تكون قبلة الأحرار على مدى الزمان الماضي والمستقبل القريب بإذن الله، إذ أنها أي بيت المقدس ستكون الوجهة الأخيرة للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والسيد المسيح عليه السلام، ولربما يصحبهما الخضر عليه السلام وإلياس عليه السلام وكل الأحرار في العالم المؤمنين بالواحد القهار سبحانه وتعالى.

وهذا ما يفسر وجود العديد العديد من الأضرحة والمقامات لآل البيت وذراريهم عليهم السلام، ولذراري الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على كامل مساحة فلسطين.

كذلك وجود العديد من الأضرحة والمساجد والزوايا للعلماء والعرفاء وأصحاب الطرق الصوفية وغيرهم، بالإضافة إلى العديد من الأماكن ذات الصبغة الدينية المقدسة وغير ذلك.

وعليه فإن فلسطين أبية على الضيم، عزيزة على الذل، أكبر من أن يمحي تاريخها أو يزوره حفنة من العصابات الطارئة مهما علا شأن سطوتهم وجبروتهم المؤقت.

وهذا الكلام ليس بأماني أو أحلام أو شعر، بل إنه قول رب العالمين ووعده للمظلومين والمستضعفين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[1]، وهذا الوعد الإلهي الذي جاء في سورة الإسراء

(1) سورة النساء، الآية: 122. =

تحدث عن استئصال رأس الفساد في الأرض، والتي ستجري على أرض فلسطين، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1].

بالإضافة إلى ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودوّن في كتب المسلمين حول ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويعاضده السيد المسيح عليه السلام، وأنهما عليهما السلام سيصليان في بيت المقدس بعد تحريرها[2].

وبشائر هذا الوعد الإلهي بدأت تلوح في الأفق، فنسأله تعالى أن يمد في أعمارنا حتى نكون من جنود هذا الوعد الحتمي: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ

= أنظر على سبيل المثال: الأنس الجليل، مصدر مذكور، ج2، ص165 وما بعدها. وانظر: وثائق مقدسية، مصدر مذكور ج2، 3.

(1) سورة الإسراء، الآيات 4 - 8.

(2) أنظر على سبيل المثال: لتفسير الكبير للفخر الرازي عند تفسيره لسورة الإسراء، والميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي عند تفسير السورة المباركة، وغيرهم العديد من المفسرين.
وانظر في كتب الحديث مثلاً: مسند الإمام أحمد. وانظر: المنار المنيف لابن قيم الجوزية. وعدد الإمام الشوكاني الأحاديث المتواترو والصحيحة في المهدي (عج) وبلغت عنده خمسون حديثاً ووافقه ابن تيمية.

بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[2].

فالسلام على هذه الأرض الطيبة المباركة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي ﷺ ومعراجه، وما فيها ومن فيها من عباد الله مؤمنين وأحرار، استشهدوا فيها ولا يزالون يعطرون التراب بدمائهم الذاكية التي ستزهر حتماً بإذن الله نصراً مهدوياً ومسيحياً وإنسانياً.

والحمد لله رب العالمين

بيروت شهر رمضان 1444

(1) سورة المعارج، الآيتان: 6 - 7.

(2) سورة الرعد، الآية: 31.

مسجد الأنبياء عليهم السلام

مصلى الإمام علي عليه السلام في نابلس

مقام الصوفي الشيخ الجنيدي

صورة تظهر الحديث الوارد في أهل البيت عليهم السلام

بعد الاعتداء على كنيسة في القدس
شرطة العدو تزعم فتح تحقيق في اعتداء بقنابل حارقة على مسجد
سيدنا علي في مغتصبة هرتسيليا المقامة فوق اراضي قرية سيدنا علي
او (الحرم) المدمرة والمهجرة كما تظهر الصورة المرفقة.

الفهرس

الموضوع الصفحة

الإهداء ..... أ

قبل البداية ..... ب

مقدمة نقيب الأشراف في مصر

الدكتور السيد محمود الشريف ..... ج

مقدمة رئيس أساقفة سبسطية للروم الاورثوذكس في القدس

المطران عطالله حنّا ..... د

مقدمة رئيس مجلس علماء فلسطين

أ.د.حسين محمد قاسم ..... هـ

مقدمة رئيس تجمع العلماء المسلمين في لبنان

العلامة الدكتور حسان عبدالله ..... و

مقدمة راعي كنيسة أنطاكية السريانية الاورثوذكسية

المطران ثاوفيلوس جورج صليبا ..... ز

المقدمة 9
أهمية هذا الكتاب والمنهج المعتمد فيه 11
المنهج المعتمد في هذا العمل 13
فلسطين في التاريخ 17
النبي شيث عليه السلام 31
النبي نوح عليه السلام 39
النبي صالح عليه السلام 53
النبي إبراهيم عليه السلام 67
السيدة سارة عليها السلام 97
النبي لوط عليه السلام 103
النبي إسحاق عليه السلام وزوجته رفقا 117
النبي يعقوب عليه السلام وأزواجه وأولاده والنبي يوسف عليه السلام 123
النبي أيوب عليه السلام 151
النبي شعيب عليه السلام 163
نبي الله الخضر عليه السلام 171
نبي الله موسى عليه السلام وهارون عليه السلام 177
نبي الله يوشع بن نون عليه السلام 229
أين دفن النبي يوشع بن نون عليه السلام؟ 233
نبي الله حزقيل عليه السلام 239
نبي الله إلياس عليه السلام 245
النبي يونس عليه السلام 251

نبي الله ذو الكفل عليه السلام 261
نبي الله صموئيل عليه السلام 269
نبي الله داود عليه السلام 279
نبي الله سليمان عليه السلام 291
نبي الله عزير عليه السلام 301
النبي زكريا عليه السلام وابنه النبي يحيى عليه السلام 309
سيرة مريم عليها السلام وابنها السيد المسيح عليه السلام 325
السيد المسيح عليه السلام 336
شمعون الصفا عليه السلام أو سمعان القانوني الغيور 349
أهل الكهف والرقيم 355
السيد هاشم عليه السلام رمز النسب الشريف 361
المسجد الأقصى الشريف 375
جعفر بن أبي طالب عليه السلام المعروف بالطيار 391
المشهد الحسيني الشريف 401
بشر الحافي رضي الله عنه 431
فلسطين ومقامات آل البيت عليهم السلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم 437